تصدرها:
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
الرباط - المغرب

دعوة الحق

عرش دائم يرعاه الله وتحميه الشعب



العدد 1 / السنة 23
ربيع الثاني 1402
مارس 1982



بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

إيضاح المسالك

إلى

قواعد الإمام مالك

تأليف



المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

ندوة الإمام مالك

إمام دار الهجرة

الجزء الثالث

فاس

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية



المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الرباط

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز



بمناسبة مطلع

القرن الخامس عشر الهجري

مختصر

الدر الثمين والمورد المعين

على منظومة

المرشد المعين

على الضروري من علوم الدين

تأليف

بيانات ادارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعـوة الحـق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

- الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل، و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر

- السنة 8 أعداد لايقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة

- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

- لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر -

العدد 1 السنة 23

ربيع الثاني 1402
مـــارس 1982

هذا العدد

- يتضمن هذا العدد النص الكامل للرسالة الملكية السامية التي وجهها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

- وننشر هذه الرسالة ضمن العدد الممتاز الخاص بعيد العرش المجيد، الذي يصادف هذه السنة الذكرى الحادية والعشرين لجلوس جلالة الملك على عرش أجداده المنعمين.

- و (دعوة الحق) التي تهتدي في سياستها العامة بالتوجيهات الإسلامية السديدة لجلالة الملك أمير المؤمنين ، يهمها في المقام الأول أن ينكب الدارسون والباحثون والعلماء والمفكرون على هذه الرسالة الملكية لتحليلها وبلورتها وإبراز أهميتها باعتبارها استراتيجية محكمة للدعوة الاسلامية في الحاضر والمستقبل.

- وارتباط الرسالة الملكية بالذكرى الحادية والعشرين لجلوس جلالة الملك على عرش المغرب ينطوي على دلالة هامة، ذلك أن جلالته نصره الله بدأ العقد الثالث من ولايته الشرعية، برسالة شاملة اختار أن تكون نداء للأمة الإسلامية يهيب بها أن تنهض من كبوتها وتستأنف رسالتها وتبدأ طورا جديدا من اشعاعها الحضاري.

- وإذا كان هذا العدد مكرسا للاحتفال بعيد العرش السعيد، فإن معظم الكتاب الذين ساهموا فيه يركزون على معنى واحد لايتغير، لأنه الصورة الحقيقية للمغرب الجديد في عهد جلالة الملك نصره الله، ألا وهو العمل الإسلامي على شتى الجبهات لإحياء موات هذه الأمة وتجديد معالم دينها وتنشيط دورتها الحضارية، وهي رسالة مقدسة يضطلع بها العاهل الكريم بحسبانه أميرا للمؤمنين وحاميا لحمى الملة والدين.

- إن جلالة الملك، وهو المفكر الإسلامي الفذ، ورجل الدولة الإسلامية الحصيف، عاهد الله أولا ثم شعبه وأمته على المضي في الطريق اللاحب الذي خطه آباؤه وأجداده، وهو طريق الإسلام الصحيح، المبرأ من الهوى، الخالص من الغرض، المنزه عن التأويل، المتصل برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- وفي هذا العدد، يطالع القارىء صفحات مشرقة من جهاد العرش العلوي دفاعا عن الإسلام والعروبة، وانتصارا للحق والعدل ، وإعلاء لكلمة الله، وهو تاريخ مجيد حافل بالبطولات التي حمل لواءها الملوك العلويون على مدى ثلاثة قرون ونصف القرن.

رئيس التحرير

الثمن : 5 دراهـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

قــوة

•• ليس العرش في المغرب مجرد مؤسسة سياسية، انه أكبر حجما وأعمق أثرا من ذلك كله. ان المؤسسات السياسية تخضع لاعتبارات دنيوية، وتقوم على أسس ليست لها العمق والامتداد اللذان يمدان بأسباب القوة. بينما المؤسسات الحضارية شديدة الارتباط بمكونات الشعوب ومقوماتها الذاتية ولها من الحوافز مايجعلها تصمد في وجه عوادي الأيام، وتجابه الخطوب، وترقى فوق مستوى التحولات الظرفية. ومن أجل هذا كان العرش المغربي أعرق نظام سياسي على وجه الأرض دون منازع، لا يستمد عراقته من البعد الزماني فحسب، وانما من البعد الحضاري أيضا، وهو الذي يعنينا هنا، باعتباره الوعاء الذي تصب فيه بطولات العرش المغربي، منذ الفاتح الأكبر ادريس بن عبد الله بن الحسن، إلى القائد الأعظم الحسن بن محمد بن يوسف، اللذين يفصل بينهما ثلاثة عشر قرنا، هي حصيلة مجد، ورصيد بطولة، وخلاصة عطاء، ليس مثله عطاء، ذبا عن الملة، وذودا عن العقيدة، واستبسالا واستماتة وصمودا في سبيل الحق والحرية وكرامة الانسان.

والعرش في المغرب، مؤسسة جهادية، بالمدلول الواسع العميق للجهاد، الذي بينه الله ورسوله، لا الذي ابتدعه أعداء الاسلام وخصوم الحق، فلم يشهد المغرب عهدا لم يخض فيه الشعب المعارك وراء قيادته على جبهة من جبهات القتال، ولم يعرف المغرب عصور الارتخاء، وانما تاريخنا كله موسوم باليقظة والتنبه والتهيؤ وحتى في الفترات التي غلبنا فيها على أمرنا، لم نفقد هذه الخاصية. وكان سبب ما وقع فوق طاقتنا وخارج عن طوقنا، ولم تدم هذه الحالات طويلا، بما في ذلك الحماية المفروضة على المغرب سنة 1912، فقد كانت البلاد يومئذ مسرحا لحرب تحرير شاملة، من شواطىء الأبيض المتوسط الى ضفاف نهر السينغال. وما أبلغ وصف جلالة الملك لما وقع سنة 1912 بحادثة سير.

وقوة المغرب عبر تاريخه في عرشه، فهو ملتقى كل القوى، وهو مصدر كل الطاقات، حوله تلتف ارادة الشعب، وبه تمضي المسيرة، وعليه يعتمد في دخول



المواجهات مع شتى صنوف الشر والبغي والعدوان، واليه يرجع الفضل في ازدهار البلاد ونموها، واستقرارها وثباتها، وفي تطورها وتفوقها، وفي صلابتها وصمودها. فالعرش هو قاعدة الوجود المغربي، وهو أساس الكيان الوطني، لأنه رمز الوحدة، وعنوان السيادة، ودعامة الاستقلال.

●● لقد اختار شعبنا نظام الملكية الدستورية عن اقتناع عقلي ووجداني، نابع من الوعي التاريخي الذي يتعاظم بمرور الأزمان، وهو ليس اختيارا سياسيا فحسب، ولكنه التزام بحضارة تتمثل في العرش، وايمان بفكرة يجسدها الملك، الأمر الذي يعطي لمفهوم الملكية في هذه البلاد دلالات سامية ليس ذنبنا اذا كان العالم لايفقهها بحكم الدعاية الصهيونية واليهودية والشيوعية المناهضة لكل عقيدة ومبدأ وخلق.

وليس عجبا، أن تقوم الديمقراطية في المملكة المغربية شاهدا على نموذج فريد في العالم المعاصر فقد بلغ من التحام العرش بالشعب درجة من الصفاء الروحي والعقلي جعل العلاقة بينهما تعلو فوق كل الأشكال المعهودة في عالم السياسة وهذا هو سر تفوق المغرب وعلو شأنه وقدرته المعجزة على الصمود والتصدي والانتقال من معركة الى أخرى أشد ضراوة.

● اننا أقوياء بالتفافنا حول العرش، ومهما تعددت الاجتهادات، وتباينت المشارب، نحن جميعا مغاربة مسلمون نعمل في اطار الملكية الدستورية، المجسمة للشرعية والحامية للشريعة، والمؤمنة بالحرية، والداعية الى الوحدة الوطنية، والمدافعة عن السيادة الحضارية، والسياسية والفكرية والترابية.

●● ان قوتنا في العرش، وقوة العرش منا، وهذا هو المثل الأعظم الشامخ الذرى الذي يتجسد، في جلاء ما بعده جلاء، في شخص جلالة الملك الحسن الثاني أعز الله أمره وخلد في الصالحات ذكره.

عبد القادر الإدريسي

شمولية المسؤولية

بقلم: الأستاذ الهاشمي الفيلالي
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

تمثل الذكرى الواحدة والعشرون لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أسلافه المنعمين مرحلة متطورة من مراحل كفاح المغرب في مجالات الدفاع عن السيادة واقرار العدالة وصيانة الوحدة الترابية وتعميق الوعي الديمقراطي. فلقد ارتبطت هذه الفترة الممتدة من مارس 1961 الى مارس 1982 بمعارك متعددة خاضها العرش والشعب على مختلف الجبهات من أجل أن يحيا المغاربة أحرارا في وطن حر، يستدركون ما فاتهم في زمن الاستعمار، ويقيمون حياتهم الجديدة على أسس تستجيب لمقوماتهم ومقدساتهم. وبذلك تميزت الاحدى والعشرون سنة الماضية بالمواجهة الكاملة مع مخلفات الماضي، وكان من أبرزها وأكثرها اقتضاء للجهد والمعاناة استكمال الوحدة الترابية بتحرير الصحراء وجمع الشمل بين جنوب المملكة وشمالها، وتركيز صرح الديمقراطية فعرفت هذه الحقبة التي تناهز ربع القرن من ضروب النضال ما يجعلها متفردة وذات خصوصية مستمدة أساسا من شخصية العاهل الكريم الذي طبع الحياة الوطنية بطابع الكفاح والاستماتة في الدفاع عن الكرامة والحرية والوحدة والتحدي الذي يعز مثيله.

ولئن كان جلالة الملك ـ أعز الله أمره ـ قد أظهر طوال مدة توليه مسؤولية الحكم وأمانة القيادة من المقدرة والبطولة والشجاعة ما يتبدى لنا اليوم في شتى الواجهات، فان تركيزه على الجانب الاسلامي استقطب من اهتمام جلالته القسط الوافر، مما انعكس أثره على الفكر والدعوة ومجالات مختلفة تتصل من قريب بحياة المواطنين من جهة، وتلتقي باهتمامات الأمة الاسلامية ومشاغلها وهمومها من جهة أخرى.

لقد كان النهج الذي اختاره جلالة الملك منذ مطلع ولايته اسلاميا في روحه وجوهره. ولئن كانت قد صادفت مسيرة المغرب الممتدة صعوبات في التطبيق. فان مرد ذلك، ولا شك، الى طبيعة التحديات التي تواجه الشعوب العربية والاسلامية. بيد أن المغرب كان له من قدراته الذاتية ما حمله على المقاومة حتى أفضى به مسلكه هذا الى أن ينتصر على كثير من المعوقات ويمارس سيادته في كل ميدان ويثبت قدرته الفائقة على الوقوف في وجه كل صعب. وتأتي المسيرة الخضراء على رأس الانتصارات الباهرة التي حققها المغرب بملكه القائد، وظفر بها جلالة الملك الحسن الثاني بشعبه، في صورة من الالتحام قل نظيرها.

ان مسيرة المغرب خلال العقدين الأخيرين، بقيادة جلالة الحسن الثاني، من المسيرات التاريخية التي يعتز بها الاسلام والعروبة، لأنها مظهر بارز للعمل الاسلامي المسؤول الذي يترفع عن الصغائر ويسمو الى قمة العطاء النافع للأمة وللانسانية جمعاء. وتأتي الرسالة الملكية السامية الموجهة الى العالم الاسلامي بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، لتعطي لهذا العمل الدؤوب المتواصل مدلولا حضاريا بعيد المدى، ولتوجه الأنظار الى المغرب وعاهله الكريم، في وقت تتكاثف سحب الحيرة والبلبلة في الأجواء العربية والاسلامية، لتحجب الرؤية السليمة، وبذلك يتبوأ المغرب بقيادة ملكه المكانة التي هو حقيق بها، باعتباره مركز ثقل في السياسة الدولية الاسلامية، ومنطلق تحركات ومواقف وأعمال ترمي جميعها الى خدمة مصالح الأمة والدفاع عن حقوقها.

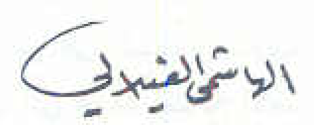
ولا يمكن، من المنظور الاسلامي، أن نفصل بين المسيرة الخضراء والرسالة الموجهة الى الأمة الاسلامية، وبينهما معا وبين اقرار قواعد الشورى والديمقراطية، وتطوير أساليب الدعوة الاسلامية باحداث المجالس العلمية. فجميع هذه الأعمال تصب في قالب واحد هو اعلاء كلمة الاسلام ورفع شأنه، وعزة المسلمين واستقلال أوطانهم. ذلك أن استرجاع الصحراء المغربية هو جهاد اسلامي، لأنه استهدف تحرير أرض اسلامية وتخليصها من أيدي غير المسلمين، وفي اقامة أسس الحياة الديمقراطية في المغرب تقوية لجانب بلد اسلامي حتى يتفرغ للنهوض بمسؤولياته على الصعيد الاسلامي، وفي تأسيس المجالس العلمية بالمملكة تنشيط للدعوة الاسلامية وتجديد لمعالمها واحياء لمنابرها وكراسيها ومجالسها.

ان بداية العقد الثالث من ولاية جلالة الملك الحسن الثاني تقترن بانطلاقة اسلامية هادفة، ليس فقط على الصعيد الوطني، باعادة تنظيم مرافق الدعوة وتحديث وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، وانما على الصعيد العربي والإسلامي، بتوجيه العناية لقضايا الإسلام والمسلمين، واعارة الاهتمام بالشؤون العربية من منطلق الشعور بالمسؤولية التي يتحملها جلالة الملك بصفته رئيس لجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الاسلامي، وبحكم رئاسة جلالته لمؤتمر القمة العربي الثاني عشر.

وليس من شك أن هذه الإعتبارات تعطي لبلادنا حجما أكبر، وتقوى من استقرار الوضع، وتعمق اختياراتنا الفكرية والسياسية والاسلامية، وتسهم بحظ وافر في ترشيد مسيرتنا التي يقودها قائد أوتى جوامع الكلم والحكمة والرشد، يلتف حوله شعب واع شديد الحرص على سلامة كيانه ووحدة صفه وتقدم وازدهار وطنه.

فتحية لقائد المسيرة المظفرة في عيد عرشه المجيد.

ودعوة خالصة الى الله مالك الملك، أن يحفظه ويقويه وينير أمامه السبل، ويهدي به، شعبه وأمته الى دروب الخير والمحبة والعزة والعلو في الأرض بالحق.



في حفل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف

●● أحيت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ذكرى ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، في حفل ديني كبير أقيم بهذه المناسبة بمسجد السنة بالرباط يوم الجمعة 19 ربيع الأول 1402 الموافق 15 يناير 1982 وذلك بعد صلاة العصر.

حضر هذا الحفل الذي ترأسه السيد الهاشمي الفلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بعض أعضاء حكومة صاحب الجلالة، ورؤساء المجالس العلمية بالعدوتين والجديدة والأقاليم الصحراوية والكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى ومدير دار الحديث الحسنية، ورؤساء الأقسام والمصالح بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وناظر أوقاف الرباط، وعدد من السادة العلماء، وأساتذة الجامعة . كما حضر الحفل الوعاظ والمرشدون الدينيون بالأقاليم الصحراوية الذين تابعوا دورة تدريبية نظمتها لهم الوزارة بالرباط واستغرقت عشرة أيام.

● كانت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قد أعدت برنامجا للتوجيه الديني والدعوة الإسلامية بمناسبة المولد النبوي الشريف.

وقد اشتمل البرنامج الذي استغرق شهرا كاملا لأول مرة، على دروس بالمساجد وأحاديث ومحاضرات بدور الشباب وأندية الاتحاد النسوي، والمستشفيات، والسجون، وقاعات البلديات، وثكنات الجيش في مختلف أقاليم المملكة.

وشارك في هذا البرنامج رابطة علماء المغرب والمجالس العلمية وقدماء القرويين وجمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية وأساتذة من الجامعة.

وقد روعي في برنامج هذه السنة احتفاء بالمولد النبوي الشريف اختيار الموضوعات الحيوية ومعالجتها من زوايا دينية وعلمية مع التبسيط وحسن العرض.

وبهذه المناسبة سجلت الاذاعة والتلفزة عدة ندوات دينية حول موضوع الرسالة المحمدية شارك فيها نخبة من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات المغربية.

وقد تم التنسيق في إطار تنفيذ هذا البرنامج مع وزارة الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية ووزارة التربية الوطنية، ووزارة الاعلام والشبيبة والرياضة، ووزارة الداخلية توخيا لتعميم الفائدة والتوسع في النشاط الديني عبر مختلف قرى ومدن المملكة.

وننشر فيما يلي كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في الحفل الديني بمسجد السنة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

حضرات السادة والسيدات :

أيها الإخوة المومنون :

نجتمع اليوم في بيت الله، في أيام مباركة، لنحيي ذكرى ميلاد محمد بن عبد الله رسول الهدى والحق، ونبي الرحمة، ومنقذ الإنسانية، ومحرر البشرية من عبودية الخرافات الوثنية والجهل، وهاديها إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ان احتفالنا اليوم بذكرى المولد النبوي الشريف، على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام، يكتسي من الخصوصية، ما يجعله بداية مرحلة جديدة تتهيأ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتكون مفتتح خطة إسلامية تستوحي أهدافها ومقاصدها وسبل تطبيقها من توجيهات أمير المومنين رائد الاحياء الإسلامي جلالة الملك **الحسن الثاني**، وتستمد فلسفتها العامة المحيطة الشاملة من الرسالة المحمدية التي تعتبر منهجا للحياة شاملا جديرا بالعالم الإسلامي أن يأخذ به ويلتف حوله.

انكم حضرات السادة والسيدات تعلمون أنه لا يكفي الاحتفال المظهري بهذه الذكرى العظيمة، وأنه لابد لنا - لتستقيم أحوالنا ولنصدق القول والعمل مع أنفسنا ومع الناس أجمعين، أن نقيم احتفالا في قلوبنا بتجديد الايمان فيها، وإحياء معالم اليقين بها، وفي عقولنا بتصحيح مفاهيم الدين وتقويمها وفي سلوكنا وعملنا كله بإقامة موازين القسط والعدل في واقع حياتنا والاقتراب - في تبصر وروية - من مصادر التشريع الإسلامي لتكون لنا عونا على مواجهة رواسب التخلف وتشييد صرح التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ولقد كان لنا ولا يزال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر»، وما أحوجنا اليوم، وقد بدأ منا ما بدا، أن نلتمس القدوة من رسولنا الأعظم.

لا بذكر اسمه الشريف، ولا بالتغني بشمائله وفضائله ومكارم أخلاقه فحسب، وإنما بالاقتداء به والامتثال لما دعانا إليه، إذ لم يدعنا إلا إلى ما يحيينا وينير أمامنا سبل التقدم الحق الذي يجمع بين ازدهار الأشياء والقيم، وانتعاش الجسد والروح.

ولقد أرادها جلالة الملك حفظه الله أوبة صادقة إلى منابع ديننا الحنيف وأعلنها - في صراحة المومن وقوة القائد - دعوة إلى الشريعة الإسلامية ونبذ ضلالات العصر التي لم تزد الإنسانية إلا انحدارا في مهاوي الضلال والشقاء.

إن ذكرى نبي الإسلام الذي نجتمع اليوم لإحيائها وقلوبنا عامرة بالإيمان تهيب بنا أن نتبع المحجة البيضاء، وهي القرآن كتاب ربنا، والسنة الشريفة. وهما معا أساس كل نهضة، وإليهما دعا جلالة الملك مناشدا الأمة الإسلامية جمعاء العمل بمقتضياتهما. فإذا كان أول هذه الأمة قد صلح بالإسلام فلن يصلح آخرها إلا به. وتلك قاعدة ذهبية هي خلاصة الحضارة الإسلامية.

ومن هنا، من مغرب الإسلام والعروبة، ورباط الجهاد إلى أن تقوم الساعة ينبغي أن تنطلق البداية الصحيحة لتكون نموذجا يحتذى به في العالم الإسلامي كله استمرارا لرسالة الماضي ومواصلة للدور الحضاري الذي تضطلع به بلادنا.

فإذا تمثلنا هذه المعاني جميعًا، واستوعبنا الدروس جيدا، ففي الامكان، بعون الله، أن نقدم للعالم صورة لاعهد له بها عن الإسلام في الواقع الحي المعاش تنطق بقدرة هذا الدين على التغيير والبناء.

وإني بهذه المناسبة الكريمة لأغتنمها فرصة طيبة لأهيب بالسادة العلماء في مختلف أقاليم المملكة لينهضوا بواجبهم في هذا الميدان بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتنوير العقول بالعلم والخلق والسلوك الطيب حتى يكونوا، دعاة خير وفضيلة ورسل هداية وصلاح.

وبذلك يتلاقى نشاط السادة العلماء، مع ما تبذله وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من جهد في هذا السبيل. خاصة وهذه الوزارة بصدد تنفيذ برنامج عمل موسع يهدف إلى تطوير أساليب الدعوة والنهوض بمستواها وتنشيطها لتشمل كافة مناطق وأقاليم المملكة.

ولئن كنا نولي هذا الجانب الروحي عناية فائقة، فلأنه أولا من صميم رسالة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وباعتبارنا نواجه تحديات شرسة تتمثل في المعركة المقدسة التي نخوضها وراء جلالة الملك للدفاع عن مقدساتنا وصون مكتسباتنا وحماية وحدتنا الترابية وصيانة صحرائنا المسترجعة.

ولا شك أن عملنا هذا، على تعدد أوجهه، وتنوع مجالاته، يساهم بحظ وافر في التعبئة العامة وحشد الطاقات وتوعية المواطنين.

وفي هذا الإطار تدخل الدورة التدريبية الأولى للوعاظ والمرشدين بالأقاليم الصحراوية التي تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتوجيه حكيم من جلالة الملك نصره الله. هؤلاء يشاركوننا هذا الحفل الديني المبارك بحضورهم الذي يعتبر من مظاهر تشبثهم بوطنهم وتعلقهم بملكهم وإخلاصهم لدينهم.

وفقنا الله لما يحب ويرضاه وصلى الله وسلم على النبي الامين محمد صلى الله عليه وسلم، وحفظ بالقرآن والسبع المثاني أمير المومنين وأبقاه حاميا للملة والدين، وعاملا لنصرة الحق وإعلاء كلمة الله، ومقاومة الباطل ودحره، وبارك الله في جهاده وجهده، وبارك له ـ سبحانه وتعالى، في ولي عهده الأمير سيدي محمد وصنوه مولاي رشيد وكافة أفراد الأسرة المالكة.

ولكم مني ومن كافة العاملين بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أصدق الشكر والامتنان على تلبيتكم الدعوة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

• إن الطريق إلى مركز الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة الإسلامية لا يحول بينها وبينه حائل. لكن يلزم لضمان ذلك أن لا تقتصر عنايتها على الجانب المادي وحده، وعليها أن توجه حظا كافيا من اهتمامها إلى الحفاظ على تلاحم الأسرة المسلمة وحمايتها من عوامل التفكك والانحلال •

جلالة الملك الحسن الثاني

الرسالة الملكية

بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري

وثيقة إصلاحية تجديدية

تعكس أحوال المسلمين الراهنة
وتقترح الحلول الناجعة لمشاكلهم الداخلية والخارجية.

للأستاذ عبد الله كنون

وجه جلالة الملك **الحسن الثاني** إلى شعبه الوفي، وإلى عموم المسلمين، بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري، كما فعل جده المولى حسن الأول في مطلع القرن المنصرم، رسالة يمكن أن نسميها رسالة القرن، لما احتوت عليه من نصائح وإرشادات في صميم الحياة الإسلامية العملية، اعتبارا بالحالة المتدهورة للمسلمين، وانطلاقا من حديث الدين النصيحة، مهيبا بهم أن يواجهوا بحزم وعزم جميع التحديات والأزمات، وأن يبذلوا في سبيل نصر ملتهم والدفاع عن أمتهم أكبر الجهود وأعظم التضحيات.

وبادىء ذي بدء، نوه جلالته بالرسالة الإلهية التي جاء بها الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى هذه الأمة، والمتمثلة في الكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة النبوية المبينة له والتي يقع على عاتق أمراء المسلمين ورؤسائهم حمايتها والذود عنها، والسعي المتواصل لإبراز محاسنها وتجديد معالمها.

وانطلقت الرسالة الملكية من هذه النقطة إلى الإشادة بدين الإسلام، المتين الأساس، الراسخ البنيان، الذي يقرر كرامة الإنسان، ولا يرضى له بالذل والهوان، دين العلم والحرية الذي يدعو أتباعه إلى التفتح على الحضارات واتخاذ جميع أسباب القوة والعظمة، ويلزمهم بالشورى ويحذرهم من النزاع والفرقة، حتى يتغلبوا على الصعاب التي تعترض سيرهم، ويتمكنوا من استيناف البناء والتشييد، والإصلاح والتجديد.

وتخلص الرسالة من هنا إلى ذكر محاسن الشريعة الإسلامية القادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، المستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، الصالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على أصولها أو تبديل، وتهيب بالعلماء إلى الاجتهاد في إيجاد أحكام ما يحدث من الأقضية، كما فعل أسلافهم من قبل، حفاظا على تراث الإسلام، وصياغته صياغة جديدة تجعله في خدمة مصالح عموم المسلمين.

وتبلغ الرسالة الملكية قمة النصح والإرشاد، حين توجه الخطاب إلى المسؤولين في حكومات البلاد الإسلامية وتقول : من واجب القادة المسؤولين، والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن يشملوهم بالرعاية الكافية، حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء... فهذا أمر من الأهمية بمكان في حياة الدعوة واستمرارها، ونجاحها وإيتائها الثمرات المرجوة، وهو يشير إلى العراقيل التي توضع في طريق الدعوة، والتوجس الذي يجده الحكام في الدعوة الإسلامية حتى انهم ليسمحون للمذاهب الهدامة والايديولوجيات المادية كالشيوعية وغيرها بإنشاء الأحزاب وإصدار الصحف الداعية إلى انتحالها وانتهاج طريقها في السياسة والحكم، ومزاولة نشاطهم في ميدان التغريب بكل حرية، ولكنهم يمنعون الهيآت الإسلامية ويناصبونها العداء ويحرمون عليها كل نشاط، وما أمر الاخوان المسلمين وما لقوه من الاضطهاد والتنكيل والسجن والتشريد في أكثر من بلد إسلامي بخاف على أحد. **فالحسن الثاني** يحذر وينذر في صورة النصح والإرشاد من عواقب التصدي لدعاة الإسلام. ويوجب على المسؤولين والزعماء المسلمين أن يسهلوا السبيل أمام الدعوة الإسلامية لتبلغ غايتها من البعث المنشود، ومطاردة الأفكار

الإلحادية المستوردة التي هي سبب مايعانيه المسلمون من فرقة وخلاف وتبعية واستلاب.

ان هذه الجملة من الرسالة الملكية لهي فحوى الخطاب الذي نقدمه حجة على من يتهم المغرب بمعاداة الاتجاه الإسلامي، وعلى من يعملون على تشويه سمعته لمجرد أن يقع اصطدام بين بعض الطلبة من الاتجاه الإسلامي والاتجاه المعاكس، أو بين بعض أتباع الأحزاب السياسية والهيآت الاجتماعية من الاتجاهين. فتقع محاكمة الطرفين بما يصدر عنهما من التجاوزات. فتقوم الدنيا ولا تقعد. زعما بأن الإسلاميين يحاكمون في المغرب. في حين أن محاكمات غيرهم تكاد تقع باستمرار. ولا تلفت نظر أحد من هؤلاء المتظاهرين بالغيرة على الإسلام فيعترفوا بالحق وينصفوا.

فها هو **الحسن الثاني** ملك المغرب يناشد القادة والمسؤولين في العالم الإسلامي، أن يتعاملوا مع الدعاة الإسلاميين. ولا يقفوا حجر عثرة في سبيلهم. بل يطلب منهم أن يرعوهم جميل الرعاية. ويمدوا لهم يد المعونة. وهو بالطبع أول من يشمله هذا الكلام. ويدخل في عمومه. ولو كانت سياسته بخلافه لما صدر عنه. إذ ليس هناك مايجبره عليه. وقد أملاه وكتب وأذيع ونشر في جميع الآفاق. وعرف قدره، وتحمل مسؤوليته، وأوجبها على جميع من بيده مقاليد الأمور في بلاد الإسلام.

وتزيد الرسالة الملكية قائلة في هذا الصدد ، كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء. فبالتخطيط الإسلامي المحكم والعمل المتواصل المنظم، للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات، ويتصدى لمواجهة كثير من التحديات، ويمارس مسؤولية تطوره ونموه بنفسه، وفي نطاق حضارته دون أدنى تبعية، ولاضغوط خارجية. وهذه أيضا نصيحة توزن بميزان الذهب، وهي في مجال الدعوة تلي التي قبلها من حيث الأهمية، فالدعوة كما تضيع بتعرض المسؤولين لها، تضيع بتهور الدعاة وعدم اتباع سبيل الحكمة وما أمر الله به في قوله ، (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فاختلاف الدعاة وتصدي بعضهم لبعض، من أكبر آفات الدعوة، وهاهم المسلمون اليوم قد وقعوا في فتنة عظيمة من تصرفات بعض الدعاة الذين يفرقون أكثر مما يجمعون، ويضلون أكثر مما يهدون، تركوا بيان محاسن الإسلام، والدلالة على ما أتى به من مكارم الأخلاق، وإنقاذ المسلمين من أوحال الجاهلية العصرية التي أوبقتهم فيها هذه الحضارة الغربية، فاستحلوا المحرمات، وهتكوا ستر الحياء، وقوضوا بناء الأسرة، وقصموا أواصر الاخوة الإسلامية ، وبدلا من أن يعمل هؤلاء الدعاة على بناء المجتمع الإسلامي الجديد على أساس الشريعة الإسلامية، شغلوا العوام بالخلافات المذهبية والمسائل الفرعية التي تعارضت فيها أقوال الفقهاء، نتيجة الاجتهادات المختلفة، وجعلوا ذلك هو منتهى الدين، وأججوا نار العداوة بين من تبعهم وبين جماعة المسلمين، إلى حد الحكم ببطلان صلاة من خالفهم وفتح المحاريب المتعددة التي أغلقت بفضل صحوة المسلمين في الأزهر والمسجد الأموي والمسجد النبوي، وغاظ دعاة الفرقة وانحلاف إغلاقها. فقام الدعاة الذين كان أولى بهم أن يزكوا إغلاقها، يحاولون فتحها من جديد، بتدشين عصر التدابر والتقاطع الذي كان هو السبب في تشتيت الشمل وغلبة العدو على بلاد المسلمين. وقد صدر بعض هؤلاء الدعاة فتنتهم إلى عوام المسلمين العاملين في الخارج، فنهوهم عن الصلاة خلف الأئمة الذين لايرون رأيهم، ومنعوهم من قراءة القرآن جماعة، لأن هذا رأي الإمام مالك. وما أخذوا من أقوال مالك إلا بهذا الرأي. وهكذا حتى في دار الغربة، وحيث يجب أن يكون المسلمون على قلب رجل واحد. ليهتدي بهم غيرهم، وما أكثر طالبي الهداية هناك. يأتي الدعاة المدخولون الذين همهم الأول هو جمع الحطام، فيحاولون القضاء على ماتبقى من رسوم الدين باسم الدعوة، والدعوة منهم براء، فما أحق ما قال جلالة الملك في رسالته ، من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، مستدلا بقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات).

ان هذين العاملين أساسيان في تحقيق الصحوة الإسلامية وبلوغ الأهداف المتوخاة منهما، عامل مساندة المسؤولين للدعاة، وعامل توافق الدعاة فيما بينهم. ولو لم يكن في رسالة جلالة الملك من الأفكار العملية لإصلاح ما بالمسلمين إلا هذان التوجيهان الساميان. لكان ذلك كافيا في جعلها بمستوى مايتطلبه الوضع الذي يوجد عليه المسلمون، في العلاج الناجع والتدبير الصحيح، فالهوة التي تتسع يوما بعد يوم، بين الشعوب الإسلامية وحكامهم لايردمها إلا الرجوع إلى الإسلام الذي يجمع هؤلاء الحكام بشعوبهم بعدما فرقتهم الاديولوجيات الغربية، وجعلت بأسهم بينهم شديدا.

وغاية ما يطلبه الدعاة الإسلاميون هو هذا الرجوع إلى ماكان عليه سلف الأمة، وما صلحت به أحوالهم، ولا غرض لهم في حكم، ولا تشوف عندهم إلى منصب، ولا يستمدون العون والتأييد من جهة خارجية، وما يدفعهم إلى مايدعون إليه إلا فشل كل تجارب الحكم الأجنبية التي طبقت برغم مخالفتها للأصول الإسلامية، فلم تعط نتيجة، وإلا رغبتهم في التمسك بالرسالة التي أكرمهم الله بها وجعلهم خير أمة، بعد ما كانوا لاشيء، أو شيئا لايؤبه به، كما هم الآن عندما نبذوا شريعتهم وتجردوا من شخصيتهم، وهم مستعدون لبذل نفوسهم في نصرة من ينهج بهم النهج الإسلامي الحنيف.

ودعمه بكل ما يملكون من جهد وطاقة. لذلك فالأخذ بهذا التوجيه الملكي السامي فيه كل الخير للمسلمين، وطي المراحل التي أبعدتهم عن احياء مجدهم التليد، والتقدم إلى مصاف الأمم الراقية المعتزة بكرامتها والمستظهرة بسيادتها.

وكذلك عدم توافق الدعاة فإنه يفرق كلمة الأمة، ويزرع بذور الخلاف فيما بينها، ويعود بها إلى حافرة الجاهلية من التباغض والتخاذل، ويجعلها لقمة سائغة للأعداء، يطمع فيها حتى أنذل الأقوام، وهل يعد استهانة الطغمة الصهيونية بالعرب والمسلمين الذين يبلغ تعدادهم أكثر من مليار نسمة، واحتلال أرضهم واستيلائهم على المسجد الأقصى، من ذل وهوان ؟ فصدق فيهم قول الرسول (ص) يوشك أن تداعى عليكم الأمم تداعي الأكلة على القصعة، قيل أمن بنا يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا، بل أنتم كثير ولكن غثاء كغثاء السيل...! فالدعاة أول واجبهم في هذا الوقت هو أن يجتمعوا على كلمة سواء، وهذه الكلمة هي وحدة الأمة على حماية الكيان ورد العدوان، ولا تجتمع كلمة الأمة أبدا على خلاف هذا من المسائل الاجتهادية والفروع الفقهية، ولو صح ذلك لما اختلف سلفها، ولكنهم رحمهم الله كانوا على هدى من ربهم فلم يفرق ذلك بينهم ولم يجعلهم شيعا وطوائف يخرج بعضهم بعضا، ولا يسلمون إلا لتحكم الأعداء فيهم، فتراهم عندئذ أذل من وتد.

وتمضي الرسالة بعد ذلك محلقة في الأجواء العالية، فتشير إلى المسؤولية الكبيرة التي طوق الله بها هذه الأمة حين كلفها لحمل رسالته وتبليغها للناس كافة، وقرن خيريتها بهذه المهمة والنهوض بها، لا بسمو في العرق أو الجنس أو السلالة، وانها عندما حققت مراد الله منها في إقامة معالم الخير والبر، ونشر ألوية المروءة والفضيلة وضمان العدل والاحسان لجميع بني الإنسان استخلفها الله في الأرض فأصبحت خير الأمم وأعلاها شأنا، وأوسعها عمرانا، وأعظمها سلطانا، فكان ظهورها حدا فاصلا بين مرحلتين من مراحل التاريخ البشري، ومنطلقا لتغيير جذري عميق في مسيرة الإنسانية نحو الرشد والكمال، فعلينا إذن أن نواصل نفس الدور ولكن على نمط جديد يتناسب ومعطيات العصر، وان في الإسلام لطاقات زاخرة، ما تزال مكنونة لم تستثمر، فلنكشف الستار عنها ونستثمرها لخير أمتنا والإنسانية جمعاء.

ثم تقول الرسالة في الختام، رافعة المشاعل على طريق الانبعاث والنهوض والتقدم : انه لضمان مستقبلنا كأمة رائدة وقائدة للأمم، علينا أن لا نهتم بالجانب المادي وحده بل يجب أن نوجه حظا كافيا من اهتمامنا إلى الحفاظ على تلاحم الأسرة المسلمة وحمايتها من عوامل التفكك والانحلال (1) وأن نعيد للتربية الدينية والخلقية ما كان لها من الاعتبار والاهمية في تنشئة الأجيال (2) وأن نجعل من الأم المسلمة أما مثالية تعتز بكونها هي المربية الأولى للناشئة والأطفال (3) وأن نجعل من المدرسة والكلية والجامعة إلى جانب المسجد الملتقى المفضل والدائم للعلم والايمان (4) وأن نتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان (5) وأن نزيل من طريق التضامن الإسلامي الكامل الشامل كل مايعرضه للانتكاس والخذلان (6) وأن نقبل على مشاكلنا الطارئة والمزمنة بجدية وواقعية وتخطيط بدلا من اللامبالاة والاهمال والارتجال (7) وسنجد في تراثنا الروحي والحضاري الخالد ما يعيننا على طرح هذه المشاكل طرحا واضحا معقولا، وحلها حلا إسلاميا مرضيا مقبولا، بلا جدال.

وتعقب الرسالة في النهاية بما يلي : لنجعل شعارنا اليومي الدائم العلم النافع، والعمل الصالح، والإنتاج المستمر، والكسب المشروع، والرقي المطرد، والتنافس المحمود، والسير الدائم إلى الأمام، وضرب المثل لبقية الأقوام، ولنحول دنيا الإسلام الواسعة إلى مسجد كبير نعبد الله في محرابه، ونقوم فيه بالخلافة عن الله في أرضه، طبقا لما جاء في كتابه، كل بما ءاتاه الله من علم وفهم، وخبرة وتجربة، ولنكن معاشر المسلمين في مستوى مسؤوليات هذا القرن الجديد، ولنجعل منه حلقة ذهبية في سلسلة تاريخ الإسلام المجيد، وعلينا أن نتخذ كتاب الله في جميع خطواتنا دستورا رائدا، ونجعل رسوله المصطفى إماما وقائدا، ونفتح صفحة أخرى بيضاء نقية، في تاريخ أمتنا وتاريخ البشرية، وهكذا يختم جلالة الملك هذه الرسالة العظيمة، بل هذا الدستور الحر، بما يؤمله كل مسلم على وجه الأرض لدينه وأمته، من عزة وسؤدد، وعظمة ومجد، ويرسم الخطة ويمهد الطريق لذلك، ويعبر بتلك الكلمات القوية المتوهجة عن شعوره العميق وشعور كل مسلم يتحرق شوقا وتطلعا إلى اليوم الذي يرى فيه المسلمين قد عادوا إلى مركز القيادة العالمية ، ولم يبقوا في المؤخرة، واحرزوا كيانهم، وانتصروا على أنفسهم وعلى عدوهم، فلم يعد الشيطان يتلاعب بهم، ولا حثالات الأمم والشعوب تتآمر عليهم، ولا يستنصرون عدوا يكون هو أول الشامتين بهم، شعارهم هو قول شاعرهم :

ولا نخاف إلا الله من أحد غير السيوف إذا ما انمر ورق النظر

هذه هي الرسالة الملكية الكريمة التي مهما نقل فيها فلن نوفيها ولو بعض حقها، وقد قلنا انها رسالة القرن، وهي فعلا قد انشئت بمناسبة استقبال القرن الهجري الجديد، ولا بد حينئذ أن نستحضر تطور الزمان والانسان والفكر والحضارة في هذا القرن لنضعها في مستواه ونقيسها بمقياسه، علما بأن صاحبها من القادة القلائل الذين يعيشون عصرهم، ولا سيما في العالم الإسلامي، فتحية لجلالته بمناسبة مرور عشرين عاما على جلوسه السعيد، وبمناسبة عيد مولد جده المصطفى عليه الصلاة والسلام، وبالمناسبة الفريدة، التي أصدرها فيها، والله المسؤول أن يطيل عمره، ويديم نصره، ويخلد في الصالحات ذكره، والسلام على مقامه العالي بالله.

عبد الله كنون

الحسن الثاني

لسان المغرب الناطق وترجمانه الصادق

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

منذ اثنين وثلاثين عاما وبضعة أشهر قام ولي عهد المملكة سمو الأمير مولاي الحسن ابن جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف، برحلة استطلاعية، وزيارة ودية، لتونس وفرنسا واسبانيا، وذلك بمناسبة بلوغ سموه من العمر عشرين عاما، وكانت تلك الرحلة المولوية التي وجهه إليها سيد البلاد ومحرر الوطن محمد الخامس طيب الله ثراه هي بالنسبة إليه أول رحلة من نوعها يقوم بها ولي عهد المغرب، حيث استغرقت مدتها شهرين وبضعة أيام قطع سموه أثناءها آلافا من الكيلومترات برا، وآلافا من الأميال بحرا، وتعرف فيها إلى مآت ومات من الشخصيات لمختلف الفآت والبيآت، وتطلع خلالها إلى عدد غير محدود من الأجواء والآفاق، وأطلع بفضلها على أصناف متنوعة من العوائد والأخلاق.

ولما اعلنت البشرى بعودة سموه من تلك الرحلة الموفقة إلى وطنه العزيز، حررت مقالا افتتاحيا بصحيفتنا اليومية «منبر الشعب» لسان حال «حزب الوحدة المغربية» في عددها الصادر بتاريخ 16 ذي القعدة 1368 الموافق 10 شتنبر 1949 علقت فيه على هذه الرحلة الأميرية الأولى من نوعها، واخترت لذلك المقال التاريخي عناوين موحية تندرج في نطاق ما يسمى الآن (بالرؤية المستقبلية) وهذه العناوين التي توجت بها افتتاحية «منبر الشعب» وضعتها حسب الترتيب الآتي :

(اكتشاف جديد في العائلة المالكة - ولي عهد المملكة وأميرها خير رسول يوجهه المغرب إلى الخارج - سمو الأمير مولاي الحسن بن محمد **دبلوماسي المغرب المنتظر**)، وكان مما جاء في صلب المقال : «لقد كان ولي عهد المملكة حيثما حل وارتحل محور الحديث الطري، والتعليق الشهي، عند جميع الطبقات، ومحل الاعجاب البالغ القوي، والانجذاب السحري الخفي، عند مآت المعجبين والمقدرين من رجال ونساء، وفتيان وفتيات، إذ كان أول رسول من نوعه وجهه المغرب إلى الخارج ليبيض وجه المغرب».

ثم عللت وحللت ما لقيه سموه من حسن الاستقبال، في الحل والترحال، قائلا ما نصه بالحرف : «فقد جمع حفظه الله إلى ما امتاز به من ذكاء، ونبوغ ونشاط، بسطة في العلم والجسم، وأضاف إلى خلاله العديدة رقة الحاشية، وحسن الهندام، وقوة الجاذبية، وملكة الانسجام، وسحر العبارة، ولطف الإشارة، فمن أين أحطت به أخذ بمجامع قلبك، ومن أين أحاط بك استولى على لبك، وبهذه الخصال السامية، التي أكرمته بها العناية الإلهية، كان رسولا موفقا ناجحا في حله وترحاله، وكان خير ممثل لشعبه ولاكرم خصاله».

وأشرت بعد ذلك إلى ما يمكن أن تتركه زيارته من أثر في نفوس المسؤولين الفرنسيين والاسبان الذين أخذوا منذ مدة يتفرسون في ملامحه ما تلده الليالي ويكشف عنه مستقبل الزمان، فكان مما قلته بالحرف في نفس السياق : «ولا نشك أن سمو الملكي قد صفى من الخواطر، وأزال كثيرا **من الوساوس**، وجذب بجمال لطفه وسحره إلى حب الشعب المغربي، واحترام العرش المغربي، **كثيرا ممن كانوا لا ينقادون ولا يقادون**». ويدخل في هذا التعريض من باب أولى وأحرى مقيم فرنسا العام إذ ذاك بالمنطقة السلطانية الجنرال جوان، ومقيم إسبانيا في نفس الوقت بالمنطقة الخليفية الجنرال فاريلا.

ورغما عن الجو السياسي الملبد بالغيوم في مختلف مناطق المغرب، انتهزت هذه الفرصة السانحة، فأطلقت لخيالي العنان،

وعبرت عن مشاعر الشعب الدفينة، والآمال العريضة التي يعلقها على جلالة ملكه وسمو ولي عهده أصدق تعبير، وبأجلى بيان، فقلت في مقالي التاريخي ما نصه بالحرف :

«ولن نكون **حالمين** ولا **مرضى الخيال إذا اخترقنا حجب الغيب**، وانتظرنا في المستقبل القريب ان يسافر ولي عهد المملكة إلى فرنسا واسبانيا، وغيرهما من الدول، على رأس وفد شعبي مخزني يصفي المشاكل المغربية القائمة، ويعود إلينا بمعاهدة جديدة، واحدة ووحيدة، تسجل **وحدة المغرب وسيادته واستقلاله**، وتضمن للأطراف التي لها مصالح جميع مصالحها المعقولة، التي لاتتعارض مع حقوق الدولة المغربية والشعب المغربي».

ثم أضفت فقرة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها يتعلق الأمر فيها بانتمائنا الدائم إلى عالم العروبة والإسلام، فقلت أيضا :

«ولن نكون **حالمين** ولا **مرضى الخيال** إذا **اخترقنا حجب** الغيب، وانتظرنا في المستقبل القريب أن يسافر ولي عهد المملكة إلى مصر وبلاد الشرق العربي، على رأس وفد شعبي مخزني يضع اللبنة الأولى في بناء الجامعة العربية : **(الجامعة قولا وفعلا)**، على أساس وحدة العرب أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها، ويعيد إلى أحضان العروبة ـ التي هي أم العرب الأولى ـ بقية أبنائها وأحفادها، الموزعين في هذا الركن القصي من العالم».

وأخيرا عقبت على ما قد يعتبره البعض حلما من الأحلام، قلما توجد به الأيام، فقلت : «وحتى لو كنا حالمين، فما في الحلم عيب ولا مساءة، فكل الشعوب تحلم بأعز أمانيها، وتناجي في سويداء قلوبها أقدس مثلها العليا، التي لا يطيب لها العيش بدونها، **إلى أن تصبح حقائق واقعية، تحيى النفس وتنعش الضمير»**. (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا).

هذا ما قلته في المقال الافتتاحي بصحيفتنا اليومية (منبر الشعب) في عددها الصادر يوم 10 شتنبر 1949، ولم تمر بعد ذلك التاريخ ستة أعوام وبضعة أشهر حتى أصبحت أحلامنا وأمانينا الوطنية، **حقيقة ماثلة للعيان** من حقائق التاريخ القومية، وحتى كان لسمو مولاي الحسن بن محمد ووالده المحرر العظيم في تحقيق تلك الأماني **حصة الأسد**، وصدق المثل العربي السائر إذ قال : (أنجز حر ما وعد).

واليوم، وقد مضى على افتتاحية «منبر الشعب» اثنان وثلاثون عاما وبضعة أشهر، ومضى على استقلالنا ما يزيد على ربع قرن، وانصرم من العهد الحسني الزاهر منذ جلس مولاي الحسن أطال الله بقاءه على عرش أجداده المنعمين ما يزيد على العشرين عاما، ماذا يمكن أن أقول بالإضافة إلى كل ما سبق ؟

أولا : انني لأحمد الله حمدا كثيرا على ما وفق إليه من فراسة صادقة، ورؤية واضحة للمستقبل لم يكن يشوب صفاءها غيم ولا ضباب، وان نظرة اليوم أنصع وأروع وأكمل من نظرة الأمس، إذ لم يعد يحجبها أي حجاب، (ان في ذلك لآيات **للمتوسمين**).

ثانيا : ان شعب الحسن الثاني لم يزده مرور الأيام إلا ثقة بعاهله المفدى، وإيمانا بجدارته وكفاءته، واعتزازا بقيادته، وتقديرا لتضحياته المتوالية في سبيل أمته وملته، وتعلقا بالعرش العلوي الشريف.

ثالثا : ان ما حمله الحسن الثاني من أعباء الحكم ومسؤوليات القيادة العليا للبلاد أبرزت فيه خصالا أخرى تضم إلى ما تفرسه فيه شعبه من خصال ممتازة، **وهو في عنفوان الشباب**، وعلى رأس تلك الخصال البارزة التي صقلتها التجارب، وجعلت شخصيته القوية شخصية متميزة تفرض نفسها على القريب والبعيد، والموافق والمخالف : شجاعته وحصافته، وصراحته وحكمته، وعفة لسانه وصدق لهجته، ونبله في مودته وخصومته، مع فصاحة اللسان، وبلاغة البيان، بحيث إذا تحدث عن شؤون المغرب، والعالم العربي أو العالم الإسلامي، أتى بالبرهان والدليل، وشفى الغليل، ولم يترك المجال لأي لبس أو تأويل، وإذا خاطب شعبه أو خاطب العالم خاطبه بقلب سليم غير عليل، وبلسان صادق بريء كل البراءة من التضليل والتدجيل.

ويجمع كافة الملاحظين والمراقبين على أن الحسن الثاني عندما يتحدث في الشؤون العامة يتحدث بلهجة «الزعيم الشعبي» الذي يقود أمة بأكملها، ويعبر بكل صدق وصراحة عن مشاعرها، لا بلهجة «رئيس الدولة» الذي من شأنه التحفظ والحذر، في الورد والصدر وبذلك كان جلالة الحسن الثاني بحق وصدق **(لسان المغرب الناطق، وترجمانه الصادق)**.

أدام الله عليه نعمة السداد والتوفيق، وهداه دائما إلى أقوم طريق.

محمد المكي الناصري

تحيّة لمولانا أمير المؤمنين

في ذكرى جلوسه على عرش أجداده المجاهدين

للأستاذ الرحالي الفاروق

نحيي ملكا شهما عظيما، وقائدا سويا كريما، وعربيا أصيلا صميما، وعرشا مدبرا حكيما، يخوض معارك تحريرية، ويقود ممالك مغربية، وشعوبا عربية وإسلامية، وهو رئيس القدس الشريف، وإمام المسجد الحنيف، أمير المومنين وحامي حمى المسلمين، جلالة الحسن الثاني نصره الله بنصره المبين، وإننا لنرى ونعلم أن شعوب العالم تتوفر على أعياد دينية وقومية، وذكريات مدنية وتاريخية، تعتز بذكرها اعتزازا، وتفخر بوجودها افتخارا، بيد أن هذه الأعياد وهذه الذكريات التي تقام من آن لآخر ليست في مقام واحد ولا في درجة واحدة، بل تتفاضل فيما بينها بحسب شرف موضوعها وسمو معانيها، كما أنه ليس الشأن أن تكون مظهرا من مظاهر الجهالة والخلاعة، والسفاهة والغواية، ولا أن تكون فرصة لإطاعة النفوس الفاجرة، ولا للشهوات الثائرة، ولا أن تكون مجالا للتهتك والتفنن في الأدب المكشوف، ولا أن تكون فراغا إلا من الضجيج والطنين والتصفيف والتصفيق، إنما العيد كان لاستخلاص المعاني واستجلاء النتائج والاستفادة من الوقائع ثم التعبير عن معاني السمو في الأمة والتصوير لنظامها المطبوع بطابعها المبين عن قصدها وإرادتها وعن نشاطها وقيمتها، والدعوة الى الاخوة الشاملة والعيشة الراضية والعزة الكاملة بأساليب جديدة تناسب الزمن الجديد زمن الذكرى والعيد، فتكون حياة نظام واستقرار وفكر وإمعان، لا حياة شهوة وغفلة، ومظاهر وألوان، حياة تثير معاني الحب والإيمان، والرحمة والإحسان، لا حياة كراهية وقسوة وكفر ونسيان، ولعل أغلب الناس وسوادهم يفهمون من عيد العرش مثل ما يفهمونه من مطلق الأعياد الجارية وإن كان ذلك فهم واهمون وعلى الحقيقة ناكبون، فعيد العرش يلوى على الذكريات جميعا وينطوى على المعاني بأسرها، ويطبع بطابع الخلافة القائمة مقام الرسالة، وله معنى أدق وأعمق، وموضوع أهم وأعم، ومرمى أسمى وأبعد، ولذلك ترنو إليه العيون وتحدق إليه الأبصار في مصالح دنياها ومصالح أخراها، وتربط حياتها بحياته ومصيرها بمصيره فبالأمس طويت بالعرش صحف الاستعمار وبالعرش إن شاء الله تستخلص أقاليم الصحراء، وما سواها من الأطراف والأجزاء التي اقتطعها الأجنبي الجائر من أرض الوطن ونقصها من أطرافها، وبه تجاهد الأمة وتحافظ على كيانها الذاتي ووجودها المادي ونفوذها الروحي وإنه قبلتها ومثابتها وساحة العزة ومناخها، وإنه القلب النابض والعقل المدبر والروح الساري في جسمها، ألا ترى أن المغاربة قضوا شطرا من الزمن وهم في محن الاستعمار وفتنه عائشون، وفي أمواج ظلمه وعسفه غارقون وقد غير عادتهم ومصالحهم وتناسى مجدهم وتاريخهم وتعامى عن الحقيقة وكاد لهم وذهب هذا الشيطان مذهبه ونفذ أمره وسلطانه وأغرى أذنابه وأصحابه، ومع ذلك سكتوا غير راضين وصبروا غير طائعين، لأنهم يرون العرش قائما ويرمقونه سالما، فكانوا يتعزون بقيامته ويتسلون بسلامته، وهكذا نشأ ظل الاستقلال وبدأت هزيمة الاستعمار ومعلوم أن أعظم المسؤوليات لا تكون عاقبته إلا سيئة ولا تتبعه إلا الهزيمة والضعف والاستسلام سنة

الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا. وكما كان العرش وفيا لرسالته كان الشعب وفيا لعرشه ومخلصا في أمانته. وقد عمل العرش على تحقيق مصالح الشعب وإنجاز رغباته. وأردف ذلك بإعلان جمع التراب ووحدة الأجزاء. فازداد حب الشعب وولاؤه وتضاعف اخلاصه ووفاؤه. وتوالت الأعمال لصيانة الاستقلال وضمانة الاستقرار. ولا ريب أن الجهاد القائم والكفاح اللازم لصون الاستقلال أعظم وأكبر من الجهاد لحوز الاستقلال فرفع العرش المجيد مستوى الجهاز الإداري بما أسداه من إرشادات متوالية ونصائح متعالية. وهكذا كان عمل العرش عظيما ورائعا قبل الاستقلال وبعد الاستقلال. وكان عمدة الكفاح وسر النجاح في الأوائل والأواخر. وبذلك ثبت أن لعيد العرش هدفا أوسع ومعنى أسمى ووجودا أقوى. وكان حال المستعمرين وحال أذعيائهم من المسخرين كما قال تعالى :

«وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم» الآية. ولعل أفضل ما يتوجه إليه النظر، ويطيب به المقام ويتطلبه الخبر، هو توجيه أطيب التحيات والأماني وبعث الولاء والإخلاص والتهاني الى حضرة الجالس على العرش العلوي الشريف، والى القائم على جادة الدين الحنيف أمير المومنين وإمام المجاهدين، جلالة الحسن الثاني الذي مهد أسباب السعادة ووطد أركان السيادة وحقق المجد والمجادة. وضمن للبلاد وحدتها الكاملة وحريتها الشاملة واستقلالها العام المطلق في حظيرة خلافة وامامة الإسلام وفي دائرة الهدوء والأمن والنظام. وصاحب الجلالة يستقبل عيدا سعيدا وعهدا مجيدا وعيشا رغيدا أساسه الإخوة الإيمانية والعقيدة الإسلامية والتربية المحمدية والمحبة الانسانية والنعم المتوالية وهي نعم لا تحصى ولا تستقصى فيحق أن تقابل هذه النعم المتكاثرة والآلاء المتواترة بالحمد والشكر في السر والجهر. كما يحق أن يؤدى حق الله العظيم وحق الله توحيده وعبادته وذكره ومحبته. وفي كتاب الله ، **«ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبا لله»** فلنشكر نعمة الله علينا ولنذكر فضله وإحسانه إلينا، بمناسبة هذا العيد الضاحك الباسم والاحتفال الرائع السالم، فإن ذلك مجلبة للطاعة والإيمان ومردعة للشهوة والعصيان ومدعاة الى الخير والإحسان فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

مولاي ها نحن نعيش في يوم أغر وفي عيد أطهر وفي وقت أشهر ونقيم ذكرى من أجل الذكريات الوطنية وأعز المناسبات القومية تحمل في ثناياها روائع المعاني ونوادر الأماني فكانت ذكرى زاهية ترقرقت كالشمس في حللها السندسية وأنوارها اللؤلؤية وأشعة معانيها الذهبية، وألمعت الى البشر والبشائر الآتية. فهي حقا ذكرى مليئة بالمبادىء الإيمانية والمقاصد الشرعية طافحة بالأماني والمغاني عامرة بالمصالح والمطامح. وكل ذلك من مقتضيات العرش وخصائصه ومن معطيات الفكر ونتائجه. إذ بالعرش نجاهد ونقاتل ونكافح ونناضل وندافع عن الوحدة الترابية والأقاليم الصحراوية. وبه نعتز ونفخر ونفوز ونظفر ونستقل ونتحرر وبه كل أمانينا وأحلامنا. وبه نحيا حياة روحية ومعنوية ومادية ودنيوية. والعرش خلافة الإسلام. والإسلام دين ودنيا يجمع بين الاثنين ويمزج بين الأمرين فليس بالمادة التي لا تنظر الى الروح ولا بالروح التي لا تنظر الى المادة. بل يعالج شأنهما ويباشر حكمهما. والله جل وعلا يقول ، **«ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين»** فاسمعوا وأطيعوا وكونوا درعا للعرش القائم على محجة الإسلام الظاهرة الموجب لسعادة الدنيا وسعادة الآخرة. ولا تتأخروا عن دين الإسلام الذي يحميكم من دوافع الإجرام وقواطع الأرحام فهو الرائد الحكيم والصراط المستقيم، وهو الدولة الحاكمة والجماعة القائمة. وهو الأخلاق الفاضلة والمعاني الكاملة فعضوا على نظامه بنواجذكم ولا تغفلوا عن تعاليمه في حياتكم وسيروا وراء عاهلكم الكريم صاحب العرش العظيم الذي يسهر على حفظ مصالحكم ونيل مطامحكم فالله يوليه رعايته ويسبغ عليه نعمه ويطيل عمره وحياته لننهج نهج الإسلام والمسلمين ولنسير في طريق الجهاد والمجاهدين.

ومن واجب الشعوب الواعية والنامية التي أصبحت تومن بحياة النهوض والتقدم أن تقصد أبواب المعرفة والثقافة وأسباب التعاون والتضامن بقولها وعملها. وبالأخلاص في أطرها وميثاقها. وان تحث السير وتبدى الحماس والنشاط لبناء النهضة المباركة التي تشمل الغايات الاجتماعية والقطاعات الاقتصادية والتي رسمها وأشرف عليها جلالة الملك الهمام الحسن الثاني سدد الله خطاه وزاد في معناه كما يجب أن تتلاقى هذه النهضة الشاملة في الجوهر مع الماضي الغابر، وتتناسب في الشكل مع العصر الحاضر حتى لاتكون نهضتنا عاقة للماضي ولا جافة في الحاضر كما يجب أن تتلاءم مع متطلباتنا فتتشبث بالعلوم الإنسانية وترتبط بالخصائص المعنوية والمقومات الوطنية، حتى نجمع إن شاء الله بين حضارة المادة وحضارة الروح. وبذلك نملك القوة والعزة ونملك الايمان والعفة وأما الحضارة المادية التي لا روح معها فإن خيرها بعيد

وشرها قريب، ذلك أنها قد تذهب لسبب من الأسباب وفي أيام أو ساعات، يتهدم ما بني في قرون وسنوات وأول ما يقوم عليه البناء ويحسن فيه المدح والثناء حركة العقل السليم ومصلحة العلم والتعليم إذ الحياة أخلاق وأرزاق وجادة ومادة، وما زاد عليهما فهو من تتميمهما وكمالهما. وبلدنا ولله الحمد موطن العروبة والإسلام، وموطن الرجولة والبطولة وموضع الذكاء والثروات الطبيعية والبشرية ومن ثم كانت العناية بميدان التدريب والتعليم ومصالح التنمية والتصميم نحظى بعناية الله وبمقاصد اسم حمو الله وتتعاطى العمل في سبيل الله والعمل في هذين القطاعين يشرف المسؤولين والقائمين ويرفع درجة العاملين والمخلصين الا فلنعمل ولنتحد في العمل والخلاص للهيئة الطاهرة والراية الشامخة، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين

تحل في شهر يوليوز القادم
الذكرى 25 لصدور مجلة

دعوة الحق

احتفاء بالعيد الفضي
للمجلة، نصدر عددا خاصا
عن دور المجلة في الحياة
الفكرية المغربية.



تهيب بالسادة الاساتذة
الكتاب المساهمة في هذا العدد.

رسالة علماء المغرب في دعم الكيان الوطني

للأستاذ أبي بكر القادري

حضرات السادة الزملاء الأفاضل

أرى حقا علي بادىء ذي بدء، وقد شرفني جلالة الملك المعظم، فأنعم علي بتعييني عضوا بأكاديمية المملكة المغربية، أن أزجي خالص الشكر والعرفان، ووافر الإجلال والإكبار، لرائد النهضة العلمية، وباعث أمجاد الأمة المغربية، وحارس الوحدة الترابية والعقائدية والفكرية، جلالة الملك الحسن الثاني، الذي أقام للفكر والعلم والمعرفة أركانا، وأبدع فأحسن الإبداع وأتى منه ألوانا، وما معقلنا الحصين هذا، وقلعة الفكر والثقافة والعلوم هذه، إلا مظهر واحد من مظاهر عبقريته التي لا تطال، ووجه من وجوه رعايته بالعلم وأهله، وقادة الفكر والمبرزين فيه، سواء منهم رعايا مملكته المنيفة، أو غيرهم من علماء شتى الأقطار.

وان نظرة سيدنا هذه، نظرة شمولية، وهي تدل على عبقريته المثالية، ونظرته السامية إلى تحقيق مبدأ من مبادىء الإسلام الذي يجعل التعارف والتعاون أساسين في التعايش بين بني الإنسان، مصداقا للآية الشريفة التي تقول : **((يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا))** والآية الكريمة الأخرى التي تقول : **((وتعاونوا على البر والتقوى))**.

فإلى جلالته وهو العالم الفذ، والمفكر المبدع أتوجه بما يليق بمقامه من آيات الامتنان والتقدير، والدعاء باطراد النصر والتأييد والتوفيق.

حضرات السادة الزملاء

إن من مقاصد أكاديمية المملكة المغربية، اثراء التفكير الإنساني في مختلف فروع النشاط الفكري والعقلي والديني، وإبراز القيم والمقومات التي قامت على أساسها الحضارة البشرية في شتى العصور والأحقاب، استمرارا للدور الريادي الذي اضطلع به المغرب المسلم على الدوام، إشعاعا وهداية وتأثيرا في العلاقات بينه وبين مختلف الشعوب، سواء في ذلك الاشقاء والاصدقاء في افريقيا وأروبا وآسيا الذين امتدت بيننا وبينهم جسور الإخاء والتعاون والتفاهم، ذودا عن المثل العليا، وحماية المبادىء السامية، وصيانة التراث الحضاري المشترك.

وإن رسالة المفكرين المغاربة، ومسؤولية علمائنا الاعلام، ومواقف المصلحين منهم لمما يقوم شاهدا على جلال الاسهام الحضاري، وشموخ العطاء الإنساني اللذين تميز بهما تاريخ المغرب، الأمر الذي بوأه مكانة انفرد بها وما يزال.

فلقد كان هؤلاء الرجال القمم، نماذج يعتز بها تاريخنا الشاهد على اهتماماتهم المتعددة ونضالهم الناطق بعلو كعبهم في القيادة الفكرية، وسمو منزلتهم في الساحة الجهادية، بما كانوا يصدرون عنه من إيمان راسخ، ويقين ثابت، وما جمعوه من تبحر في العلوم، وتضلع في الفنون، واهتمامات بفروع المعرفة، والإبداع في حقولها المختلفة، وأن سعيهم الموصول لصياغة العلاقات الإجتماعية، وترشيد

الإتجاهات العقلية والسياسية، وتبصير الناس بأمور دينهم، وإقامة شؤون دنياهم على أساس من العقيدة والإيمان مكين. وعلى قاعدة من العلم والفهم والاستيعاب متينة راسخة، لمما يدل على أنهم كانوا هداة صادقين، وموجهين مخلصين، وواعين لمسؤولياتهم وناصحين، ضاربين بسلوكهم الذي يمزج بين العلم والعمل، والمعرفة والجهاد، والنظرية والتطبيق أروع الأمثلة على نحو هو غاية ما تسعى إليه الإنسانية اليوم، ومنتهى ما تشرئب إليه أعناق المفكرين والعلماء المناضلين.

ولا غرو، والأمر كما رأينا، أن يكون هؤلاء الرواد الأوائل، مصابيح على الطريق الطويل الممتد الذي سلكه المغرب طوال عهوده المختلفة، مؤثرا وفاعلا، ومسهما في التحولات ـ المتعاقبة التي عرفها الفكر الإنساني، أخذا وعطاء، وإفادة واستفادة.

حضرات السادة الزملاء

إذا كان تألق المغرب وازدهاره، تواصلا دون انقطاع، في شتى حقول النشاط الإنساني، فإن حضوره الدائم في الساحات الفكرية، اصطبغ دائما بالتميز والخصوصية.

ومن هذه الخصال الوطنية، والمثل العربية الإسلامية، وخصائص الأنسية المغربية، استمد رجال الفكر وقادته في هذه البلاد، حوافز الكفاح على شتى الأصعدة، مما جعلهم عنصر استقرار للكيان المغربي، وعامل تعميق لقيم الإسلام، ومصدر تنشيط وإنعاش للحركة الفكرية، سواء في المجال الفقهي والتشريعي، أو في ميادين الإبداع الثقافي والإبتكار الأدبي والعلمي.

لقد كان علماء المغرب وفقهاؤه واثقين بأنفسهم في مجالات دراستهم، آخذين بمنهج النقد في درايتهم وروايتهم، معروفين بمرونتهم وقدرتهم على التكيف حسن العوامل البيئية ـ والجغرافية والنفسية، بحيث كان العلماء المغاربة في طبقاتهم العليا، يماثلون إخوانهم المشارقة في أصالتهم وعراقتهم، ويتجاوبون مع ضمير الأمة الإسلامية التي تنظر إليهم باعتبار وإكبار. ولقد لاحظ ذلك كثير من الباحثين، ومن جملتهم الدكتور سامي النشار الذي كتب قائلا : ((إذا كان في المشرق كواكب أضاءت الفكر الإنساني في مختلف النطاقات العلمية، كذلك في المغرب كواكب لا تقل أصالة عن كواكب المشرق)).

أيها الزملاء الكرام

لقد أدرك كثير من علمائنا الأعلام خلال التاريخ، ما نيط بهم من مسؤوليات، وما تحملوه من ميراث ثقيل، فأقبلوا يؤدون واجبهم بإخلاص وصدق يقين، وكتبوا صفحات سجلت في التاريخ بأحرف من نور، وعلموا أن مهمتهم لا تنحصر في مجال واحد من مجالات الحياة الإنسانية، ولكنها تشمل كل المجالات التي تصون الشخصية في المجتمع، وتصرف عنها كل ما من شأنه أن يشينها أو يعرضها للذوبان، وهكذا نراهم فارسي الميدان في الدفاع عن حقائق الدين، ومكافحة شبهات المبطلين، كما نراهم في مقدمة المجاهدين لصد عاديات المغيرين من الخصوم والأعداء المتربصين.

وإن في بعض مواقف هذه الصفوة من الشعور بالمسؤولية، والإهتمام بقضايا المجتمع الإسلامي، والشجاعة القلبية، وعمق الوعي وشدة الإلتزام، ما ينير لنا الطريق، وما يدفعنا إلى تقصي جوانب من حقائق تاريخنا، وما يحملنا على الإعتزاز بنصاعة هذا التاريخ، ويقوي فينا الرغبة إلى الأخذ من عبره التي لا تنقضي، ودروسه التي لا تنتهي، استلهاما واستمدادا، وتزودا لما يفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا.

وإذا كان المقام لا يسمح بالإسهاب فلا أقل من إيجاز القول حول بعض النماذج من هؤلاء الأعلام الذين أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن تراثنا الحضاري مما يؤكد اننا كنا من أسبق الأمم والشعوب إلى معالجة قضايا وشؤون، على نحو هو مثار إعجاب، وموضع اعتبار.

فهذا عالم من جلة علماء الأندلس والمغرب، وعلم من اعلام الفقه والدعوة والنصيحة والتربية الإمام محمد بن ابراهيم النفزى الرندى المكنى بابن عباد والمتوفى بفاس سنة 792هـ، يعطى المثال على العالم الشاعر بمسؤولياته نحو أفراد مجتمعه فعندما يلاحظ بعض الإنحراف في بعض الولاة، والمظالم التي تصيب المواطنين من جراء تصرفاتهم، لا يطيق السكوت عن ذلك بل يعتبر السكوت خيانة للعهد الذي أعطاه لأمير المؤمنين، وتنكرا لأمانة التبليغ التي كلف بها، وإقرارا للظالمين على ظلمهم، وهو مالم يرضه أبدا، ولا تستصيغه ذمته وأمانته، فيكتب لسلطان المغرب في وقته السلطان عبد العزيز الأول المريني، رسالة يمكن أن نعتبرها نموذجا لما كان عليه العلماء من اهتمام بقضايا وشؤون المجتمع، ونضال مستميت في سبيل الذود عنه، ودفاع عن مصالح أفراد الأمة وجماعاتها، وعمل على رفع الحيف عنها، كما تدل على التجاوب الصادق الذي كان حاصلا بين العلماء العاملين والأمراء المخلصين.

لقد كتب ابن عباد رسالة طويلة إلى السلطان المريني، يشتكي فيها إليه من مظالم الرتب، وهي ما كان يوخذ من المسافرين في الطرقات، ويطالب بزوالها ثم يقول في رسالته :

((وأنا الآن أجدد الرغبة إليكم، فاعلم يا أمير المؤمنين أن من تولى ذلك من أهل الفساد والشر، قد انتشروا في بسيط الأرض، وقطعوا طرقاتها على المساكين والمستضعفين، وحازوا منهم الأموال الحرام بالنصب والغصب، ما استعانوا به على ارتكاب الكبائر والفواحش)).

ويغتنم هذه الفرصة ليبين الشروط التي لا بد من توفرها في الولاة والعمال فيقول : ((واعلم يا أمير المؤمنين أن العدالة مشروطة في كل ولاية، كائنة ما كانت. لا بد للمستولى من الإتصاف بها وهي أن يكون صادق اللسان، ظاهر الأمانة، عفيفا عن المحارم، متوقيا للمآثم، بعيدا من التهم والريب، مأمونا في الرضى والغضب، مستعملا لخصال المروءة الدينية والدنيوية. فهذه الخصال هي التي ذكر العلماء أن باجتماعها تكون العدالة في الولاة)) ثم تقول الرسالة : ((فعليكم يا أمير المؤمنين أن تتصفحوا أحوالكم، وتتفقدوا عمالكم، وتكفوا أيديهم، وتستخرجوا منها ما خانوكم فيه أنتم ومن تقدمكم، وذلك بأن تتعرفوا مقدار ما كان يملك أحدهم من المال قبل الولاية، وتأخذوا ما زاد عليه، وتجعلوه في بيت مال المسلمين، كما كان يفعله الخلفاء الراشدون، ولا شك أنكم تملأون بذلك بيوت الأموال، وتستغنون بذلك الإستغناء التام، عما أحدث من المظالم والمراسم والمغارم - الضارة برعيتكم)).

وقبل ابن عباد بنحو ثلاثة قرون نجد رائدا مغربيا من رواد مدرسة الفكر السياسي الإسلامي هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادى صاحب كتاب ((السياسة)) أو ((الإستشارة في تدبير الإمارة)) يضع كتابه المذكور ليكون دستورا لابن بكر بن عمر - اللمتوني وللمرابطين من بعده. وهو كتاب قيم للغاية يتحدث فيه عن فلسفة السياسة وعلاقة الحاكمين بالمحكومين، والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الحاكم إلى غير ذلك من الأبواب التي تؤكد أن علماءنا لم يكونوا في غفلة عن قضايا مجتمعهم، ولقد جاء في مطلع الكتاب : أما بعد، أطال الله بقاءك في عز لا يزال الولي يحمده، والعدو يحسده، وأدام ارتقاءك في مجد لا تزال الأيام تجدده، والتوفيق يؤكده إلى أن يقول : فمن أحب المعالي أدركها بالحكمة، ومن أحب الحكمة أدركها بالنظر المنتظم، ومن عنى بالنظر في الأمور، أدركه بمساءلة العلماء ومجالسة الحكماء، وادمان الفكرة في خلواته، واستشارة ذوي الرأي من ثقاته.

ومن الأعلام الذين عملوا بنشاط ودؤوب لقضايا المجتمع المغربي وإصلاحه ومقاومة الإنحراف فيه الإمام أبو عمران القاسي وتلميذه المخلص الصادق، وجاج بن زلو اللمطى المؤسس الأول لدولة المرابطين بجزولة، والتي كانت مركزا علميا مزدهرا، وزاوية يتكون فيها العلماء العاملون، والمجاهدون الصادقون.

فلم يكن عبد الله بن ياسين إلا تلميذا لوجاج، ولم تكن ثورته على الإنحراف والانحلال والزيغ والفساد، إلا نتيجة ما تلقاه على أستاذه من دروس.

كان عبد الله بن ياسين مثال العالم المستقيم، العامل لدينه ودنياه، المجاهد في سبيل اعلاء شأن أمته وعقيدته، لقد كان يدعو ويعلم، ويجاهد ويكافح، مع تقوى وصلاح، واقتفاء لخطى الأسلاف، قال عنه الدكتور النشار : لم أجد بعد صحابة رسول الله عبقريا من أبطال الإسلام، لم تشب حياته شائبة مثل عبد الله بن ياسين.

وإذا طوينا صفحات التاريخ، وسرنا سريعا عبر أحقابه إلى عصر الدولة العلوية الشريفة تجنبا للإطالة، نجد من أبرز العلماء والمفكرين الذين واكبوا ظهور هذه الدولة المجاهدة الإمام أبا علي اليوسي، الإمام الذي تتلمذ عليه بعض الملوك العلويين، أمثال المولى الرشيد والمولى اسماعيل رحمهم الله لقد اهتم ((اليوسي)) بقضايا مجتمعه، وتعلق التعلق الكبير بملوك دولته، فدفعه تعلقه إلى بذل النصح الصادق، قصد توطيد أركان الدولة العلوية واستتباب الأمن في ربوعها، وتطوير المجتمع المغربي في ظلها، ومقاومة كل ما من شأنه أن يسيء إليها.

لقد رأى اليوسي، بعض الممارسات التعسفية التي يقوم بها جباة الأموال فلم يرضها ولم يستصيغها فكتب إلى أمير المؤمنين المولى اسماعيل كتابا قال فيه : ((فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته، قد جروا ذيول الظلم على الرعية، ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا، أما الدنيا فقد أخذوها، وأما الدين فقد فتنوهم عنه، وهذا شيء شهدناه، لا شيء ظنناه، ثم أن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم، فعلى السلطان أن يتفقد الجباة، ويكف أيديهم عن الظلم)) وتتمدد نظرات اليوسي إلى قضايا أمته، وتتنوع اهتماماته بمشاكل دولته، فيرى وكأنه يعيش في نفس الظروف التي نعيش فيها الآن، إن حماية الثغور من آكد الواجبات، ويكتب كذلك إلى أمير المؤمنين قائلا : ((فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القلعة إلى ماسة، ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم، ويترك لهم خيلهم وعدتهم، ويزيدهم ما يحتاجون إليه، فهم حماة بيضة الإسلام)).

ويلاحظ أن التعبئة الشعبية تتطلب الأمن والإطمئنان، ونشر الوية العدل بين جميع أفراد الرعية فيكتب قائلا : ((إن المنتصبين

للإنتصاف بين الناس، وهم العمال في البلدان وخدامهم، هم المشتغلون بظلم الناس، فكيف يزيل الظلم من يفعله ومن ذهب يشتكي، سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي.

واليوسي في نصائحه يحمد الله أن جعله في دولة علوية هاشمية شريفة، ومن ضمن رعاياها الأوفياء فيقول : ((حمدنا الله تعالى إذا كنا في دولة سلطان هاشمي علوي فاطمي، يستمع الحق ويطلبه ولا يأنف عنه، ولا يستفزه كبرياء ولا شر ولا بطر، وكنا نرى من سيدنا التشوف إلى الموعظة والنصح، والرغبة في استفتاح أبواب الربح والنجح)).

حضرات الزملاء الأماثل

كان هذا ديدن العلماء العاملين، وفي مقابله كان ملوكنا الاشاوس، وأمراؤنا المخلصون يتلقون هذا النصح بالقبول الحسن، لاطمئنانهم إلى صدق الناصحين وخلوص نصائحهم، وتجردهم في نصحهم عن الأغراض والمنافع والأنانيات.

لقد كانت العلاقة بين الملوك والعلماء والمفكرين، يسودها التناصح الصادق، والتواصي بالحق والخير، ولم تكن قط من قبيل العلاقات المتنافرة، والإرتباطات المتشاكسة، لقد كان ملوكنا رحمهم الله، يسعون ما وسعهم السعي إلى تقريب العلماء وتشجيعهم، وإتاحة فرص العمل العلمي والنصحى لهم، ليمارسوا رسالتهم في الحياة ويؤدوا واجبهم في التبليغ.

وإذا شئنا مثالا على ذلك من واقعنا المعاصر، نجده ماثلا بوضوح كامل، في السلوك الرفيع الذي يتبعه سليل هذه الكوكبة جلالة الملك الحسن الثاني الذي أبى إلا أن يربط الحاضر بالماضي بأوثق رباط، محافظا أعز الله أمره على تلك الشعلة التي أضاءها أجداده الميامين، ووالده العظيم، متقدة منيرة، هادية إلى سواء السبيل.

لقد كان مؤسسو هذه الدولة العلوية ملوكا علماء، مشاركين في الحياة الثقافية بالبلاد، لهم مواقف مشرقة في الذود عن الفكر وحماية المفكرين، فالمولى رشيد من أخلص ملوك المسلمين لأهل العلم، ومن أشدهم حرصا على تشجيعه ونشره، كان مجلسه كما ذكر ذلك صاحب الظل الوارف - غاصا بالعلماء يتجاذب معهم أطراف الأحاديث، ويتناشدون فيه غرائب الأشعار، وفي الشجرة الزكية : ((كثر في أيامه العمل، وانتشرت أعلامه، وفر الجهل وظلامه، واعتز أهل العلم بعزه، وهاب الناس العلماء خوفا من صلصلة سيفه وهزه)) لقد كان هذا الملك المؤسس المولى رشيد يحضر دروس الإمام ابن علي الحسن بن مسعود اليوسي ونظرائه بالقرويين ويناقشهم في دقائق المسائل، ويشجعهم بوافر العطايا.

واقترن المجد العسكري والسياسي في عهد السلطان المولى اسماعيل بازدهار العلم والمعرفة، وكثر العلماء المختصون في الفنون، وتعدد المؤلفون البارعون. ولقد جاء في الظل الوارف حسبما نقله عنه المؤرخ ابن زيدان : ((وقد تخرج في هذه الدولة السعيدة جماعة من الأعلام، لهم القدم الراسخ في العلم، واليد الطولى في الإتقان، وألفوا تآليف حسنة، منهم من فسر كتاب الله، ووضع عليه تقييدا فائقا، ومنهم من شرح موطأ الإمام مالك، ومنهم من شرح الشفا لعياض، ومنهم من شرح مختصر خليل، ومنهم من شرح ألفية بن مالك، ووضع على ابن هاشم حاشية، ومنهم من شرح السلم ومنهم من شرح السبكي، ومنهم من شرح عقيدة السنوسي، وما من علم من العلوم إلا وألف فيه علماء هذه الدولة، وأبدأوا فيه وأعادوا، ووقفوا على الغوامض التي لم يعثر عليها من مضى. ويضيف مؤرخ الدولة العلوية سيدي عبد الرحمان بن زيدان قائلا : إن نهوض هذا الإمام وسلفه بالعلم، واعتناءهم به، وسعيهم في نشره بين سائر الرعية، قد شرق وغرب، وسارت به الركبان في سائر الأقطار والبلدان، حتى صار علماء المشرق يهدون إليه مؤلفاتهم

وقال أبو محمد عبد السلام بن الخياط القادري : ((قرىء العلم في أيامه، وأمنت البلاد والعباد بما لم يتقدم في غيره من الملوك. وقال الدلائي في طالعة أشرف المقاصد لدى حديثه عن العلم في الدولة العلوية ((فإذا بدرر عزهم طالعة مسفرة، وإذا وجوه أفراحهم ضاحكة مستبشرة، فذهبوا حينئذ في العلوم كل مذهب، فعمت مجالس التدريس مساجدهم، وغشيت رحمة التعاطي للفهوم معاهدهم، وصارت حجج العلم لديهم تتمايل اتضاحا، وشبهات الجهل في جانبهم تتضاءل افتضاحا. ويروى المؤرخ ابن زيدان في سيرة المولى اسماعيل أنه كان يستدعي للسهر معه كل ليلة فحول أهل العلم، والأدباء المفكرين يتدارسون الأدب والتاريخ وسير الملوك، حسبما صرح بذلك غير واحد من معاصريه، كما كان رحمه الله يلزم من فيه الأهلية من العلماء بالتصدى والتصدر للتدريس)).

أما السلطان العالم المصلح صاحب المؤلفات المشهورة، والإصلاحات الكثيرة المولى محمد بن عبد الله، فحدث عن البحر ولا حرج. فلقد كان من فحول أهل العلم والنظر والفكر والإصلاح، على تجديد نظام القرويين واختار المؤلفات التي تدرس فيها على حسب الفنون من تفسير وحديث، ونحو بيان، وسيرة وتوحيد، وحساب وتوقيت، وقام بحركة فكرية جريئة، تنشر مبادىء السلف

بين الخلف، وتنتصر للسنة وتحارب البدعة، وتتصدى للإنحراف العقائدي والسلوكي وتشدد على أهل الزيغ والهوى والبدع الضالة، ولقد بلغ درجة من التفوق العلمي، مكنته من أن يجيز ويستجيز، شأن الايمة المقتدى بهم.

وفي المجالات الحياتية الأخرى، عمل على تنظيم العدلية والمحاكم القضائية واهتم بتسيير شؤون البلاد السياسية على أساس من الشورى التي يدعو إليها الإسلام، وكان لا يشاور إلا أهل الرأي والإخلاص، من أمناء الدين والعلماء العاملين.

وجاء السلطان الصالح المصلح المولى سليمان ليتابع سيرة أبيه ويهتدي بهديه فلقد جاء في الشجرة الزكية : ((صرف همته في قراءة العلم وتدريسه وكان عالما عاملا محبا للعلم وأهله)) وفي الدرر البهية : ((لازم مجالس العلم والتدريس، حتى صار في زمانه الإمام، ونشر راية العلوم في الآفاق. ويحدثنا الناصرى في الإستقصاء عن المكانة العلمية للسلطان مولاى سليمان بقوله : ((واما جمعه لاشتات العلوم، فقد كان وارثا من ورثة الأنبياء، حاملا للواء الشريعة جامعا مانعا، إذا بحث في الأخبار كان كجامع سفيان، وفي الأشعار كنابغة ذبيان أو في الفطنة والكياسة كإياس، أو في النجدة والرأي كالمهلب، وإذا خاض في السنة والكتاب، أبدى ملكة مالك وابن شهاب، ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس، لم يشك سامعه إنه ابن القاسم أو ابن ادريس، وإذا تكلم في علوم القرآن أنهل بما يعمر مورد الظمآن. ومن مآثر السلطان مولاى سليمان، وتقديره للعلم والعلماء أنه عاد أبا محمد عبد القادر بن شقرون وهو من خيرة علماء عصره - في مرض موته، وحضر جنازته، وكان من المشيعين لها راجلا حافيا من جامع القرويين إلى الضريح الادريسي، ووضعه بيده في مضجعه الأخير، ووقف حتى سوى التراب على قبره.

ولعل هذا المشهد يذكرنا بمأثرة من مآثر جلالة الملك الحسن الثاني أطال الله بقاءه، عند وفاة أخينا الزعيم العالم المفكر الإسلامي علال الفاسي، فقد أبى تقدير جلالته للعلم والعلماء المخلصين في شخصه إلا أن يزور بيت الفقيد العزيز قبل تشييع جنازته، ويقرأ الفاتحة على جثته الطاهرة ثم ينيب عنه ولي عهده الأمير سيدي محمد ليشارك في تشييع جنازته، ويقف على دفنه في محفل رهيب، دل على عمق الإخلاق وصفاء التجاوب.

حضرات الزملاء الأعزاء

لقد توالى اهتمام ملوك الدولة العلوية بالعلم والعلماء وتدبير شؤون البلاد، والدفاع عن حوزتها وكيانها بكل حزم ونشاط. فهذا السلطان المولى عبد الرحمان الذي قال عنه صاحب الإستقصاء : أنه هو الملك اسماعيل الثاني، نظرا لضبطه وحزمه وكمال تدبيره وتبصره في تسيير شؤون الدولة وعمله على تجديد شبابها، ينظر في شؤون بلاده كلها ويهتم بدوره بقضية العلم والعلماء، ويعطى المثال من نفسه في تربية أبنائه وتثقيفهم وتكوينهم التكوين الصحيح، ويبعث بأحد أبنائه إلى مدينة ((سلا)) وكانت مدينة علم وجهاد، ليدرس فيها مع جماهير الطلبة السلويين، ويطلب من قاضيها إذ ذاك الشيخ عبد العزيز محبوبة أن يختار له عشرين طالبا من الطلبة النجباء ليدرسوا بعض العلوم العسكرية ثم يأمره أن يمتحهم منحا متفاوتة حسب نجابتهم واجتهادهم، وكتب السلطان بمثل هذا لقضاة المراسي المغربية الأخرى.

والوصية التي كتبها المولى عبد الرحمان لأولاده عندما وجههم لأداء فريضة الحج تدل أعظم الدلالة على أن هذا السلطان كان من النوادر الذين يجود الزمان بأمثالهم. ويخلف المولى عبد الرحمان بعد وفاته ولده المولى محمد فيسير هو بدوره على نهج والده ويهتم بالإهتمام الكبير بقضية الجيش - وتكوينه وتدريبه وتعليمه، ويضع المنهج الدراسي الذي يجب أن يكون على أساسه كل فرد التحق بالجندية سواء ما يتعلق بالدروس التثقيفية أو الدروس الأخلاقية والدينية زيادة على الدروس العسكرية، وينصح بتعريب المصطلحات الأجنبية التي كانت تستعمل في تكوين الجيوش وفي مجال تكوين الجيش وتعليمه تقول نصائحه : ولا بد من ترتيب مجلس يومى يسمعون فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه ومغازى الخلفاء الراشدين وسلف الأمة، وأخبار رؤساء العرب - وحكمائها وشعرائها ومحاسنهم وسياساتهم، وليتخير لهم من الكتب الموضوعة في ذلك أنفعها مثل : كتاب الإكفاء لأبي الربيع الكلاعي وكتاب ابن النحاس في الجهاد وكتاب سراج الملوك ونحوها، فإن ذلك مما يقوى إيمانهم ويحرك هممهم، ويؤكد محبتهم في الدين وأهله))

وتولى الأمر بالمغرب بعد المولى محمد بن عبد الرحمان ولده وخليفته المولى حسن الأول وفي عهده هذا السلطان العظيم ازدهرت العلوم، وكثر العلماء، ويكفى أن نذكر من بينهم عالم المغرب سيدى المهدى ابن الطالب بن سودة وعالم فاس والمغرب والصادع بالحق الذي لا تأخذه في الله لومة لائم العلامة سيدى محمد بن المدنى كنون وصاحب الإستقصاء العلامة السلفى سيدى أحمد بن خالد الناصرى والقاضي الأمثل العلامة الناسك السيد عبد الرحمن البريبري والعلامة القاضي أبو بكر عواد ومن محاسن هذا الملك العظيم تقريب العلماء واستشارتهم في الأحداث واستفتاؤهم

في القضايا وتوجيهه للبعثات المتعددة من الطلبة لتعلم العلوم الرياضية والحربية والصنائع المهمة في أوروبا ومصر، واضعا بذلك الأسس الأولى للنهضة الحديثة.

حضرات الزملاء الأعزاء

من الحق أن نقول ، أن هذه المواقف العلمية، وسلوك أولى الأسر المتسم بالرعاية والعناية. كل ذلك مما يمهد الطريق أمام المغرب الجديد في عهده الزاهر، لسلوك سبيل العلم والمعرفة.

وها نحن أولاء نسجل ونشهد ما تسير عليه بلادنا من تطور حثيث في هذا المضمار، ما يملأ قلوبنا اطمئنانا وثقة وارتياحا، ويجعلنا نقر عينا باستمرار دولة العلم والفكر في توازن دقيق وتلازم وثيق في عهد ملكنا العظيم الحسن الثاني حفظه الله، الذي يطمح إلى أن يجعل من هذه البلاد بلادا متقدمة راقية في مختلف مجالات المعرفة، حتى تبقى مكانتها مرموقة وهيبتها مفروضة، ورسالتها مستمرة، ووحدتها دائمة.

وقبل الختام لا يسعنى إلا أن أعبر عن شكري وامتناني، وعطفي وتقديري لصديقي العزيز الباحث الكبير والمؤرخ الشهير الدكتور عبد الهادي التازي على كلماته الطيبة التي قدمني بها إلى جمعكم الموقر، والدكتور التازي غني عن التعريف فهو علم من أعلام هذه البلاد الخيرة الذين يعملون بدأب على التعريف بتراثها وبأمجادها وبأبحاثه وكتاباته وأرجو أن أكون عند حسن ظنه وظنكم، وراجيا من الباري تعالى أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه والسلام عليكم ورحمة الله.

أبو بكر القادري

• • منذ ولانا الله أمر هذا الجانب الغربي من دار الإسلام ضاعفنا الجهود لتعزيز جانب الدين في كل حين، ولم ننقطع عن العمل المتواصل لبعث حيويته وتجديد معالمه وإبراز محاسنه للموافقين والمخالفين، اقتداء بصاحب الرسالة وخاتم النبيئين عليه الصلاة والسلام، وإيمانا منا بأن دين الحق لابد أن يبقى ظاهرا مستمرا على مر الأيام مصداقا لقوله تعالى «ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا» (س الفتح 28).

جلالة الملك الحسن الثاني

(•) الكلمة التي ألقاها الكاتب بمناسبة تعيينه عضوا بأكاديمية المملكة المغربية.

الدكتور رشدي فكار في حديث إلى "دعوة الحق":

حبذا لو أن استعادة الصحراء المغربية تصبح انطلاقا لوحدة المغرب العربي

●● التقت (دعوة الحق) مع المفكر الاسلامي العالمي المرشح لجائزة نوبل الدكتور رشدي فكار.

تحدث الدكتور فكار في هذه المقابلة الى (دعوة الحق) حديث العالم المفكر الذي يقدر الكلمة حق قدرها.

وفيما يلي نص المقابلة ●●

●● والمغرب يحتفل بذكرى جلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش أجداده المنعمين، نود أن تعطونا مشكورين صورة عن نظرتكم إلى المغرب الذي يخوض معركة الوحدة الترابية من زاوية موقعكم الفكري العلمي المتميز.

● لاشك أن كل مسلم غيور على استمرار أمته وعلى تكاملها يسعد حينما تستعاد ولا حبة رمل من أرض مغتصبة فما بالنا حينما يكون الأمر خاصا بأرض إسلامية عزيزة تتحكم في منطقة استراتيجية وتمثل بالنسبة لتراثنا نقطة إقلاع تاريخية لم تقف عند حدود المغرب وانما أشعت خارج الحدود.

إن استرجاع الأراضي المغربية بعودة الصحراء إلى الوطن الأم ليس فقط أمنية غالية تحققت وانما الناظر بموضوعية وبكل تجرد ومن منطلق الاعتزاز بكل أبناء المغرب العربي يرى في استعادة الصحراء إلى الوطن الأم تمشيا مع حركة التاريخ وتجانسا مع المعطيات الانثربولوجية والاقتصادية والسياسية فضلا أولا وقبل كل شيء مع الواجب الديني المقدس.

نشرح هذا باختصار وهو أننا نعيش في القرن العشرين قرن ليس في مكان للتجمعات الصغرى وانما هو قرن التجمعات الكبرى. فهذه المنطقة من المغرب العربي إذا احتكمنا إلى (علم الإنسان) سوف نلاحظ أنها متكاملة السلالات وبقدر ما يتأكل هذا التكامل بقدر ما يكون في ذلك استجابة للبناء السلالي فلا يمكن أن نتصور أن أبناء القبيلة الواحدة جزء منهم ينتمي إلى ناحية وآخر إلى ناحية أخرى. بل يا حبذا لو أن استعادة الصحراء المغربية تصلح انطلاقا لاستعادة وحدة المغرب العربي لا نقول سياسيا وإن كان هذا أملا وطموحا مشروعا. ولكن على الأقل وحدة المغرب العربي من حيث التآلف والتعارف والتوادد بين أفراد الأسرة الواحدة. هذا سلاليا. وحينما نضيف إليه العامل الاقتصادي وهو هام سوف نرى، أننا نعيش في عصر الاقتصاديات الكبرى لا عصر اقتصاديات التدبير المنزلي القزمي.

فهناك دول العمالقة العظمى، وهناك السوق الأوروبية المشتركة وهناك الصين بملايينها واليابان بإنجازاتها التكنولوجية. فمن الزاوية الاقتصادية محكوم على دول القزمى والمداشر أن تظل مجرد هوامش لهوامش الهوامش الاستهلاكية التي لا يمكن بحال أن تطمح

إلى اقتصاد متكامل في عصر التكنولوجيا والصناعة والعلم طالما هي تمارسُ اقتصاد التدبير المنزلي للقرى. وكذلك الجانب السياسي لا يمكن إغفاله. فإذا سمحنا في هذه المنطقة بانتشار وباء دول القبائل سوف نكون منطلقا لاقدر الله لتفجيرالمغرب العربي إلى دويلات قبلية. هنا وهناك خصوصا إذا وضعنا في حسابنا أن المنطقة عرفت هذه الكبوات والنكسات في تاريخها. بل حتى في التاريخ الحديث كانت هناك دول في المغرب العربي هي مجرد دويلات متحدة لم تصل إلى الاندماج إلا في السنوات الأخيرة. كذلك هناك دول في المغرب العربي الأخرى كان الاستعمار يطمح أن يجزئها إلى دويلات ويأخذ هو دولة الساحل الأبيض ثم يترك القبائل تتقاتل فيما بينها لتحقق دويلات القبائل من منطلق فرق تسد. وليس هذا ببعيد. لقد كان مطروحا في الستينات.

إن الشعور بالمسؤولية التاريخية ومن منطلق الالتحام والود والاعتزاز بأبناء المغرب العربي جميعا وبشهدائهم ودمائهم الطاهرة في كل مكان يدعونا أن نطرح هذه الملاحظات من باب مزيد من الحب لا مجرد مضاربات فكرية تهدف للانفصال أو تسعى إلى تزكية التشنج والعنتريات. كم نتمنى أن نشهد هذا اليوم الذي نرى فيه قيادات المغرب العربي ـ ولم لا قيادات الأمة العربية في فترة لاحقة ؟ ـ لا تصدر قرارا باتحاد أو وحدة ليلغى بقرار، وإنما تجلس متحابة متعاونة حول مائدة كل يهنىء الأخر على ما أنجز واستعاد. من استطاع أن يستعيد استقلاله ومن استطاع وبخطوة رائعة أن يسترجع ما أخذ منه دون أن يفقد ما تبقى له. وهنا نكرر مرة أخرى ومرات تقديرنا لهذه الخطوة المباركة الجبارة التي استعادت بفضل قيادة واعية مستنيرة الصحراء المغربية دون أن تلقى بما تبقى لها كما شاهدنا في كثير من مآسي أمتنا العربية في الربع قرن الأخير حيث ما تقدم مطالب باستعادة ما أخذ منه إلا وفقد ما تبقى له.

●● بهذه المناسبة هناك خارج هذا النطاق قضية حيوية في الساحة الفكرية الإسلامية وهي محاولة إيجاد تبرير علمي لمعجزة القرآن الكريم كيف تتصور كمفكر إسلامي هذه الاشكالية الهامة خصوصا وأنكم متعددو الحيثيات الفكرية ونزعتكم حوارية. بعبارة كيف يتحاور العلم مع الدين ؟

● في الواقع هذه إشكالية هامة تستحق منا وقفة ولو بإيجاز لنحدد أهم الفرضيات التي تطرح في هذا المضمار. نستبعد البعض منها ونبقى بل وندافع عن البعض الأخر. يمكن أن نوجز هذه الفرضيات في خمس :

ـ الفرضية الأولى محاولة إحلال العلم بدل الدين باسم التقدم والعلمانية وفلسفة الإنسان والتكنولوجيا... الخ في المجتمعات الصناعية المعاصرة تواجه هذه الفرضية فرضية ثانية وهي إحلال الدين محل العلم. في الواقع يمكن أن نستبعد الفرضيتين معا. الأولى وهي إحلال العلم بدل الدين إن كان العلم يغطي مظاهر الإنسان بالرفاهية فمن الصعب أن يبني جوهره من الداخل ويعطي له إنسانيته المشرقة في غيبة المبادىء السامية الروحية اللهم إلا إذا كان هذا الإنسان سيصبح مجرد آلة تتغذى بالأكل والماء وتلقى بالفضلات.

أما الفرضية الثانية وهي إحلال الدين محل العلم أعتقد أنها لن تسمو بالدين بقدر ما تنزل به إلى مستوى التصويب والتخطيء والتجربة الإنسانية وهي دائما نسبية بينما الدين بالنسبة لنا (الإسلام) لم يقف في تساميه عندما هو دنيوي في الإنسان وإنما يسعى إلى توجيهه في مصيره الخالد بعد الموت. فالدين أشمل وأسمى من أن يصبح مجرد تجربة علمية.

أما الفرضية الثالثة وهي المقصودة بسؤالكم والتي نصل إليها وهي تبرير الدين بالعلم وتقابلها فرضية ثانية وهي تبرير العلم بالدين. بمعنى في الأولى الاحتكام يكون للعلم وفي الثانية الاحتكام يكون للدين فيما هو صالح أو غير صالح للإنسان. في تصوري أن محاولة الاحتكام للعلم للبرهنة على إعجاز الدين أو صحته هي مجازفة قد تكون جاءت بحسن نية لدى البعض أو تكون بسوء نية لدى البعض الآخر. ولكن في جملتها تلتقي في أن تحاول أن تجعل سور القرآن وهي تجسد الرسالة السامية لانقاذ الإنسان مجرد سور للكيمياء والفيزياء والفيسيولوجيا... الخ. مبادىء لاجراء تجارب . وغاب عن الجميع أن خطوات العلم كما نكرر دائما يخطىء بعضها بعضا باسم التجديد والانتقاء والتطور فمن يضمن لنا أن علم القرن 20 الذي نحتكم إليه ونسعى لوجود صوره في القرآن يخطأ بعلم أكثر صرامة في القرون القادمة. وهنا سنضطر لإلغاء السور الكيميائية والفيزيائية بعد أن تجاوزتها مسيرة العلم المتجدد. لهذا نستبعد أيضا هذه الفرضية التي تتمحور حول تبرير الدين باسم العلم لاثبات صلاحيته.

بقيت الفرضية الرابعة الخاصة بالعكس وهو الاحتكام للدين للحكم على صلاحية بعض العلوم وعدم صلاحية العلوم الأخرى. هذه الفرضية بلا شك لانتبناها حينما نشاهد الآن بعض التخصصات العلمية التي اتخذت كغاية لها تدمير الإنسان أو تلويثه بيئيا أو استغلال قدرات الإنسان الاستهلاكية فبدلا من أن يكون مستهلكا يصبح مستهلكا.

أما الفرضية الأخيرة الخامسة وهي التي ندافع عنها شخصيا أمام هذه التيارات المتعددة وباسم الحوار فهي محاولة خلق أرضية لاكتشاف مدى توافق العلم مع الدين أو اكتشاف مدى التناقر بين رؤية العلم ورؤية الدين دون موقف مسبق وهنا سنرى أن الإسلام وهو الذي يعنينا وبعد 14 قرنا ورغم كل ما حققته علوم الإنسان من تقدم في الفترة المعاصرة في كل يوم يؤكد لنا صراحة أو ضمنيا صلاحية الرؤية القرآنية لمسيرة الإنسان خصوصا حينما لا تكون لدى الباحث خلفيات أو مبيتات مقنعة. فالجانب الإيجابي من علوم الإنسان وهو بلا شك يسعى لرفعة الإنسان بعد التعرف عليه في كل أبعاده يلتقي حتى إشعار آخر مع ما يمكن أن نتفهمه ونستوحيه من رؤيتنا للقرآن ومن يدري باحثي القرن 21 و 22 بدورهم يكتشفون في القرآن محاور التوافق والالتقاء بدورهم بين ما يسعون إليه من صلاحية وما عليه الرؤية المعمقة المتجددة لكنوز القرآن.

في العدد القادم

لظروف تقنية صرفة، اضطررنا إلى تأجيل نشر بعض المواد التي كانت مخصصة لهذا العدد الممتاز الخاص بعيد العرش المجيد إلى العدد القادم.

من هذه الموضوعات:

- منهج الإمام البخاري في علم الحديث / د. يوسف الكتاني
- الفاضل بن عاشور مؤرخ التشريع الاسلامي د. محمد ابو الاجفان
- الحسن الوزان وكتابه وصف افريقيا / الاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم
- ارفعوا ايديكم عن السنة / الأستاذ أحمد متفكر
- صمود المذهب المالكي واستمراريته / الأستاذ عبد القادر العافية
- المصادر التراثية في المسرح المغربي / الأستاذ محمد أديب السلاوي
- جدلية الإعلام الاسلامي / الاستاذ مصطفى بوهلال.

العرش

مناعة وطموح وتضحية

للأستاذ احمد مجيد بنجلون

اليوم تحل ذكرى عيد العرش المجيد.

اليوم يخلد المغاربة عن بكرة أبيهم تلك المناسبة الغالية التي التقت فيها الأمة المغربية بملكها الشاب فبايعته عن طواعية واستسلمت لحكمته، وأمنت بعبقريته، وبادلته الإخلاص بالوفاء والشغف بالولاء.

وإذا كان المغرب قاطبة يحتفل كل سنة بهذه الذكرى الميمونة ويستلهم من هذا الاحتفال معالم مقوماته، وعناصر أمجاده، فلإن المناسبة تخوله فرصة التأكد من عناصر وجوده، وتسمح له بأن يستعرض منجزاته والمفاخر التي تشع عبر تاريخه العريق، والمبادىء الثابتة التي يقوم عليها كيانه والتي تربط حاضره الوضاء بماضيه الأصيل وبمستقبله الباسم، عبر سلسلة ذهبية تكون مثالا خالدا لمن أراد الاعتصام بحبل الله حتى ينال رضى الله.

لقد أصبح جميع المغاربة مقتنعين ومومنين بأن الطريق التي أرساها جلالة ملكنا العظيم منذ أن تربع على عرش أسلافه الميامين هي أقوم السبل وأفيد المناهج للوصول إلى الهدف المنشود لأنها تستند في مبادئها على اسمى القيم وتستعمل في تنفيذ مخططاتها كل الوسائل القمينة بأن تحقق الهدف دون ارتباك ولا مغالاة، وفي جو تطبعه الجدية والصراحة وتبادل الرأي والعمل بما هو أفيد للجميع.

لقد أرادها عاهلنا المفدى حركة دائبة نحو الازدهار، فكانت، واجتباها ملحمة خالدة ضد التفرقة والانشقاق فتحققت. وابتغاها حملة عارمة لتحقيق الوحدة الترابية المنشودة فأمست اليوم حقيقة ملموسة في مستوى طموح القائد المظفر، ومرمى شعبه الشكور.

وفي الوقت الذي تتلاحق فيه الأحداث وتحتدم الحوادث وتتقلص مفاهيم الاخوة والصداقة والجوار ويصل التآمر ذروته، فتراق دماء من يجمعهم دين واحد وأرومة واحدة ولغة واحدة وتاريخ مشترك أصيل يكون من المفيد لنا ونحن نحتفل بذكرى جلوس جلالة الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين، ان نستخلص العبر مما يعرفه تاريخنا الحديث ونربطها بمثيلاتها وأشباهها ونظائرها في تاريخنا القديم، فنزداد إيمانا بأن عوامل استمرار الدولة المغربية لن تنال منها الازمات ولو توالت ولن يزعزعها التآمر ولو تحالف فيها الصديق والشقيق على حساب الأخلاق والاخوة، لأن هذه العوامل قائمة على مبادىء أثبت التاريخ صدقها، ودلت التجربة على فعاليتها، وضرب ملوك هذه الدولة أروع الأمثلة على استقرارها.

ولسنا بصدد تحوير التاريخ ولا الاعتداء عليه وضد تحويله عن مداره الطبيعي، وانما نريد ابراز ماهو كائن، واظهار حقيقة الأشياء، كما هي وكما أراد الله أن تكون.

وان أول ما يلفت النظر هو قيام النظام المغربي على المناعة والطموح والتضحية وهي صفات قد تكون مشتركة بينه وبين بعض الأنظمة الأخرى، ولكنها **في المغرب صفات تربط الحاكمين بالمحكومين** ؛ بل هي عقد روحي وثيق يجعل كلا منهما الحارس الأمين على استمرار هذه الصفات واستقرارها لصالح هذا البلد على مختلف الأجيال والعصور.

والمناعة ليست سلعة تشترى بعائدات الغاز، ولا بالاستحواذ على الأراضي، ولكنها هبة وعطاء من الله الذي يوتي الملك من يشاء، والملك من مستلزماته الطموح الهادف ومن مفهوماته التضحية

ونكران الذات. وتلك هبات لاتعطى إلا لمن اختير إليها وتهيأ بمقدور الله للقيام بأعباء الملك ومستلزماته ، وهي بالضبط الصفات الملازمة للعرش العلوي المجيد.

ان صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الذي نحتفل اليوم بذكرى جلوسه على عرشه المنيع لعيد بحق المثال الصادق **لاستمرارية هذه المبادىء، والنموذج الحي لاستقرار ما قامت عليه** الدولة المغربية من مناعة وطموح وتضحية، وما يتبع ذلك من ثبات أمام التحديات ورفض للحلول التي لاتستجيب لأهدافه ومطامحه وطبيعته.

ففي هذه الذكرى، ومن باب شكر الله على هباته ونعمه أن نذكر بما يعترف به العالم لجلالته حفظه الله من انه الملك المنيع بدينه ووطنه وشعبه. الطامح لاحلال المغرب محله الطبيعي بالوقوف أمام أطماع الطامعين. واسترداد ماضاع بكيد المستعمرين. ورد الأشياء إلى نصابها بالرغم عن افتراءات المفترين. والتضحية في سبيل ذلك إذ دعا داعي الوطن. وكان لا بد مما ليس منه بد.

ولعل رحلته الأخيرة إلى فرنسا. هذه الرحلة التي كانت من مميزاتها أن أظهر الله ما لهذا المغرب من مثل عليا. وما جبل عليه من أخلاق تقوم على الاعتداد بالحقوق عوض اعتبار الأشخاص. واعتماد الحوار البناء عوض المهاترة والجدل العقيم. لعل هذه الرحلة تعطي لهذا الجيل الشاب صورة تختصر ماضيه القديم لتربطه بحاضره المليء بالمواقف ، فجلالته حفظه الله كان في مستوى شعبه حين جعل حقوق الشعب المغربي فوق كل الأشخاص. فلا يمكن لهؤلاء، أن يجحدوا الحقائق الثابتة والمعطيات الواضحة. خصوصا وان من مميزات الحسن الثاني العظيم. السمو على الاعتبارات الشخصية والنوازع الذاتية والحزبية. والدفاع عن المقدسات والمصالح العليا للوطن.

ولهذا فعندما كان المغرضون وأصحاب الأهواء يصدرون عن أفق ضيق. ويتنكرون لوطنيتهم وأخلاقهم. دون أن يفرقوا بين مالله وما لقيصر. وعندما كانت الأبواق المأجورة تصك الآذان لستر **الحقائق وفسح المجال أمام الادعاءات والاختلاقات. كان صوت الحسن الثاني المنطلق عن ايمان والمليء بهيبة الحق وروعة الأمانة.** الصوت الذي حرك العقول وأسكت الأهواء. وخاطب الضمير وأخرس النزوات. واكتسب تقدير الرشداء. وبكت التائهين والمترددين. لقد استمد صوت عاهلنا المفدى قوته من أصالته الإسلامية وارومته العربية ووطنيته الإفريقية. فكان بصفاته هاته لسان الصدق في الآخرين. ومحجة الحق على الكاذبين والمهاترين.

انها مواقف يتلو بعضها البعض وتنبيء عما يضطلع به ملكنا العظيم من مهام ومسؤوليات جسام. يرعاها كأفضل ما تكون الرعاية ويدافع عنها بالحوار السليم والمنطق الصائب. وبالتضحية إن اقتضى الحال.

فما أجدر خصومنا باستخلاص عبر التاريخ والعمل على تلافي قساوة حكمه وتفادي أسباب الانفصام والانقطاع التي لاتؤدي إلا إلى لعنة الأجداد وسخرية الأحفاد وشماتة الأعداء الألداء والسلام.

أحمد مجيد بنجلون

إلتحام لابد منه

للأستاذ محمد الخطيب

يعاودني شعور بالغبطة كل سنة باستدعائي للمشاركة مع جملة الذين يستدعون لها بتحرير عدد خاص من «دعــوة الحق» بمناسبة الاحتفال بعيد العرش المغربي.

وللمرة الثانية، أجدني أعتذر عن التأخر في الاستجابة، نظرا لتأخر علمي بوصول الطلب إلى ما بعد عودتي من الخارج إلى الديار العزيز، إلا أن عودة الشعور بالغبطة يجعلني أبادر للاستجابة وتحبيذ المبادرة مع الاعتذار في تأخير ذلك.

إذ ما كنت أماطل، أو أتردد في تلبية الدعوة لما أحسه وأحسسته دوما من تعلق وتقدير لدور العرش الذي كافح ويكافح من أجل هذا الوطن الحبيب، وتبوءته المكانة اللائقة بكفاحه ونضاله، وذلك في نظر الواقع أساس من أسس الكفاح لاستكمال الاستقلال وتحقيق الوحدة.

وهذا الاعتبار، هو الذي أضفى على الكفاح الوطني والنضال القومي ما أصبغ عليهما نعمة التمسك واليسر في مسار ما تتطلبه الأيام وتوجبه موجبات العمل الوطني.

فإظهار الفرحة والتقدير لهذه المناسبة هو الذي يشد للسعي المتواصل الذي كان به النضال عملا مثمرا جادا، وبه يبقى ذلك العمل على جديته ويستمر في محاولة استثمار نتائجه.

فالعرش الذي كان رمزا للكفاح، هو ذلك العرش الذي ارتبط به العمل الوطني، وكان التمسك به هو الذي يشد إليه ما بذل ويبذل من جهد في الدفاع عن حوزة البلاد ووحدتها.

وان الحركة الوطنية في المغرب، قد أدركت هذه الحقيقة منذ أول يوم لبزوغها، حيث كان العرش ولا زال بمثابة الأســاس الأول في الدفاع عن وحدة الوجود وتحقيق كل الغايات للسير وراء ما يجب السير إليه.

كان ذلك قبل سنة 1953 وزاد برهانا بعد ذلك، حيث كان في طليعة العمل التمسك بالوحدة التي لاتتم بغير جعل العرش بالمثابة التي هو عندها، والدعوة لصيانته وتحويط، بما هو ملزم لذلك من عمل وكفاح.

بهذا أتت الحركة الوطنية، وإليه سارت مسيرتها الطبيعية معتمدة على أن الوجود المغربي الكامل، ووحدة ترابه لايتمان بغير دعم الركيزة الأولى التي هي هذا العرش بما له من مدلولات وما له من اثر في تلك الوحدة وذلك الوجود.

ولهذا فإن الثقة التي أولتها الحركة لهذا الجانب من ذودها عن كيانه يعتبر من طبيعة مبادئها وصواب تقديراتها، وتحسن لخطى السير للوصول إلى الغاية المنشودة.

نرى هذا في جميع المبادىء الأولى للحركة، وأيضا في فهم الاستعمار لذلك وفي انكباباته للنيل من ذلك التماسك وما كان يبذله لفهم عرى الوحدة المتجسمة في التماسك القوي بين العرش والشعب، وفيما صرفه من جهود للنيل من تلك الوحدة، سخرا لهذه الغاية ما كان باستطاعته من بذل ومحاولات ومن جهود للسير وراءها.

وإذا لم يستطيع الاستعمار تحقيق ما كان يصبو إليه، فذلك لكون العرى التي ربطت أصول الاعتماد في العمل، كانت أقوى من جهوده. ومما بذله لذلك فاستمر الكفاح وما شيدت أعمدته على أساس الاستمرار في السعي وراء الوجود المتكامل من طرف الوطنية والعرش في دائرة الالتحام بينهما وفي التقدير الذي كان كل طرف يوليه للآخر هو الذي حقق كل الغايات.

بهذا يشهد التاريخ، ويؤيد نظرة الحركة الوطنية وادراكاتها لما يجب أن يكون ضمن مبادئها الأولى. إذ التمسك بالعرش والدفاع عنه، كانا بجانب المطالبة بالاستقلال والوحدة ـ وذلك تمكين وتمتين لتلك المطالبة.وذلك ما يرمز إلى أننا شعب وأمة تعرف مبتغايتها، وتدرك حقيقة التكامل الضروري في مبادئها.

ومهما تنوعت نزعاتنا أو اختلفت مذاهبنا فذلك بالنظر إلى وسائل العمل، اما مبدأ الالتحام وشعارات هو ذلك الالتحام بين الشعب والعرش فهو العون الحقيقي للمبدإ وهو الطريق لتحقيق الغاية.

وليس الادلاء بهذا نابعا مما نعايشه أو نعاصره من ظروف، ولا هو وسيلة لتبرير بعض المواقف، بل انه الحقيقة التي تجسم كل كفاح وتبرز مفعولاتها سواء فيما مضى أو بقي من الحياة، وهو كذلك تأكيد لواقع النظرة العامة لمصالح البلاد.

وقد كان الاحتفال بالعرش والدفاع عنه مما يبلور مغزى كفاح الحركة في الماضي وجهادها في الحاضر. إذ بجانب التمسك بإسلام البلاد والدفاع عن عروبتها، يقوم جانب التركيز عليهما في المحافظة على الجهاز التنفيذي الذي هو العرش نظرا لكونه الضمانة لصون الكيان الوجودي.

وقد اعتبر ذلك وأحقيته، كل من حزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال، وهما العنوان الذي كانت ولا تزال شعاراتهما قائمة على اعتبار التمسك بالعرش غاية أولى لجهادهما وكفاحهما، وفاء ومحافظة على القيم التي يقوم على أسسها بناء الهيكل الوجودي للبلاد.

كان ذلك وكان التمسك به عملا شاقا وعبئا ثقيلا مضنيا على اعتباره كان من واجبات الكفاح وصونه للوصول إلى الغاية التي لاتتحقق بغير الاعتماد على العرش، فإذا كان ذلك في الماضي واجبا، فهو بالنسبة للحاضر والمستقبل أوجب، إذ لا يمكن تمكين البلاد من وحدتها واستمرار الحرص على كيانها دون أن يكون ذلك مقرونا باعتبار العرش ضمانة لذلك.

وعليه فإن احتفالنا اليوم، تكريم لصون تلك المبادىء من إسلام وعروبة ومغربة، وكل برور بتلك المبادىء وصونها، يوجب استمرار العمل على ضوء ما شهدته البلاد ومر بها من أحداث، سواء في الشمال أو الجنوب وفي غير الشمال والجنوب وفي كل رقعة من أطراف هذا الوطن الذي شاهد نوازع التفرقة وابتلى بمختلف النكبات الاستعمارية.

اننا صادقون في ذلك بما برهن عليه الشعب المغربي منذ سنة 1933 ولا نزال جادين فيه تحقيقا للقدرات وتقديرا للمعطيات، ذلك التقدير الذي هو الطريق الأقوم والسبيل الأكرم للوصول إلى مانريد تحقيقه من غايات.

ان المطالبة بالاستقلال والوحدة بعد الاقتناع بعدم جدوى الحرص على تطبيق الإصلاحات في عهد الحماية، كان السبيل الأوحد لتمكين البلاد مما تريده وتسعى إليه. ولم يتم تحقيق الاستقلال والوحدة وما نتزع إليه من التمكين لهما بغير تأكيد وجوب ذلك الالتحام الذي كان فيما مضى ويلزم أن يبقى فيما بقي قائما موجودا مادمنا جاعلين من أهدافنا كلها غاية واحدة، هي صون الاستقلال والحفاظ على العرش وتحسس الخطى لتحقيق الوحدة الشاملة الكاملة.

ان احتفالاتنا بعيد العرش تجسيم لذلك وتكريم لأنفسنا واكتمال لمعنى وجودنا كأمة وشعب يعرف الأصح من طرق تمكينه مما يريد.

اننا لاننازع في وجوب القدرة على تنظيم البلاد وتحقيق مانطمح إليه على أساس واقعي من المتطلبات الحياتية والحرص على جعل النزاهة وسيلتنا لذلك مع استقطاب العناصر الصالحة له.

وهذا كله ـ إن كان سبيلنا للعمل، فهو التبرير المطلق لاعتبار ان العرش والمحافظة عليه وصونه بما يلزم صيانته به أمر ضروري لكونه رمز حياتنا وملتقى طموحاتنا.

والبرور بالاستقلال، وتعزيز مطالبنا في الوحدة والنضال، لا يمكن أن يقوم على غير اعتبار ما للعرش من اثر في ذلك التعزيز والنضال، وليس هذا القول مجرد اطلاق شعارات أو تزكية لمواقف تختفي بالانتهاء من مراحل ومناسبات، بل هو صدق في البرور لتحقيق حياة أفضل وتنظيم أكرم، وبذلك يتم تعميق الاثر وتمهيد السبل لخدمة هذا الشعب المكافح المجاهد ويكون البرور بما سبق من نضال وما فرط من كفاح، وإلا كان ما مضى كله ضرب من العبث أو وحي من اثر الأيام والحالات، وذلك ما لا نقبله أو نرضى عمن يقول به.

فالذود عن مختلف القيم، وصون كرامة الوجود الوطني، وتحقيق رغد الحياة لاتوجد الضمانة عليه إلا باستمرار ماكان ولا يزال من التحام قوى مكين بين شعب المغرب وعرشه.

وإذا كانت الحركة الوطنية قد أدركت بعد ذلك، فإن اقتناعها به قد زادها صدقا ومناعة واكسبها قوة صالت وجالت بها وبها تصول وتجول، إذ ما تمر به من حالات ولا يزال يصادق الطريق من عقبات لا يهم، مادمنا متمسكين بمبادئنا الأولى وما دمنا حريصين للوصول إلى الغاية بطريق ما كان سبيلنا فيما مضى وهو السبيل الأوحد لما بقي وما أقام به الشعب المغربي الدليل على تمسكه به ولولا وجود العرش الذي نحتفل اليوم بذكراه لكان الطريق أصعب والوصول إلى الغاية أشق.

فالتمسك بالعرش والاحتفال به دليل على صحة تفكير هذه الأمة، ودليل كذلك على صواب حدسها وحسن تقديرها.

هذا ما نومن ونعتقد انه يلزم أن يكون عقيدة للشعب كله حاضرا في ذهنه وهو يحتفل بهذه الذكرى المجيدة.

وكما هو دليل على صحة التفكير وصواب الحدس وحسن التقدير، هو كذلك البرهان على أن هذه الأمة جديرة بتقديم كل تضحية وتحمل كل تعب في سبيلها، وهو أيضا تزكية لكفاحاتها المختلفة وبرورها لمن يخدم مصلحتها أولا وأخيرا.

وعلى الله كل اتكال وهو نعم المولى ونعم النصير.

• • اقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافته في الأرض فجعل بذلك على رأس مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ أو ضلال مبين. وقد امتاز المغرب الإسلامي بتعاقب ملوك بررة جعلوا الحفاظ على الإسلام والدفاع عنه فيما وراء البحار، ونشره فيما جاوره من الأقطار مهمتهم الأولى، وتثبيت تعاليمه في النفوس غايتهم المثلى. ومن بينهم ملوك شرفاء من آل البيت الكرام، في طليعتهم أسلافنا الملوك العلويون المنعمون في دار السلام • •

جلالة الملك الحسن الثاني

الرّسالة الخالدة

للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

هي تلك الرسالة التاريخية التي بعث بها السلطان الحسن الاول ــ طيب الله ثراه ــ في مستهل القرن الرابع عشر الهجري الى كافة المسلمين والى الامة العربية على الخصوص باعتباره اميرا للمؤمنين وقائد هذه الامة المغربية العريقة التي يقع على كاهله بالطبع امر رعايتها وتعهدها بالنصح الصادق والارشاد الثابت كلما دعت الضرورة الى ذلك .

ولقد رأى ــ رحمه الله ــ في انصراف قرن ، هو القرن الثالث عشر مناسبة مواتية لاجراء مثل هذا الحديث مع افراد امته حتى يجعلهم ، راضيين مرغبين ، على مراجعة سلوكهم في الحياة ثم تقويم ما اختل من تصرفاتهم ــ وهم يشهدون انصراف قرن واهلال قرن جديد ــ دون ما اهمال مع ذلك لكل ما من شانه ان يساعدهم على الاستجابة لمقتضيات حياتهم اليومية (1) .

* * *

وغني عن البيان ان الذين يتتبعون هذه الرسالة الملكية بالدرس والتحليل يرون فيها الدليل على مكانة هذا السلطان وعظمته ، كما تشهد بذلك كتب التاريخ ، مع رغبته الاكيدة في القيام بما كان يقع على كاهله من واجبات جسام . والواقع ان السلطان الحسن الاول كان شديد الوعي بمصالح هذه الامة ؛ وبقدر ما كان متفتحا نحو ما يجب ان تنصرف اليه همته بقدر ما كان متفطنا كذلك للمخاطر التي كانت تحيط بوطنه ، في وقت تكالبت عليه اطماع الطامعين وبرزت للعيان في هذا البلد الامين اغراض المستعمرين . وبالنظر لما كان له من حس ودقة شعور وبعد ادراك لما كان يحاك ضد بلدنا من مؤامرات فقد بادر ــ قبل غيره من ملوك المسلمين ورؤسائهم ــ الى اتباع سياسة خاصة ترمي الى اثارة البلبلة والخلاف بين الامم الاوربية المتوجهة باطماعها الى المغرب ، كما بادر الى ارسال البعثات الثقافية والعلمية الى تلك البلاد الاوربية بالذات ، وفي ضمنها نخبة من شباب المغرب المستنير ، رجاء ان يكرعوا من حياض علومها وياخذوا بحظ من مهارة اهلها حتى اذا عادوا الى وطنهم مزودين بسلاح العلم والمعرفة التي كان المغرب في اشد الحاجة اليها في أواخر القرن التاسع عشر أصبحوا اداة صالحة لتطوير مرافق الحياة المغربية عموما ووضع هذا البلد الامين على طريق التقدم والرقي .

(1) ورد النص الكامل لهذه الرسالة الملكية في الجزء الثاني من « الاتحاف » (ص 218 ــ 234) للمؤرخ الشهير مولاي عبد الرحمان بن زيدان . وكان الفضل في اثارة انتباه الباحثين اليها لاول مرة للاستاذ حسن السائح ، وذلك منذ ما يزيد على اربع سنوات . وتجب الاشارة في هذا المقام الى ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بادرت الى نشر هذه الوثيقة الهامة تعميما للفائدة ، وذلك في كراسة رائقة وعلى ورق صقيل

وبالتالي فان الرسالة التاريخية التي نتحدث عنها تعتبر بحق برهانا على ان الحسن الاول كان بالفعل سلطانا مجددا ، متفتحا متقدما لعصره ، اذا ما قورن بمن سبقه من ملوك الدولة العلوية الشريفة ، أو بمن عاصروه أو لاحقوه من ملوك الدول الاسلامية الاخرى ؛ لكنه لم يكن من اولئك المجددين الذين لا يرون باسا في الابتعاد عن الشريعة الاسلامية ، ولو دن ذلك مما يخدم مصالح امتهم المادية ؛ بل كان رحمه الله ، صالحا مصلحا بالمعنى الصحيح ، وبعبارة اخرى لم يكن يقيم اى وزن لاصلاح اجتماعي او سياسي لا يعتمد الدين اساسا له ؛ ومن ثم كانت الرسالة التي سنتناولها ان شاء الله ، بشيء من التحليل مجموعة من وصايا استمدت مبادئها من قواعد شرعية اسلامية لا غبار عليها ، لا يمكن ان تصدر الا عن ملك موفق بفضل الله ، متوكل على الله في سره ونجواه .

وغني عن التوضيح ان هذه الرسالة الملكية رسالة عامة شاملة لا تهم المغاربة وحدهم ، ولكنها موجهة الى كافة اهل الاسلام وامة النبي الاكرم عليه الصلاة والسلام ، يذكرهم فيها صاحب هذا الخطاب القيم برسالة الانبياء والمرسلين . وبما ان الرسل والانبياء قاموا خير قيام بالاعباء التي كلفهم بها الحق سبحانه وتعالى ، فكذلك وجب على كافة ملوك المسلمين ان يقوموا بنفس العبء مهما يكن شاقا ثقيلا عليهم ، كما يتعين عليهم ان يتحملوا نفس المشاق تحسبا لما قد يهدد شعوبهم من المخاطر والاهوال ، خشية من الله وخضوعا للرسالة السماوية التي تقع على كاهلهم . ومتى بذلوا المجهود ابتغاءمرضاة الله واقامة لشريعته انتشرت في كافة ربوع البلاد الاسلامية اشعة هذا الدين الحنيف ولبعث بوارقه . وهذا الاعتقاد الذي يبدو انه كان ثابتا راسخا في قلوب ملوك المسلمين هو الذي حمل الحسن الاول على ان يامر بتحرير هذا الخطاب الممتاز ، فيذكر به افراد امته ان السعادة المثلى هي التي ترجى من طاعتهم لاوامر الله وان الله سبحانه بصير بعباده ، لا يغير احوالهم بسوء الا اذا تسببوا في ذلك التحويل بانفسهم ، وذلك تصديقا لقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

ومن أجل هذا افتتحت هذه الرسالة الملكية بتذكير الناس جميعا بالفرائض الدينية التي لا تستقيم احوالهم بدونها كالايمان بالله جلت قدرته ورسله وكتبه ، وذلك عن طريق البراهين النقلية والعقلية حتى يخرج المرء من ربقة التقليد ؛ ذلك ان التقليد يجمد القرائح بما انه يتسبب في قتل موهبة الخلق والابتكار ؛ وتزداد هذه الفكرة وضوحا بما جاء في الرسالة الملكية من أن تجنب التقليد يضع المؤمنين على طريق الهدي الحق ، فيشرق باطنهم بانوار التوحيد وتقوى لديهم بواعث العبادة التي امر الله بها عباده الصالحين . ثم لا تلبث الرسالة الملكية أن تحض الناس على توحيد الله سبحانه وتعالى معتمدة على ما جاء في هذا الباب من آيات بينات : « فاعلم انه لا الاه الا الله » ؛ وقوله جلت قدرته : « واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا » ، ثم هذه الآية البينة : « وهذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انه الاه واحد وليذكر اولوا الالباب » ، وكل ذلك تذكيرا للمسلمين بضرورة التمسك بالايمان ، ايمان قوي لا تزحزه الجبال مهما زالت ، ايمان واضح صريح بالله وملائكته ورسله والبعث كما جاء في صحيح البخاري. ثم تنتقل هذه الرسالة الجامعة المانعة الى تعداد اركان الدين الاسلامي الحنيف مع ما يتطلب ذلك من الشرح والتوضيح ، وبحسب ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان الاسلام بني على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وايقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام . وبعد ذلك يروح صاحب الرسالة يبسط الركن الثاني من اركان الاسلام المتعلق بالصلاة باعتبارها عماد الدين ، لقوله تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » ؛ ويشخص اهمية هذا الركن بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال : « أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ؛ فان قبلت قبل سائر عمله ؛ وان ردت رد سائر عمله » . ومن اجل ذلك ايضا كتب سيدنا عمر رضي الله عنه مخاطبا لبعض عماله في هذا الموضوع: « ان أهم أموركم عندي الصلاة ؛ فمن حافظ عليها فهو لما سواها احفظ ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » ، وقال ايضا : « بين الايمان والكفر ترك الصلاة » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الصلاة عماد الدين ، فمن تركها فقد هدم الدين » . وقال تعالى في هذا الموضوع : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » . وجاء في عدة مواضع من الكتاب المبين ما يؤكد اهمية هذا الركن ؛ وفي الحديث : « من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان » . فاذا كانت هذه هي المنزلة الخاصة التي تحتلها الصلاة بالنسبة لبقية أركان

الدين الاسلامي وقواعده فكيف السبيل الى اقتناعنا بأن التعليم العلماني الذي يتلقاه الاحداث في كثير من البلدان الاسلامية سيكون خليقا بأن يثبت بوادر الايمان في قلوبهم ويؤدي بالصغار والكبار الى المواظبة على الصلاة باعتبارها ركنا خطيرا من أركان الاسلام ؟

وبعد هذا تنتقل الرسالة الملكية الكريمة الى الحديث عن الزكاة التي جاءت مقرونة بالصلاة في كثير من الآيات الكريمات ؛ بمعنى انه اذا كانت الصلاة تطهر الابدان فان الزكاة بما ترمي اليه من تقريب الفوارق الاجتماعية بين طبقات الامة تعتبر مطهرة للاموال ، بدليل ما جاء في قوله تعالى في الموضوع : « الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » ؛ وقال جل من قائل : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم » .

والذين يعودون الى كتاب الله العزيز يقراونه ويتدبرون آياته البينات يرون ان الله تعالى ما فتىء يحث المسلمين العاملين بالقسط على التمسك بالزكاة ، ويتوعد بعذاب شديد اولئك الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله . وكان أبو ذر الغفاري ــ رضي الله عنه ــ المعروف بعطفه على الفقراء وذوي الحاجة يضطرب غبطة وسرورا كلما تليت عليه الآية الكريمة التي تتوعد بالعذاب اولئك الذين ينعتهم الجاحظ بأصحاب الجمع والمنع ؛ وهي التي تقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » .

ثم تنتقل الرسالة الحسنية الى شرح فضل شهر رمضان المعظم الذي انزل فيه القرءان : « يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وبعد هذا تختتم الرسالة الكلام على أركان الاسلام بفضل الحج الى بيت الله الحرام ، وذكر نتيجة اندماج المسلمين بعضهم بعضا في مؤتمر عظيم انفردت به الامة الاسلامية وحدها على بقية الملل والنحل . وهي لا تنسى ان تذكر المسلمين بهذه المناسبة ان الحج المبرور ليس له ثواب الا الجنة ؛ كما انها تجمل النصائح السابقة في حث المومنين على القيام بشعائرهم الاسلامية قائلة :

« وليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » مؤكدة مع ذلك على رحمة الله تعالى بعباده ، اذ يقول : « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » .

ويرى العاهل الكريم ، صاحب هذه الرسالة الخالدة انه من المؤكد على كل من ولاه الله أمرا ان ينظر في احوال رعيته باخلاص ؛ فلا يألو يرشدهم الى ما ينفعهم دنيا واخرى ، مؤكدا على الولاة الذين وجهت اليهم هذه الرسالة اعطاء المثل الصالح لغيرهم قبل التوجه اليهم بالنصح والارشاد ، اذ الوعظ لا ينفع الا بعد تطهير نفوس المرشدين وجعلها بمنزلة تستطيع معها التاثير في قلوب المواطنين ؛ والا كانت دعوتهم صرخة من واد ؛ ولذلك قال احد الشعراء :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

ومن اجل ذلك الحث الوثيقة الموجهة للولاة على ان الطريقة المثلى التي ستمكنهم لا محالة من تحقيق اصلاح المجتمع تكمن في تقريبهم لاهل الفضل والصلاح والاستعانة بهم على القيام بمهمتهم الاصلاحية الكبرى ؛ وقد جاء في الحديث : « ما من امير الا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه الا خبالا ، ومن وقي بطانة السوء فقد وقي » . وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » ؛ وقال جل من قائل : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ؛ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » . ومن اجل هذا كله اوصى الله تعالى عباده المخلصين بالتقوى ، فقال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وبعد ذلك ينتقل صاحب الرسالة السلطانية من موضوع العبادات الى ميدان المعاملات ؛ فينصح الولاة بضرورة التمسك بالعدل ــ اذ العدل نظام الملك ، ونصر المظلوم وقهر الظالم مهما تكن منزلته؛ ذلك لان السلطان ظل الله في الارض ، اليه يأوى القوي والضعيف على حد سواء وينتصر به المظلوم، نزولا عند قوله تعالى : « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » . وقال تعالى : « ان الله يحب المقسطين » .

وإذا كان العاهل الكريم ينبه في رسالته تلك الى ان الله أمر بالعدل وحض على التمسك به واخبر بكرامة صاحبه فذلك من أجل ان استقرار العدل في البلاد يكون سببا في انتشار الامن والعمارة وتعدد اسباب الراحة والرفاهية بين الساكنين .

ثم لا يفوته ـ رحمه الله ـ ان يثير انتباه الولاة الى مغبة الجور والظلم مخبرا بهلاك مرتكبيها كما جاء في القرآن الكريم : « يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما ؛ ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا » . وفي الحديث: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يحقره » . ويدخل لا محالة في موضوع الظلم ظلم اهل الذمة من نصارى ويهود لانهم في ذمة الاسلام ؛ فيجب الدفاع عنهم واحترام شعائرهم مع تحريم انتهاك حرماتهم طبعا أو اراقة دمائهم أو اكل أموالهم بالباطل . فيا ليت شعري ، هل يتدبر رؤساء الدول الكبرى ومن جرى في فلكهم كدويلة اسرائيل الباغية الظالمة ، وقد اصرت اصرارا جنونيا على انتهاك حرمات العرب والمسلمين في عقر ديارهم ـ هذه النصائح التي اتخذها ملوك المغرب اسسا ثابتة لسياستهم العادلة ومعاملاتهم الانسانية لاهل الذمة ، لا يحيدون عنها قيد انملة ولا يعدلون ؟ وهل من سبيل الى اشعار حكام اسرائيل ـ دمر الله كيانهم ! ـ ان هذه الخطة الحكيمة التي تبنوها منذ زمن بعيد لم تكن نتيجة لاحساسهم بضعف او اعترافهم بانهزام امام تعسفاتهم الجائرة ، وانما هي مواقف انسانية استمدوها من سيرة الرسول الاعظم ، عليه الصلاة والسلام ، الذي ما فتىء يوصي اصحابه بالوفاء لاهل الذمة ويحذرهم ظلمهم ، فيقول : « من ظلم ذميا كنت له خصيما يوم القيامة » . ورغبة منه صلى الله عليه وسلم في حمل الولاة على التمسك بالوفاء لتحقيق المهام التي تقلدوها طائعين كان يقول ايضا : « من ولي شيئا من أمور المسلمين لم ينظر الله في حاجته حتى ينظر في حوائجهم » . وتأكيدا لما سبق قال متوجها بالخطاب الى ائمة المسلمين وولاتهم : « ما من امام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة الا اغلق الله ابواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته » . ومن ثم نرى هذا السلطان الصالح المصلح لا يألوا جهدا في تحذير ولاة المملكة وكافة اعضاء الاسر المغربية الكبرى من تصرفات قد تبعدهم عن نهج الصواب ، فيقول : « واعلموا أن ما قد ينزل بنا من الشدائد والمصائب انما هو من عدم امتثالنا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ يضاف الى ذلك تورطنا في المعاصي على اختلافها واصرارنا على ملازمة الذنوب والعيوب » . ومن هنا ، كما ترى ، يستطيع في هذا العصر الذي طغت فيه المادة على النفوس من تغيير هذا المنكر بيده أو لسانه ؟ ومع ذلك فقد سبق في علم الله ان كتب على هذه الامة الاسلامية ـ كلما استقامت احوالها دينا ودنيا وانساقت الى سلوك طريق الخير ـ ان تكون بالفعل خير امة بين الامم ؛ فقال جلت قدرته في حقها : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ؛ ومن المنكر السكوت عن المنكر لمن يقدر على تغييره ، كما أسلفت .

وبعد ذلك تخلص الرسالة الملكية الى الحديث عن قضية لها خطرها واعتبارها في مجتمع اسلامي طاهر ، أعني بها استرقاق الاحرار بدون وجه شرعي، خصوصا وأن عددا من المسلمين الابرياء كانوا يعمون في ايدي النصارى نتيجة تكالب الامم الاوربية في أواخر القرن التاسع عشر على الشواطىء المغربية .

وهنا تميط هذه الوثيقة اللثام عما اصاب المجتمع المغربي من فشو الربا وانتشار الرشوة بين الناس ؛ ويغتنمها هذا الملك الهمام فرصة ليعلن للملا اجمع أن كل من جاد عن جادة الصواب وركب هواه فان الله تعالى لا بد يبتليه بصنوف من الادواء والامراض الاجتماعية « وهل يجزون الا ما كانوا يعملون ؟ » وجاء في الحديث ما يؤكد هذا المعنى : « خمس بخمس : ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ، ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال الا منعوا القطر واخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عليهم المطر » .

وبعد ذلك يتوجه صاحب هذا الخطاب المولوي الكريم الى الذين فشا فيهم شرب المسكرات ويحذر الموظفين من مغبة تصرفاتهم الشائنة اعتمادا على قول النبي المصطفى الكريم : « من غشنا فليس منا » . ثم يحث الناس حثا مرة اخرى على اقامة شعائر الاسلام واظهارها واتباع اوامر ربهم وسلوكها ، فيقول: « واقيموا شعائر الاسلام بينكم واظهروها وزكوا انفسكم بطاعة الله وطهروها وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون » .

وفي ختام هذه الرسالة المباركة يتوجه العاهل

بأوامر صريحة مشددة الى كافة عمال المملكة يدعوهم الى القيام بواجباتهم الاولية باعتبارهم مرشدين لطائفة كبرى من المسلمين ، وفي مقدمتها اعداد وسائل العمل والعيش لكل واحد منهم حتى يطمئن كل مواطن على حياته وحياة أسرته ؛ ولا ينسى ان يذكرهم بالعمل على تنوير عقول الاحداث بما يقع عليهم من واجبات دينية ، وذلك بتفقد أحوال القرى والمداشر في كل مكان ، وتعيين معلم لتعليم الصبيان في كل قرية ودوار ، يدربهم على حفظ ما تيسر من كتاب الله العزيز ، واقامة الصلوات الخمس حتى يظلوا بأذيال الديانة الاسلامية متشبثين . يضاف الى ذلك ضرورة تفقدهم لحالة الطرق واماكن الخوف فيها ليلا ونهارا حتى تكون دماء المسلمين محقونة والاموال محفوظة ومصونة ، كما يوصيهم بتفقد أحوال الفقراء الذين البسهم التعفف ثوب الغنى ، وهم في ضيق من الاملاق ، حاثا ولاة المملكة على جمع الصدقات والتبرعات لفائدة الضعفاء والمساكين ، ذلك : ان من يتصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا الطيب ، فكأنه انما يضعها في كف الرحمان ، يربيها له كما يربي احدكم فلوة او فصيله حتى تكون مثل الجبل » .

وكانت آخر وصية تضمنتها هذه الرسالة الخالدة الى كافة سكان المملكه ــ وهم يطلون على قرن جديد ، هو القرن الرابع عشر الهجري ــ ان يقبلوا بنهم على تثقيف أنفسهم لان التعلم واجب مفروض ، اذ لا يحل لامرىء مسلم أن يعدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه ؛ وبما انه اخذ العهد على العامة ان يتعلموا ، « وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؛ فقد اخذ العهد كذلك على ذوي العلم والمعرفة ان يقوموا بتعليم غيرهم ؛ وقد جاء في الحديث : « من كتم علما الجمه الله بلجام من نار ؛ فتعلموا واعملوا فان من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم » .

* * *

وبعد ، أفلا يحق لامة مغربية عريقة في المجد كأمتنا ان تعتز وتفتخر بما جاء في هذه الوثيقة من وصايا نبيلة وارشادات حكيمة اعطت الدليل على انها صالحة لتكون نبراسا نيرا تسترشد به أي أمة من أمم الارض تسعى بصدق في اقرار سلام دائم بين الشعوب وتعمل ، مع ذلك ، على احترام حقوق الانسان وحرية الافراد ؟

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

● إن من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين، أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا بها شريعة فطرية في مبادئها، منطقية في أحكامها قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل. ففي نطاق مبادئها وقواعدها والمحافظة على روحها يمكن لكل مجتمع أن يبلغ غاية ما يطمح إليه من التطور والنمو، والكمال والسمو، بل كلما تقدمت البشرية خطوة إلى الأمام، وجدت مثل الإسلام العليا سابقة لها متقدمة عليها ●

جلالة الملك الحسن الثاني

التجربة الدستورية المغربية

للأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص

تعيش المملكة المغربية منذ ما يقرب من عشرين سنة، تجربة ديمقراطية عرفت، من المد والجزر، والفر والكر، ما يجعلها تستحق الدراسة الموضوعية المتجردة، وتتطلب البحث العلمي النزيه. فهي، أولا، تجربة عديمة المثال في دول العالم الثالث، وهي، ثانيا، مجموعة من الممارسات الديمقراطية المختلفة في كثير من الوجوه مع ما يجري في بقية العالم، سواء تعلق الأمر بالعالم الديمقراطي الرأسمالي أو بالعالم البروليتاري الاشتراكي، وهي، ثالثا، اجتهاد دستوري يحاول التكيف مع مقتضيات العصر، والروح الديمقراطية المسيطرة عليه، مع اعتبار المناخ الوطني، وما يزخر به من تقاليد وعادات لم يكن بإمكان المشرع الحكيم تجاهلها خشية المس بالعلاقات الاجتماعية التي عرفتها بلادنا طوال حقب تاريخها المجيد.

ولعل من الأليق بي أن أؤكد، بادىء ذي بدء، أنني سوف لا أنوي القيام بدراسة تشريعية قانونية ولا ببحث في القانون المقارن لأني لست من رجال القانون المختصين بمثل هذه الدراسات والمتوفرين بكثرة في ربوع وطننا سواء داخل الكليات، والجامعات والمدارس الكبرى أو داخل المؤسسات الديمقراطية المنبثة في أنحاء بلادنا، أو ضمن العاملين في سلك القضاء والقانون أو نقابات المحامين، أو الموجودين على رأس عدد من مكاتب الدراسات. أن العمل الذي اعتزم القيام به هو ما يمكن لأي مواطن واع يفخر بانتمائه لبلاده ووطنه أن يقوم به للتعريف بالمؤسسات الدستورية الموجودة في بلاده، والتعبير، بكامل الحرية والتجرد، عن المشاعر التي يكنها هذا المواطن إزاء هذه المؤسسات الدستورية الوطنية، وإبداء بعض الملاحظات البريئة التي قد يعن لي إبداؤها بكل وضوح وروية رغبة مني في إنجاح المسلسل الديمقراطي الذي انغمرت فيه بلادنا، والادلاء بآرائي الخاصة في الموضوع حتى تواصل بلادنا مسيرتها الديمقراطية والمواطنون عنها راضون، وبها معجبون، ولها متحمسون دون أن يكونوا بها مفتونين، وعنها منشغلين، ولتطورها وتحسينها مهملين خصوصا والمواطنون مقبلون في هذه السنة على تجديد المجالس البلدية والجماعات المحلية، وسيكونون مدعوين، في السنة المقبلة، بحول الله، على انتخاب أعضاء مجلس النواب لفترة تمتد إلى ست سنوات.

وسأتناول في هذه الدراسة التي ستتم في حلقات متعددة، وفصول متجددة مؤسساتنا الدستورية حسب الأجهزة الثلاثة التالية التي تتصل اتصالا شاملا فيما يخول لها من سلطات، وتنفصل انفصالا كاملا فيما يحدده لها المشرع من اختصاصات وهي السلطة التنفيذية التي تعتبر المحرك الرئيسي للسياسة الداخلية والخارجية العليا للبلاد والتي يشرف عليها ويمسك بزمامها رئيس الدولة الذي هو ملك البلاد وأمير المؤمنين، والسلطة التشريعية التي عهد إليها المشرع بمراقبة الجهاز التنفيذي أي السلطة الأولى المشار إليها سابقا، والسلطة القضائية التي تعد الركن الثالث في هذا الهرم الدستوري الذي يتربع، كما ذكرنا، على هذه الدعائم الثلاث التي

ينبغي لكل مواطن غيور أن يدرك ضرورة الفصل بينها التي أقرها المشرع لأن فصل السلطات من الأسس القويمة التي ينبني عليها كل دستور محترم.

وان من دواعي اليمن والتفاؤل أن أشرع في هذه الدراسة بمناسبة حلول عيد وطني تعده السلطات الثلاث عيدا لها لأنه يرمي إلى الاحتفاء بضامن هذه الاتصالات، ومبدع هذه التجربة الديمقراطية، والساهر على قيام هذه السلطات الثلاث بمأموريتها في نطاق الاختصاصات التي خولها لها

إن الأمة المغربية جمعاء تحتفل، في كل سنة، بعيد وطني كبير، ومناسبة قومية عظيمة تهتز فيها مشاعر المواطنين، فرحا وطربا، ويفتخر فيها الشعب المغربي بأسره، مرحا وعجبا لأن هذا العيد الوطني الكبير يجسد وحدة الأمة المغربية كما أن هذه المناسبة القومية العظيمة تذكر سكان هذه البلاد العزيزة بأمجادها السعيدة الغابرة، وتقاليدها المجيدة الزاهرة.

وان أجمل مناسبة تتيح الاحتفاء بهذا العيد الوطني الكبير لهي عيد العرش الذي يحل بيننا، كل سنة فتحل معه الأفراح والمسرات. ويطل على الشعب المغربي، فتطل معه البهجة والطمأنينة، وتعم فيه السعادة والاستبشار

ومما لا مراء فيه أن هذه الاحتفالات الوطنية خير مناسبة للوقوف على ما تحققه الأمم والشعوب في طريق نهضتها وتقدمها في مختلف الميادين الدستورية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، ولتقييم التجارب التي تمر بها في حياتها اليومية، ووضع الخطط لاصلاح أحوالها في الحاضر والمستقبل

وإذا كان لا بد من القيام بهذا العمل، فإني أرى، شخصيا، أن مناسبة الاحتفاء بعيد العرش شرط للحديث، أولا، وقبل كل شيء، عن مؤسساتنا الدستورية التي تعد أس الكيان السياسي والإقتصادي الذي يعمل المغاربة، سواء كانوا حكاما أو محكومين، مسؤولين أو مرؤوسين، على ارساء دعائمه، اليوم، لمواصلة المسيرة الرامية إلى النهوض بالمملكة المغربية، وضمان رقيها من الوجهتين السياسية والإقتصادية، وتمكينها من مواكبة ركب الحضارة المعاصرة، والمدنية الحديثة مع الحفاظ المتين على تقاليدها العريقة، وأنسيتها وشخصيتها الإسلامية العربية والإفريقية وتمسكها بمقومات التمدن الإنساني الذي يميز الأقطار المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، والتي تعد من أعرق المقومات الحضارية في العالم، نظرا لما عرفته من مدنيات متعددة، وأمبراطوريات تعاقبت على حكم غالبية هذه الأقطار المجاورة للبحر الأبيض المتوسط سواء كانت هذه الحضارات ذات طابع افريقي أو أسيوي أو أوربي.

ومما لا جدال فيه أن أهم هذه المؤسسات الدستورية التي تلعب دورا حيويا في نشاط الأمة هي المؤسسات ذات الطابع التنفيذي التي عهد إليها الدستور باختصاصات واسعة ومكنها من الوسائل العملية لتقوم بدورها التام على أكمل وجه، وتضطلع بمأموريتها على أحسن حال في تسيير مقاليد الأمة، وتحديد سياستها العامة، والسهر بكامل الجد والفعالية، على مصالح الشعب، وحقوق المواطنين مع ضمان القيام بالواجبات التي يتحتم على السكان أداؤها سواء كانت واجبات فردية أو جماعية

ومما طوق به الدستور أعناق الماسكين بزمام المؤسسات التنفيذية الحفاظ على السيادة الوطنية والوحدة الترابية للبلاد، ورد اغارات المعتدين على حرمتها، والضرب على يد كل من سولت له نفسه العبث بمقدسات الأمة أو النيل من حرماتها مع العمل، بكل عناية واهتمام، على ضمان استقرار الأوضاع السياسية، والإختيارات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي ارتضتها الأمة لنفسها، واختارتها سبلا واضحة لتحقيق رقيها الإجتماعي، ونهوضها الإقتصادي، في الحاضر، والمستقبل، مع المحافظة على السلامة والأمن في ربوع البلاد حتى لا يلحق بالسكان ضرر، ولا يشوه صفو الحياة في البلاد كدر

كان لا بد من التوقف عند هذه المؤسسات الدستورية التنفيذية لتوضيح أهميتها في البلاد حتى نعي جميعا الدور القيادي الذي يلعبه الجهاز التنفيذي في بلادنا والذي يتحتم علينا، كلنا، العمل على تقويته ومناصرة المسؤولين عنه بالتأييد المادي والمعنوي الذي يتلخص، أولا، في متابعة النشاط الوطني والحياة السياسية، وثانيا، في أداء الواجبات وتسديد، الحاجات التي يتوقف عليها هذا الجهاز لمواصلة جهوده في الإصلاح والترميم، وفي البناء والتجهيز، وفي سبيل تحقيق الأمن والإستقرار في البلاد. ومن البديهي أن هذا التأييد المادي والمعنوي لا ينحصر في أداء الضرائب والرسوم، ولكنه يشمل، أيضا، ضرورة اتباع تعليمات المسؤولين، واحترام القوانين العامة، وتجنب كل ما قد يخل بالأمن والسلم في أنحاء الوطن وليس معنى هذا التأييد المادي والمعنوي الوقوف بجانب الحاكمين والموافقة العمياء على كل ما يعملون وكل ما يذرون، وجميع ما يأخذون وما يدعون، فقط، ولكن التأييد المادي والمعنوي يقتضي النقد البناء، والمعارضة الإيجابية، والنصح الخالص لوجه الله والذي أناط الله به المسلمين رغبة في التعاون

على البر والتقوى والإحسان وعدم التعاون على الإثم والجرم والعدوان. وهذا ما يفرض على المواطنين بأجمعهم ـ حاكمين ومحكومين، مسؤولين ومرؤوسين ـ خلق فرص الحوار المجدي بين سائر المواطنين على مختلف المستويات الوطني، منها والإقليمي والمحلي، وفي سائر الميادين الدينية منها والثقافية والإجتماعية والإقتصادية بكل تجرد وإخلاص، وبكامل الإستعداد والإعداد. ومن هنا يتجلى لنا دور المؤسسات الدستورية الأخرى كمجلس النواب والتي يعبر عنها بالجهاز التشريعي إضافة إلى الجهاز القضائي الذي يعهد إليه بالبت في الخلافات أو النزاعات التي يمكن أن تنشب بين هذه الأجهزة المتعددة من جهة، أو بين أحدها وبين المواطنين من جهة ثانية، أو بين المواطنين من جهة ثالثة. ومما لا غبار عليه أن الدستور المغربي ينص على تمتع كل جهاز من الأجهزة الدستورية المذكور بالإستقلال التام، ويعاقب، بصرامة وقساوة، كل من تسول له نفسه الخلط بين اختصاصات الأجهزة الثلاثة أو محاولة التأثير، بوسيلة أو بأخرى، على أحد هذه الأجهزة التي تعد العمود الفقري في حياة الوطن والمواطنين بل الهيكل الأساسي لكل أمة، ولكل شعب، ولكل نظام ديمقراطي يحترم نفسه، ويعمل على تنظيم البلاد تنظيما محكما أساسه البناء المتواصل، وجداره إقرار العدالة الاجتماعية الحق، وغايته إسعاد المتساكنين في إطار تنظيماته، وضبط العلاقات الداخلية ضبطا وثيقا يعطى لكل ذي حق حقه، فيجازي المحسن من المواطنين إن أحسن، ويعاقب المسيء منهم إذا أساء.

إن لبنات أي مجتمع بشري لا تستقر ولا تتوطد إلا بعد مرور هذا المجتمع بتجارب في حياته التاريخية ، عهيدها وجديدها، طريفها وتليدها تسمح له بتحديد معالمه بكل دقة ووضوح، وتعينه على تنظيم المواطنين تنظيما يتفق مع تقاليدهم وعاداتهم، ويستجيب لمصالحهم وحاجاتهم، ويوطد روابطهم وعلاقاتهم، وينفخ فيهم روح الحمية والحماس للعمل الفردي والجماعي، ويغرس في نفوسهم حب الصالح العام، والتضحية بالمصالح الشخصية في سبيل المصلحة العليا للوطن، ويزرع في روعهم الفضائل الإجتماعية المحمودة التي تساعدهم على التعبئة والتجنيد، وتجعلهم يشاركون، عن طواعية، في أعمال البناء والتشييد دون كلل ولا ملل، ودون تملص ولا تربص.

إن هذه التجارب، وما يصحبها من مؤثرات، وما تخلفه في نفوس المواطنين من إحساسات، وما يرتبط بها من أحداث وعادات، تكون، على مدى التاريخ، مظاهر حضارية، واجتماعية، يتعلق بها المواطنون، ويتبنونها، خلفا عن سلف، فتصبح جزءا لا يتجزأ من عيشتهم اليومية، وحياتهم الفردية والجماعية يتبعونها في سلوكهم، ويعملون بها في أفراحهم وأتراحهم، ويسيرون على نهجها في علاقاتهم العائلية، والمحلية، والإقليمية، والوطنية، ويتقيدون بها، تلقائيا، في معاملاتهم المهنية والتجارية في الأخذ والعطاء، والبيع والشراء، والدفع والأداء، في الحرب والسلم، في العدل والحكم، في الحياة والموت، في المأكل والمشرب، في المعمل والملعب، في الحرث والزراعة، في التعليم والصناعة، في الحفلات والمواسم، في المآسي والمآثر، في الخلاف والنزاع، في القتال والصراع، في الوفاق والاتصال، في الفراق والإنفصال، في الحل والعقد، في الابرام والنقض، في الزواج والطلاق، في التخاطب والأداء، في التشاور والتفاوض، في التفاهم والتناقض، في الحر والقر، في الكر والفر، في الغيث والقحط إلى غير ذلك من القضايا والأحوال التي تطرأ على المواطنين الذين يعيشون، رويدا رويدا، هذه الأحداث منفعلين لها، متأثرين بها، ومؤثرين في مجراها كل حسب ميوله وأهوائه، وتبعا للانطباعات التي تتركها في نفسه، وما تعتم هذه الإنفعالات والمظاهر تتوالى، وتتعاقب، مع مرور الأجيال، حتى تصير متأصلة في الأمة يتوارثها الأحفاد عن الأجداد، وتتلقفها الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة، وتغدو قوانين حية مطبقة، ودساتير عملية منفذة قد لا تسعى بعض الدول المتحضرة، والأمم الراقية العريقة في المجد إلى جمعها في كتاب تطلق عليه إسم «الدستور» أو تفرغها في قالب أحكام وفتاو تسمى بأسماء ما أنزل الله بها من سلطات كالقوانين المدنية والجنائية والإدارية والتجارية والعقارية، وقانون الأحوال الشخصية، كما هو الشأن، في بريطانيا العظمى التي لم يعمل أبناؤها، في يوم من الأيام، على كتابة دستور، ولا على عرضه بقصد الإستفتاء على المواطنين الذين اتفقوا، منذ غابر العصور والأزمان على عدد من الفضائل، والمناقب، والمثل العليا، والسنن الأخلاقية، كما أجمعوا على اتخاذ طابع معين في سلوكهم الخاص والعام عن تراض فيما بينهم يحتوي على مبادىء وقيم يحترمها الجميع، ولا يخرج عنها إلا ضال مضل أو شاذ أشل ما تنفك معاملاته التي لا يرضى عنها المجتمع أن تتلاشى وتضمحل كما لا يفتأ ذلك الضال يلقى، من إجرائه المشين، النظرات الشزراء، والإشارات المهينة، من طرف المواطنين حتى يرعوي عن غيه اللهم إلا إذا استمر في ضلاله، ومعاملاته البذيئة الرذيلة المنبوذة فإنه آنذاك يقرع بالعصا، وبكل ما أوتي المجتمع من قوة وبطش، ولعل الشعب الإنجليزي أقرب الشعوب التي يمكن أن ينطبق عليها، بعد الشعب العربي، قول الشاعر العربي القديم :

تكفي اللبيب إشارة مرموزة
وسواه يدعى بالنداء العالي

وسواهما بالزجر من قبل العصا
ثم العصا هي رابع الأحوال

وإذا كانت هذه شنشنة الشعب الإنجليزي الذي بلغ في مضمار التطور العلمي والفكري، والتقدم التقني والإجتماعي مبلغا كبيرا جعل الروح الدينية المتغلغلة في أعماق أبنائه تتضاءل أمام التحديات المادية الأمر الذي أدى به إلى كثير من الإضرابات الإجتماعية، والتقلبات النفسانية أقول - إذا كانت هذه طريقة الشعب الإنجليزي الذي يعترف له الجميع بالتوفر، من قديم الزمان، على طابعي الأصالة والعراقة فإن الأولى بالشعب المغربي المسلم المومن، وبالشعوب الإسلامية بأسرها، أن تستخلص العبرة من ماضيها العريق العهيد، وتاريخها العظيم المجيد، وأن تعمل على ضبط قوانينها، تلقائيا، مع تقاليد هذه الشعوب وحضارتها، وأن تعض على معالم مدنيتها الخالدة بالنواجد دون اللجوء إلى الأحوال المؤسفة التي تعرفها غالبية الأقطار الإسلامية التي تنقض في اليوم اللاحق، ما أبرمته في اليوم السابق، وتتنكر في الغد لما أقرته بالأمس حتى صار نظام البعض منها مذموما ومآل الكثير منها مشؤوما إذ هي تدعو، مثلا، إلى الوحدة والإتصال بلسانها، وباسم قادتها، ولكنها تعمل على الإنشقاق والإنفصال في أعمالها وحالاتها، وهي، أيضا، تختار دساتير قومية لاحترام بنودها وأوفاقها، ولكنها لا تعمل على تطبيق مواثيقها وعدم الخروج عن إطارها وآفاقها، فنحن نسمع، في مطلع كل يوم جديد، دعوة جديدة، ونشاهد في كل حين بروز حركة حديثة، وتطرق آذاننا في كل وقت مبادىء طارئة، ومذاهب غريبة الوجه واليد واللسان عن بلاد العروبة والإيمان. والأدهى من هذا أننا نجد في هذا القطر العربي أو الإسلامي أو ذاك الدعوة إلى التمسك بفضائل ومناقب قد يعتبرها قطر عربي أو إسلامي آخر رذائل ومثالب حتى أصبح يوافق حالنا ما قاله الشاعر العربي القديم :

مثالب قوم عند قوم مناقب

أما في بلادنا، والحمد لله، فإن المغاربة يتشبثون، منذ كانوا، بالأصالة المغربية، ويذودون، بكل قواهم، عن الشخصية الوطنية، ويكافحون، ليل نهار، للحفاظ على ذاتيتهم القومية التي رسمت ملامحها النيرة القرون والأجيال، ووضعت معالمها الراسية الفئات الإجتماعية المتعاقبة فوق التراب الوطني، وحددت مظاهرها الباقية الروافد الثقافية والفكرية التي أتى بها الآباء والأجداد، وأثبتت طابعها المكين القبائل والدول التي توصلت إلى القبض بناصية الأمور في هذا القطر العربي المسلم الإفريقي الذي جمعت «انسيته» العقيدة الإسلامية واستوعبت الحضارة العربية، وهضمت شخصيته الفذة روافد المدنيات التي ترعرعت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط وأشربت لباب العادات والتقاليد التي تزخر بها القارة الإفريقية. إنها، والله، مجموعة من الثقافات المتنوعة، وكشكول من المعارف المتعددة، وبحر فياض من المشاعر والخوالج، والعواطف واللواعج، كل هذا قدر الله له أن ينصهر في بوتقة مغربية تفتقت عنها العبقرية الوطنية التي لن يستطيع أي واحد، مهما بغي وطغى، أن يفصل بعضها عن بعض فأحرى أن يمسها بسوء أو يغيرها بعصا سحرية ولو كان الشيطان له ظهيرا. إن الشخصية المغربية بوتقة امتزاج وازدواج ووعاء تأثر وتأثير، وإناء تلق وعطاء جمعت من كل شعب أحسنه، وأخذت من كل فكر أمتنه. إن الذاتية المغربية جسور حضارات، وممر ثقافات، وملتقى تقاليد وعادات، وأنموذج نفحات وخلجات اضطرب له قلب وفكر الآباء ويهتز بها مزاج وضمير الأبناء وإن المواطنين، في بلادي كالمشموم، يعبق بكل أريج طيب ويفوح برائحة زكية، ورحم الله القائل :

أولئك كالمشموم كل له شذى
ومجموعه أذكى أريجا إذا «ضما»

ومن المؤسف حقا، أن بعض المفكرين المغاربة، وعددا من القادة السياسيين حاولوا، في دراساتهم وأبحاثهم، ودعواتهم ومقالاتهم، أن يجبروا المجتمع المغربي على التخلص من عاداته وتقاليده بل إن من هؤلاء القادة والمفكرين، سامحهم الله، من دعا إلى غسل أدمغة المغاربة مما علق بها من أفكار وخصال، وملئها، بعد الغسل، بالنظريات العصرية، والمشاعر الطرية والإنفعالات المستوردة، والإحساسات الغربية. لقد ظن هؤلاء السادة - ويا ما أوهى ظنونهم - أنه، من السهل، إفراغ الرأس المغربي من التراث الأصيل التليد وحشوه، بعد الإفراغ، بفكر طريف جديد. لكن هذه العملية لم تنجح لأنه لم تكن ترمي الى براء من داء بقدر ما كانت ترمي إلى التخلص من عنصر حيوي في الجسم لذلك لم يجد أصحابها آذانا صاغية ولا قلوبا واعية إذ وجدوا في المواطنين حرصا كبيرا على التمسك بمقوماتهم الأصيلة، وعدم الإستعداد للتنصل من تراث حافل والأعراض عن كل ما يدعو إلى التخلي عن ذاتيتهم رغم رغبة المغاربة الكبيرة في مواكبة ركب التقدم الحضاري والفكري المعاصر، ومسايرة التيارات العلمية الطريفة، والتمشي مع مقتضيات تطورات العصر الحديث

إن المملكة المغربية تزخر بألوان زاهية من المعارف والثقافات المحلية وأشكال باهية من الطقوس والأعراف القبلية، وأنواع راقية من التقاليد والعادات، وإن هذه الألوان والأنواع والأشكال الحضارية جعلت كل قبيلة تعتز بما تتوفر عليه من تراث

شعبي، تخاف عليه من الضياع والاندثار وإن كل من حاول المس بجانب من هذا التاريخ ـ سواء كان من سكان المغرب أو من الأجانب المغيرين ـ يلقى من هؤلاء السكان المقاومة الكبيرة والكفاح القوي، وقد اختلفت على بلادنا عقائد ومذاهب قديمة عملت على توحيد المغرب في إطار حضاري معين ولكنها لم تتمكن من النجاح بسبب ما قوبلت به من طرف الأهالي من أعراض عن هذه العقائد وازدراء بهذه المذاهب، ومناهضة لها ولأصحابها الذين كثيرا ما رجعوا على أعقابهم خاسرين، ورضوا من الغنيمة بالإياب بخفي حنين وهم يجرون أذيال الخيبة والإنهزام، ولم تجد هذه الطقوس والأهواء والأعراف والعادات إلا بوتقة واحدة مناسبة لها وملائمة لأجوائها فانصهرت فيها راضية مرضية، وكانت هذه البوتقة هي عقيدة الإسلام التي وسعت جميع هذه التقاليد، وقاربت بين أشكالها وأجوائها وسعت بلطف واتئاد، وكد واجتهاد، إلى تبني العديد من ألوانها وأهوائها نظرا لما يتمتع به الإسلام من عقيدة موحدة واثقة، وشريعة محكمة رائقة تغزو القلوب دون أحداث وخطوب، وتدخل الآذان بدون استئذان، ونظرا لما يحمله الدين الإسلامي من ليونة وتسامح، ومرونة وتصافح، ودعوة للتضحية والإيثار، وتأكيد لكرامة الإنسان دون حدود ولا اعتبار، ونظرا لكونه يتكيف مع الظروف والأكوان، ويصلح لكل زمان ومكان، فقد انقاد المغاربة طائعين لهذه العقيدة السمحة التي صادفت هوى في نفوسهم، ووجدت قلوبا خالية فتمكنت منها، وأصبحت، والحمد لله، تعتبر الدعامة الأساسية في المقومات الوطنية، والركن القوي في الكيان القومي المغربي.

ومن دواعي الإعتزاز والإفتخار أن بلادنا غنية بالثقافات الإقليمية، واللهجات المحلية، ومتوفرة على تراث شعبي ضخم، إن لهجات تمزيغت وتشلحيت والريفية وغيرها تحتوى على فنون شتى وعلوم كثيرة، وقد حاول المغيرون على بلادنا القضاء على هذه الألوان الحضارية، في محاولات شتى ولكنها باءت جميعها بالفشل لأن المواطنين لا يقبلون الحضارات الدخيلة بديلا لتراثهم وإن كانوا لا يرون مانعا في الاتصال بها، والإستفادة منها، وإفادتها إن أمكن، ويرجع هذا التلون الحضاري، والتنوع اللغوي إلى تعدد الجهات والأقاليم في بلادنا كما يعودان إلى ما عرفه المغرب، خلال التاريخ من فتوحات وغزوات، وما تلقاه، طوال حياته الحافلة بالأمجاد، من روافد ثقافية مختلفة الأصول، وألوان حضارية تعبر عما تزخر به البلاد من كمال وشمول.

ولما فتح الإسلام قلوب المغاربة، وفتح هؤلاء قلوبهم للإسلام، أقبل المواطنون على لغة القرآن، عن طواعية، وأخذوا يتعلمونها بشوق ولهفة، ويعلمونها لأبنائهم، بفرح وحبور، وينشرونها في الدول والشعوب التي إمتد نفوذهم إليها سواء كان الأمر يتعلق بالصحراء وما وراءها، أو بسائر ربوع المغرب العربي أو بالأندلس، ولم يقتصر أمر المغاربة على تعلم هذه اللغة، والتمتع بأسرار علومها، بل إنهم اتقنوها الإتقان العظيم، وصار بعض علمائهم مرجعا مهما من مراجعها بل إن بعض المناطق المغربية في جنوب البلاد كسوس صارت معقلا من معاقل اللغة العربية، وظهر فيها رجال كابن الشرقي يشار إليهم بالبنان ويعتمد عليهم وعلى مؤلفاتهم كل من له اهتمام وولوع بلغة القرآن في مختلف الأقطار والأصقاع والبلدان. وذهب تمكن المغاربة من اللغة العربية، وشغفهم بها إلى استعمالها وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وخلجاتهم، بدلا من لغاتهم ولهجاتهم، فنظموا الشعر بلغة الضاد وكتبوا بها رسالتهم ومؤلفاتهم، وتغنوا بها في أفراحهم ومواسمهم، وما زالت هذه اللغة العربية تتسرب إلى خواطرهم ولواعجهم، وما فتىء المغاربة يشربون أسرار هذه اللغة حتى أضحت إحدى مقومات بلادنا، وأساس حضارتنا نتحدى بها كل من تسول له نفسه المس بالكيان المغربي سواء كان من سكان هذه البلاد أو من الأجانب الذين يتمنون محو معالم الشخصية الوطنية والانسية المغربية.

وإذا كانت العقيدة الإسلامية واللغة العربية تعدان من ملامح الذاتية القومية فإن من أهم المقومات التي ترسم معالم وطننا النظام السياسي الذي اختاره المغرب منذ حل في ربوعه وبين سكانه المولى إدريس الأول منذ أربعة عشر قرنا.

نعم، لقد وصل حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بلادنا فوجد من الأهالي من البربر وغيرهم إقبالا منقطع النظير، واحتفاء واحتفالا لا مثيل لهما، وتكريما وتعظيما لم يسبق لأي وال من الولاة، أو ولي من الأولياء، أو قائد من القواد، أو زعيم من الزعماء أن حظي بهما، فقد جاء هذا الفاتح العظيم وهو يحمل كتاب الله، ويدعو إلى دين الله لا يرغب في ولاية، ولا يطمع في ملك ولا يريد جزاء ولا شكورا، جاء إلى بلادنا فارا بنفسه وأصله، وصحبه وأهله، ملتجئا إلى بلاد غريبة عنه لا يطلب فيها شيئا غير السلم والدعة، ولا يرجو من المغرب وأهله غير الايواء والمناصرة بعد ما ضاق به الأمر في المشرق وكاد الشر والايذاء أن يلحقا به بعدما لحقا بعائلته وعشيرته.

كانت بلادنا، قبل دخول المولى إدريس عبارة عن قبائل متعددة، وقوميات متشددة ومقومات غير موحدة، وشعوب مختلفة، وأمم غير مؤتلفة زاد انفصام عراها، حدة وشدة، طبيعة المغرب المتباينة الأنواع والأشكال، والمتباعدة الأطوار والأحوال فهي

تتركب من سهول وجبال، وحزون وهضاب، وبحار وأنهار، وصحار وأمصار، وهي متعددة الحواضر والبوادي، متغيرة الوجوه والأيادي زيادة على ما تحمله الطبيعة من تنوع الطقس والمناخ بين سلسلات الجبال نفسها وبين الهضاب والسهول بدورها، ذلك أن طبيعة جبال الأطلس هي غيرها في جبال الريف وطبيعة سهول الشواطىء المخضرة هي غيرها في هضاب الجنوب المغبرة. وقد ساعدت هذه الطبيعة الوعرة المنفصلة سكان كل جهة من الجهات على التمسك بسلطات محلية، والعمل على بسطها على النواحي المجاورة لها كما عملت هذا الطبقية على تقوية رجال القبائل المقيمة ببعض المناطق وأدت بهم إلى الإنفراد بالسلطة في نواحيهم يحكمون أهواءهم ويفعلون ما يشاؤون، وكلما تقوت قبيلة ما سطت على جارتها، وفرضت عليها ما تريد بالقهر والغلبة دون أن تجد القبيلة المغلوبة على أمرها من ينصرها، ويحميها نظرا لغياب أية سلطة مركزية وعدم وجود أي مركز يرمز إلى نفوذ وطني بفرض وجوده ويضع حدا لهذه السلطات اللامركزية المتعددة.

ولما دخل المولى إدريس المغرب، واستقر بوليلي التجأت القبائل والأقوام إليه وأقبلت الوفود المتقاطرة عليه راضية بحكم سبط الرسول، راغبة في إعانته على بسط نفوذه، مباركة خطواته، ومبايعة له، وجاعلة منه ومن دولته مركز إشعاع ونفوذ، ونقطة انطلاق لتوحيد البلاد ودخولها، رويدا رويدا، في عهد جديد يتمثل في الرضا بكل ما يقرره حفيد الرسول الأمين من أمور الحكم والسلطة وما يصدره من فتاو شرعية وأحكام سلطانية، وما يقره من تعليمات وتوجيهات تتفق وتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء. لقد وجدت القبائل المغربية المتفرقة في شخص المولى إدريس من الورع والتقوى، ومن الحكمة والتبصر، ومن قبس الأنوار الإلاهية ما جعل هذه القبائل تدين له بالولاء، وتختاره، عن طواعية، وهي التي أوته بعدما آوى إليها، أميرا للمؤمنين، مطاعا بين المسلمين لأن المولى إدريس لم يفرض عليها سلطة ولا سطوة، ولم يفتح أقطارها إغارة وعنوة، ولم يأت بلادنا مغيرا غازيا، ولا هاجما باغيا بل أتى إلى ديارنا يطلب العون والحماية ويرجو الوفادة والرعاية، ويتمنى السلامة والعناية. وهكذا نال المولى إدريس الحظوة التي أراد، وحقق لنفسه وأهله وللقبائل المغربية أغلى مراد. فأصبح يتمتع بنفوذ ديني واسع، وسلطان مدني شاسع، مكنا له في الأرض، طولها والعرض حتى إذا ما لفظ أنفاسه، وأسلم الروح لباريها على يد غدار أثيم وسفاك زنيم أسرعت هذه القبائل نفسها إلى بيت المولى إدريس، وأحاطت بزوجه وعشيرته حتى ترعى بنفسها البضعة النبوية المنتظرة والجنين الشريف الذي ما زال يتخبط في بطن أمه. ومن غرائب الأمور أن هذه الرعاية القبلية بخلف المولى إدريس والحماية المتواصلة لوارث سره دامتا مدة طويلة لم تعرف فيها الدولة الفتية اضطرابا ولا تنطعا، ولم تشهد فيها البلاد انقلابا ولا تصدعا، لأن الرغبة في الحفاظ على هذه الدولة، رغم حداثتها، كان مصدرها السكان أنفسهم، كما أن إرساء دعائم نواة هذا الحكم المركزي كان نابعا من القبائل التي ألقت القياد لهذه العائلة الشريفة وهي تعلم أنها تسلم مصيرها لأيد أمينة، وبضعة نبوية نبيلة. وقد ظل أمر الحكم في المغرب على هذا الشكل منذ عهد إدريس الأول إلى اليوم أمانة في أيدي المواطنين، وبيعة في عنق السكان الذين لم يكتب تاريخنا الوطني أنهم تنكروا لأي عهد قطعوه على أنفسهم مع من يولونه أمرهم اللهم إلا إذا تردد ولي الأمر في الإضطلاع بمسؤولياته فإنهم، آنذاك يختارون من عشيرته أو من أهل الخير والصلاح، خارج هذه العشيرة التي قد لا تكون تتوفر على الرجل الذي تتجسد فيه المثل العليا التي يرغبون في توفرها في كل من يولونه أمرهم. وهي، لعمري، مثل عليا جليلة، وخصال جميلة دعامتها الإنحدار من أصل نبوي، وعمادها الإضطلاع الكامل بالأمانة الملقاة على عاتق الولي المختار، وصواها القدرة على تحمل الأعباء الدينية والدنيوية، وما تتطلبه من روع وتقوى، وجهاد في سبيل الله والوطن، وشجاعة في قول الحق وإقامة العدل، وتسيير الرعية بالقسطاس المبين دون أثرة ولا نعرة، والسهر على مصالح الوطن والمواطنين دون إفراط ولا شطط، والقدرة على الجمع بين إمارة المومنين وحكم المواطنين.

يتجلى لنا من كل ما ذكرنا، أن النظام السياسي الذي ارتضاه المغاربة منذ أربعة عشر قرنا هو النظام الملكي الذي يحمل صاحبه لقب ملك البلاد وأمير المؤمنين، ويسمح له بالجمع بين الوظيفتين الدينية والدنيوية، والتوفيق بين المهمتين بحيث لا تطغى اهتمامات احداهما على الأخرى. وإن كل من تصفح تاريخ المغرب القديم والحديث، بكل تجرد ونزاهة، سيجد أن جميع الملوك الذين تعاقبوا على العرش المغربي، واستمر حكمهم ونفوذهم لمدة طويلة، لم يتمكنوا من الإستقرار في الملك، والإستمرار في الحكم، إلا بفضل ما كانوا يتوفرون عليه من عبقرية ودهاء، وما كانوا يتحلون به من صفات الإباء والولاء والوفاء التي أضفوها على الشعب المغربي الذي بادلهم نفس الطاعة ونفس الولاء، وحباهم أكبر ما يمكن من الحب والوفاء فامتزج العرش بالشعب، واحتمى الشعب بالعرش، ونتج عن هذا الإمتزاج والإحتماء بطولات وملاحم، ومسيرات ومواسم زخر بها تاريخ المغرب القديم، وتحلى بها عهده

الجديد الذي يكفي أن نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر، نضال محمد الخامس - رحمه الله - في سبيل الإستقلال وضمان السيادة الوطنية وجهاد خلفه ووارث سره الحسن الثاني - حفظه الله - من أجل الدفاع عن الوحدة الترابية، وفي سبيل التنمية الإقتصادية والإجتماعية.

يتضح مما سبق أن الأمة المغربية تتمتع بكيـــان ذاتـــي، ومقومات وطنية أساسية ملكت نفوس المغاربة عبر مراحل التاريخ القديم والحديث، وتمكنت من المواطنين بعد أحداث وتجارب عاشها الأجداد الذين حددوا، بترو وإمعان معالم هذا الكيان القومي وصاروا، عن طيب خاطر، يعملون على المحافظة عليه ومناصرته بحد السيف كلما حاول أحد المتنطعين، أو فئة من المضلين، أو دولة من البغاة الأجانب النيل من هذا الكيان الذي يقوم على عقيدة الإسلام ورسالته الخالدة التي تجاوبت مع مشاعر الشعب المغربي الذي وجد في الرسالة المحمدية، والشريعة الإسلامية ما يرضي طموحه، ورغباته، ويستجيب لآماله وغاياته في الحياة الدنيا والآخرة كما يقوم هذا الكيان على اللغة العربية التي اختارتها الأمة المغربية أداة للتعبير عن حضارتها العريقة، وأعرافها الوثيقة وتراثها الشعبي الزاخر بالألوان العجيبة والأشكال الغريبة.

وكان النظام الملكي من أهم مقومات الأمة المغربية منذ عهد الأدارسة إلى اليوم، وسيظل، بحول الله، عماد الحياة السياسية في بلادنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأن هذا النظام هو الإطار الوحيد الذي استطاع، حتى الآن أن يضمن الوحدة الوطنية المنشودة، ويلم شتات الأمة، ويجمع شملها، ويوحد صفوفها بعد ما كانت أمما شتى، وقبائل متفرقة، ومناطق منفصلة بعضها عن بعض لا يوحدها تشريع مشترك، ولا تجمعها سلطة موحدة، ولا تخضع لوحدة وطنية ونفوذ مركزي قوي. ويتجسد نظامنا الملكي في مؤسستين دستوريتين عزيزتين ؛ أولاهما جلالة الملك الذي أجمعت الأمة على مبايعته ملكا للبلاد وأميرا للمومنين نصره الله وثانيتهما ولي العهد المحبوب أقر الله به عين والده الهمام.

ان هاتين المؤسستين أساس النظام السياسي في بلادنا لأنهما مصدر كل السلطات، ومنهما تتوزع جميع الاختصاصات، وعليهما كل الاعتماد في ضمان استقرار البلاد، وصلاح العباد، واستمرار النظام، وتواصل النشاط الديني والسياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي. وقد أحسن المشرع الحكيم صنعا عندما أحاط هاتين المؤسستين بالاحتياطات اللازمة، والإجراءات القائمة، والبنود الصارمة لتتمكنا من الاضطلاع بالمأموريات العظمى الملقاة على عاتقهما، وتقرير وتنفيذ الأحكام والأوامر التي تصدر عنهما، كما أحسن في أن تتوفر لهما جميع الشروط الضرورية لهما للقيام بالأعباء والمسؤوليات الكبرى المخولة لهما. فهما معقد آمال الأمة ومطامحها، ومحط مطالبها ومصالحها، والمحور الأساسي التي ترجع إليه، وتدور حوله الأجهزة التنفيذية والتشريعية والقضائية. فلا غرابة إذا رأينا الدستور المغربي ينص في فصول متعددة على الملكية، ويوضح التبعات التي يتعين أن يتحملها جلالة الملك الذي يعتبر أمير المومنين، والممثل الأسمى للأمة، ورمز وحدتها، وضمان دوام الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين، والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين، والجماعات، والهيئات، الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحق كما ورد في الفصل 19.

وقد جاء في الفصل 20 أن عرش المغرب، وحقوقه الدستورية تنتقل بالوراثة إلى الولد الذكر الأكبر سنا من ذرية جلالة الملك **الحسن الثاني**، ثم إلى ابنه الأكبر سنا وهكذا ما تعاقبوا، ما عدا إذا عين الملك قيد حياته خلفا له ولدا آخر من أبنائه غير الولد الأكبر سنا. فإن لم يكن ولد ذكر من ذرية الملك فالملك ينتقل إلى أقرب أقربائه من جهة الذكور ثم إلى ابنه طبق الترتيب والشروط السابقة الذكر.

وانتقل المشرع بعد ذلك موضحا، بادىء ذي بدء، أن جلالة الملك يتوفر على قائمة مدنية وأن شخص جلالة الملك مقدس حتى لا يتسنى لأحد أن ينتهك حرمته وتعرض الدستور، في مرحلة أخرى، إلى تحديد مهمات جلالة الملك - وذلك من الفصل 24 إلى الفصل 35 حيث أقر الدستور أن جلالة الملك يعين الوزير الأول والوزراء ويعفيهم من مهامهم، ويقيلهم أن استقالوا، كما يرأس الملك المجلس الوزاري، ويصدر الملك الأمر بتنفيذ القانون وينص الدستور على أن للملك حق حل مجلس النواب بظهير شريف طبقا للشروط المبنية في الفصلين 70 و 72 من الباب الخامس كما أن لجلالة الملك الحق في أن يخاطب مجلس النواب والأمة، ولا يمكن أن يكون مضمون خطابه موضوع أي نقاش، ويمارس الملك بمقتضى ظهائر السلطات المخولة له صراحة بنص الدستور.

أما الظهائر الشريفة فإن الدستور يوضح انها توقع بالعطف من لدن الوزير الأول ما عدا الظهائر المنصوص عليها من الفصول 21 (المقطع الثاني) 24، 35، 68، 70، 78، 85، 95، 100. وجلالة الملك هو القائد الأعلى للقوات المسلحة الملكية كما له حق التعيين في الوظائف المدنية والعسكرية وأن يفوض لغيره ممارسة هذا الحق.

ويعتمد الملك السفراء لدى الدول الأجنبية، والمنظمات الدولية ولديه يعتمد السفراء وممثلو المنظمات الدولية. كما أن الملك هو الذي يوقع المعاهدات، ويصادق عليها غير أنه لا يصادق على المعاهدات التي تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة إلا بعد موافقة مجلس النواب.

تقع المصادقة على المعاهدات التي يمكن أن تكون غير متفقة مع نصوص الدستور وذلك باتباع المسطرة المنصوص عليها فيما يرجع لتعديله.

ويرأس الملك المجلس الأعلى للانعاش الوطني والتخطيط كما يرأس المجلس الأعلى للقضاء ويعين القضاة طبق الشروط المنصوص عليها في الفصل 78. وفي هذا الإطار يمارس جلالة الملك حق العفو ويرأس جلالة الملك المجلس الأعلى للتعليم.

ومن أهم الاختصاصات التي خولها المشرع لجلالة الملك حالة الاستثناء إذ بين أنه إذا كانت حوزة التراب الوطني مهددة أوإذا وقع من الأحداث ما من شأنه أن يمس بسير المؤسسات الدستورية فيمكن للملك أن يعلن حالة الاستثناء بظهير شريف بعد استشارة رئيس مجلس النواب وتوجيه خطاب للأمة. وبسبب ذلك تكون له الصلاحية رغم جميع النصوص المخالفة في اتخاذ التدابير التي يفرضها الدفاع عن حوزة التراب ويقتضيها رجوع المؤسسات الدستورية إلى سيرها العادي أو يقتضيها تسيير الدولة. وتنتهي حالة الاستثناء باتخاذ نفس الإجراءات المتبعة لإعلانها.

أما المؤسسة الدستورية الثانية - وهي ولاية العهد - فهي أداة فعالة لتواصل النظام الملكي واستمراره. ووسيلة عملية لدوام الحكم واستقراره. وإذا كان الدستور لم يحدد لها اختصاصات جلية واضحة، ولم يمنحها سلطات معينة صالحة فإن مرد ذلك هو أن ولي العهد يستمد مسؤولياته من جلالة الملك الذي ينيبه عنه في بعض المهمات السياسية والإدارية سواء كانت ذات طابع تقليد وتكليف أو ذات مظهر تمجيد وتشريف كما أن ولي العهد يقتبس أدواره في نظام الدولة وسير دواليبها من دور جلالة الملك الذي يعتبر أن لولي العهد نيابة عن الإمام في مختلف الواجبات والتبعات التي يتحملها جلالة الملك في سائر مراكز المسؤولية وجميع مراحل حياة الأمة. وأعتقد أن المشرع كان حكيما جدا في هذا الباب، وذلك بعدم تعرضه لسلطات ولي العهد، وتركها بدون تحديد حتى يبقى لصاحب الجلالة كامل الصلاحية في استغلال مواهب ولي العهد، مع تفتق عبقريته، لمختلف المأموريات الرسمية التي توافق سنه، وتطابق ميوله، وتتمشى مع مراحل حياته، حتى يتعرف، شيئا فشيئا، على مناخي الحياة العامة في البلاد، وحتى يقف، بدوره، على جوانب الحكم، بتطور واطراد، ويتمرن على ممارسة المسؤوليات، بكامل الاستعداد، وصالح الاعداد، في الحاضر والمستقبل.

ومع ذلك، فإن المشرع الحكيم لم يغفل الجانب التنظيمي لهذه المسؤولية إذ حدد سن الرشد فيما بعد السنة السادسة عشرة بالنسبة للملك الذي يمكن أن يباشر مسؤولياته الجسيمة ابتداء من السنة الواحدة والعشرين.

وأقام المشرع، خلال هذه الفترة أي ما بين بلوغ الملك سن الرشد التي هي نهاية السنة السادسة عشرة، وإدراك تمام السنة العشرين من عمر الملك، هيأة استشارية أطلق عليها اسم مجلس الوصاية الذي يمارس اختصاصات العرش وحقوقه، باستثناء كل ما يتعلق بمراجعة الدستور ويتركب هذا المجلس الذي يرأسه الرئيس الأول للمجلس الأعلى، زيادة على الرئيس، من رئيس مجلس النواب، ورئيس المجلس العلمي الإقليمي لمدينتي الرباط وسلا، وعشرة أشخاص يعينهم الملك بمحض اختياره.

وخلاصة القول، فإن الأمة المغربية ذات أمجاد جليلة، وحضارة أصيلة، وأعراف أثيلة تمكنت منها عبر العصور والأزمان، وتسربت إلى أعماق أبنائها خلال الدهور والأجيال، ارتسمت بها معالمها السياسية، وتوطدت مكارمها الاجتماعية، وتواصلت ملاحمها البطولية، ولعل الأمة المغربية من أجل الأمم التي جمعت بين أصالتها، وشخصيتها الحضارية، وبين مقتضيات العصر الحديث، خصوصا، بعد احتكاكها بالدول الأجنبية خلال القرنين الأخيرين، ورغم احتلالها من أقطار غريبة عنها في الملة، والدين، واللغة، متباينة معها في الأعراف، والأخلاق، والعادات، فقد خاضت مع الدخيل الأجنبي معارك ضارية في سبيل الانطلاق والانعتاق، كما ناضلت، في دفاع مستميت، من أجل الحفاظ على «إنسيتها»، وشخصيتها الإسلامية العربية الإفريقية، وواصلت، في نفس الوقت، كفاحها بغية مواكبة التطور الفني والتقني في العالم الحديث، والالتحاق بركب الدول المتقدمة، وهي تسعى بخطى وثابة إلى الرقي الاجتماعي المنشود، والتنمية الاقتصادية المطلوبة والكفيلة بخروجها من وهدة التخلف.

وقد جاء الدستور المغربي موافقا لتاريخها المجيد، وحضارتها العهيدة المتأصلة، ومليبا لرغبتها في التحرر من أغلال الانحطاط، ونير التأخر والتقهقر. والأمة المغربية لم تضع الدستور، اعتباطا، أو

تقليدا لما يفعله الغير أو لما يوجد عند بعض الدول والشعوب، ولكنها وضعته في وفاق تام، وتناسق كامل، مع مقوماتها الروحية والاجتماعية ومع متطلباتها في التقدم والازدهار.

وان المرء ليعجب، حقا، وهو يرى المشرع المغربي يحاول، بصدق وإخلاص، وحرص وإمعان، تكييف مقتضيات العصر مع الكيان المغربي حتى لا يطغى جانب الطموح إلى الرقي، والتطور، على جانب مقومات المغرب الحضارية.

وقد رأينا، حتى الآن، بذل المشرع الحكيم جهودا محمودة، وهو يضع الإطار العام لهياكل الدولة أو يسعى جهد الإمكان لإقامة كل ما يتطلبه الدستور من تنظيمات ومؤسسات ، مع العمل على صيانة ما للأمة المغربية من عقائد ومقدسات. فكيف تعمل الأجهزة الدستورية الأخرى ؟ وما هي اختصاصات كل جهاز على حدة ؟ وهل بقي هذا الحرص على التوفيق بين مقومات الأمة، ومقتضيات العصر نصب عين المشرع المغربي ؟ ذلك ما سنحاول التعرض له، في الحلقات المقبلة، من هذه الدراسة التي اخترنا لها هذه المقدمة الموسعة للإحاطة بالموضوع من كل جانب، والتي خصصناها، عمليا، للمؤسسات الدستورية العليا التي وجدنا أنها أوفق للدرس في مناسبة سعيدة كعيد العرش المجيد.

عبد اللطيف أحمد خالص

الأستاذ عبد القادر زمامة يلتقي بقراء "دعوة الحق" في كل عدد

●● يعود الأستاذ العلامة الباحث عبد القادر زمامة إلى مجلته دعوة الحق بعد انقطاع اقتضاه انصرافه الكامل إلى التدريس بالجامعة، حيث يعمل أستاذا محاضرا بكلية الآداب جامعة محمد بن عبد الله بفاس.

وكان الاستاذ زمامة، قد شرع منذ سنوات طويلة في نشر (وجاداته) بهذه المجلة التي يسجل فيها خلاصة قراءاته في أمهات كتب التراث العربي الاسلامي.

وللقراء موعد مع الاستاذ زمامة في (وجاداته) وأبحاثه في كل عدد جديد من (دعوة الحق)●●

الدولة العلوية فريدة التاريخ

للأستاذ محمد بن تاويت

مما يحمد لهذه الدولة المجيدة أنها قامت على أكتاف الكفاح والنضال، وأنها لم تستغل متاتها إلى آل البيت الكرام ولم تحاول في أية حقبة من حقبها العديدة، أن تحرك أصبع التشيع، الذي حاولته سابقتها، الدولة السعدية وعملت جاهدة، على إثبات هذا النسب الشريف، فربطت به فكرة المهدوية، وأصاخت إلى شعرائها بل أوحت إليهم، أن يرددوا أنغام التشيع، الذي أجازت عليه من أدلى بدلو فيه، كما فعل المنصور مع المغوصي، وكان هذا المنصور تقبض جبته لتتسع الغرب والشرق في هذا السبيل.

لقد اتصل بالبكرية، اتصالا كان وراءه ماوراءه من الأهداف والغايات، ولعله اتصل بالدولة الصفوية الفارسية، التي وجدناها بعد وفاته تسفر إلى من خلفه من أبنائه وأحفاده، وهي في صراع مع الأتراك الذين كانوا يحملون لواء السنة والجماعة ويواجهون بعنف هؤلاء الصفويين الذين كانوا يحملون راية التشيع والضراعة.

كانت حروب الصفويين مع الأتراك العثمانيين تتسم بالصراع المر والضراوة الفتاكة، وكان ذلك قائما على المذهبية الدينية أو مستغلا في الواقع لهذه المذهبية.

وكانت الدولة السعدية، تستغل كل شيء حتى لو أدى الأمر إلى تواطؤ خفي مع أعداء الدين وغصبة أقاليم من الوطن الحبيب. أما العلويون فلم يكن منهم شيء من هذا ولا ذاك، بل انهم وضعوا أمامهم تطهير البلاد من الفساد واسترجاع ما اغتصب منها، والذب عن حوزة حماها، فكانت الحروب مع جيرانها الطامعين فيها، حربا ضروسا، فيها مواجهة الرجال بالرجال، ولم تكن فيها قط مواجهة مذهب مالكي بمذهب حنفي، بالأحرى أن تكون هناك مواجهة بالعنصر أو السلالة أو النسب أو الإختلاف في جانب ما من العقيدة.

موقف يحترم نفسه ويحترم مبدأه القائم على التشبث بحقه، مهما كلفه ذلك من تضحية، وعلى احترام ما لغيره، ولو كان التصدى في متناول القدرة، وفي مناط لا تكل عنه الهمم، ولا توهل به العزائم.

وإن مما تندهش به الأفكار، موقف المولى محمد بن عبد الله من الوهابية التي تدعى المحمدية وأصحابها الموحدون والتي لاتقدس إلا الخالق ولا تعلو وجوهها الا للحي القيوم وتذهب في الفقه مذهب ابن حنبل، وهو المصلح الغيور على دينه، والرافع بيمينه لرايته - إلى أن صار يذكر الخليفة العثماني في خطبه، ويسخو بالأساطيل ترسل إلى أعتابه، مليئة بالإسعافات والمعدات، لتقف هذه الخلافة في وجه الصليبية التي انبعثت من جديد، وكانت هذه المرة تنطلق من الشرق إلى الغرب - على عكس ما سلف لها في غابر الأزمان - يقودها الروس وأتباعهم ومواطئوهم فكان المغرب القلعة الخلفية التي تحمي ظهر الخلافة العثمانية وتقدم العون لرجالها وأنصارها وتنجدها في محنها والأخطار المحيقة بها.

وقد استمرت هذه الروح المتجردة من كل نزعة استعلائية، والمتحفزة لكل نزعة إصلاحية، فيما بعد هذا الملك العظيم إلى أن كان الغزو المسيحي ينبعث مرة أخرى من الغرب، فتصدت له هذه الدولة العلوية المجيدة، بقواتها التي خاضت المعارك المهلكة،

حفاظا على الجيران، وذودا عن حرماتهم التي نشبت بها مخالب النصرانية المتكالبة.

لقد ألقى المغرب العلوى بكل أثقاله ومعداته ورجاله، لنجدة هؤلاء وغوثهم، ولكن الحظ خانه فخسر الكثير في موقعة ايسلي وتعرضت أقطار من بلاده للإحتلال، جزاء المروءة وجزاء حفظ الجوار ودرء العار عن عبد القادر الذي قلب ظهر المجن فصار إلبا محاربا...

وبعد مأساة أخرى أتت من مجاورين آخرين لم يرقبوا فينا إلا ولاذمة، ونكروا ما كان من دولتنا وقد تعرضوا لغزو الفرنسيين لبلادهم فاحتلوها وأقاموا منهم ملكا عليها، تتوجه هذه الدولة الى خوض المعارك الديبلوماسية، كما تحاول أن تنال نصيبها من المعارف العصرية والتقنية العسكرية والمدنية، ولكنها أنهذا كانت تجد نفسها ذات كف واحدة، تعوزها الأخرى التي كان على الشعب أن يمدها إليها...

ومع هذا فإنها لم تستكن ولم تضعف في داخليتها، وكافحت ثم كافحت في الداخل والخارج، فكان الحسن الأول ملازما صهوة جواده يقيم عليه عرشه، وبسنابك هذا الجواد يجوس البلاد من أقصاها الشرق والغرب إلى أقصاه في الشمال والجنوب، متفقدا مستصلحا، مستجيبا لكل مطلوب، مصغيا لكل رأى معقول، مقيما أود مااعوج في شتى الأقاليم من البلاد، موجها إلى الخارج بالسفراء والممثلين في دول العالم، يخطب ودهم، ويشرح وجهة النظر لهم، كما يجلب بعض المعدات الحربية منهم.

وفرضت بعد الحماية، فما وهنت الدولة المهيضة لها، ولا جنحت لصولتها، بل كانت وهي قد حجر عليها، مرفوعة الجبين معتصمة بحبل الله المتين، إلى أن كان الخلاص بيد سيد البلاد وراعي حوزتها، مفخرة عصره ومضرب الأمثال بين ملوك الأجيال محمد الخامس الذي اتخذه ملوك الإسلام ورؤساؤهم منارا به يقتدى وزعيما بوقفاته يقتدى.

لقد قال - نور الله ضريحه - ما قاله الرسول الأكرم «خرجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» وشمر عن ساعد الجد والإجتهاد، فبدأ المعركة الكبرى، واقتحم ميادينها، وجال في عديد من مجالاتها، فنهض بالتعليم العصري الذي لم يكن له بالمغرب إلا مدارس ابتدائية، وقلة لا تفوق عدد الأنامل من الثانوية، وأسس الجامعة بجل الكليات منها، كما أصلح المحاكم في قضائها، وشق الطرق وعبدها، ونظم الحكم والعمالات، وأعاد الأمن والأمان إلى البلاد، وأحدث لها مجلس الدستور ثم ودع هذه الحياة الدنيا وانتقل إلى الرفيق الأعلى، الذي استأثر به، ولم يضع خطواته، فآزرها من سبع سمواته، وحقق له ما كان يصبو إلى تحقيقه، في ولي عهده وحافظ سره، وجوهرة عقده، ومفخرة عهده ، ملكنا الحسن الثاني، الذي سار بالبلاد سير «المتواليات الهندسية»، ولم يرض لنفسه «بالعددية» منها، فما شئنا من اصلاحات حقق ما لم تكن نحلم منها به، وما شئنا من رفاه رفلنا في غير المعهود منه، وما ضقنا من غبن أصاب البلاد من عهد سحيق، رفعه عنا، وأزاحه عن مختنقنا، وما كنا نغوص فيه من جهل فاش وضآلة في التعليم، عالجه بالمعاهد المختلفة والجامعات العديدة، وما كان يتهددنا من مخاطر الطبيعة، دافعه عنا ببناء السدود وإصلاح الأراضي وشق الترع ومد القنوات. وجلب المغروس الذي لم يكن للمغرب عهده به، كما جلب الصنائع وأقام المصانع، وأنشأ المختبرات وسلط الدراسات على خيرات البلاد ومقدراتها واكتشف مدخراتها، فكان الحسن الثاني الأول في هذه النهضة المباركة، لا الثاني، حيث أتى بما لم تستطعه الأوائل، في هذه الدولة العلوية، بل في جل الدول المغربية والمشرقية، فهو الساهر دوما، لا يلذ له النوم إلا غرارا، ونحن نيام، وهو الحافظ للأمانة التي لولاه لضاعت مع الأيام، وهو الذي أقسم قسما بربه، وعقد العزم على إنجازه كله، أن يعيد إلى المغرب مجده، وأن يتم له سيادته، فكان - بحمد الله - التوفيق في خطواته حليفه وكان الله في كل مسعاه ظهيره، فصارت القرى مدنا، في ظرف أقل من ربع قرن، تعربت بها جبال الريف وتحضرت، كما تحضر غيرها وهتف الجميع .

بارك الله في عمر سيدنا الهمام، ولا حرمنا من رؤية الوطن رافلا في حلله الفضفاضة، قد عاد إليه ما اغتصب من سواحله في الشمال، كما لم يحرمنا من التمتع بعودة السيادة على ما كان قد اغتصب منه في الجنوب، سواحل وصحراء، تمتعت بالحياة الناعمة بعد حياة الشقاء القاسية ولبست حلل المعارف والرخاء، تشكر الله على أن قيض لها ملكها، وحامي ذمارها، وحافظ حومتها من الضياع. وحافظ حومتها من الضياع.

وصدق الله «**إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما أخذ منكم**» ألهمنا الله لرضاه وشكر نعمه التي أسبغها علينا ظاهرة وباطنة وزادنا منها كما وعد «**لئن شكرتم لأزيدنكم**» إنه سميع مجيب.

محمد بن تاويـــت

على لسان الصحراء المغربية:

الصحراء تحكي شوقها

للشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

قسما بالحب والشوق الدفين،
وبما يملأ قلبي من حنين،
لا هب اللوعة مشبوب الأنين،
لم تكابده قلوب العاشقين،
أنني ما خنت عهد الأولين !

(٥)

أنني ما خنت يوما وطني ...
رغم ما عانيته من محن ...
يوم شاء الغدر أن يفصلني
عنك بالروح معا والبدن
تلك كانت شيمة المستعمرين

(٥)

أطمعتهم سقطة الأندلس
من علاها، وانطفاء القبس
وعمى الروح، وضعف الأنفس
فأرادوا غزو هام الأطلس
وأتوا شطي بخيل وسفين

(٥)

أقسموا أن يغرسوا ذاك الصليب
فوق أرضي، فوق تلي والكثيب.
وأبت نفسي لهم أن تستجيب
وهمى دمعي، فناديت الحبيب.
فأتاني الحسن الثاني الأمين

(٥)

وأتى أبناء قومي زُمَرا
ورمال البر فاضت بشرا
أغرقت أمواجُه المستعمرا
فتولى هاربا مندحرا
وانتهى عهد الغزاة الظالمين

(٥)

وأتى بعدهمو جاري الحميم
طاوي الجنب علي قلب سقيم
فأبى عودي الى عهدي القديم
حسدا للمغرب الحر الكريم
وتبنى خطة المستعمرين

(٥)

فتحوا آذانهم للملحدين،
وأصموها عن (القدسِ) الحزين،
و (فلسطينَ) وتعسِ اللاجيئين،
وحمى (لبنان) أرضِ الشاعرين.
ونسوا إسلامهم والمسلمين

(٥)

حسبوا الرقة منا وهنـــــا...
غلطـة قـد كلفتهم ثمنـــــا
غاليا : روحهموا والبدنـــــا.
وغدا ما أضمروه علنـــــا
فاضحا كالنتن يغشي العالميـــن

(٥)

حلموا بالنصر والفتح القريب.!
ياله نصرا على جار حبيب !
جاء من جار قريب ونسيب
شوهته عقدة الماضي السليـــب
إذ غدت عقدة كبر لا تليـــن

(٥)

سيعود الجار يوما سيعـود ..
لطريق النور. والحق يسود ..
ينبت الحب ولا تبقى حدود ..
بين أهلينا. ونبني للخلـود ..
دولة نسعد فيها أجمعيـــن

الرباط ـ **أحمد عبد السلام البقالي**



للأستاذ عبد القادر زفري العلوي

بقلوب منشرحة ونفوس راضية ومشاعر فياضة بما لامزيد عليه يستقبل الشعب المغربي عيده الوطني الخالد بخلود الزمن والدائم بدوام عرش الدولة العلوية المجيدة والمشرق بتربع الحسن الثاني عليه.

إنها ذكرى عيد العرش السعيد الذي تعم أنواره ربوع مغربنا العزيز كلما طلع صبح الثالث من شهر مارس فتبعث في نفوسنا نشوة الاعتزاز وتحيي في وجداننا ملاحم بطولة الحسن الثاني وصراعه الدائم ضد الاستعمار والفقر والجهل لتعيش أمته في أبراج من العظمة ورثتها عن اصالة العرش العلوي المجيد وكفاحه المتواصل.

وليست الذكرى بيننا مجرد احتفال بل هي تعبير عن ما يكنه الشعب المغربي لجلالة الملك الحسن الثاني حامي الملة والدين، وضامن الديمقراطية ومبدع عبقريتنا ومبعث حضارتنا والذي «لاتتسع الصفحات مهما تراكمت لاحصاء محاسنه على أمته المغربية واخواتها في الشرق وفي إفريقيا.

فإذا كنا نتسابق لاحياء هذه الذكرى الغالية ونسعى لتكون في الاحتفال بها في مستوى ما يستحقه الجالس على العرش، فإن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد تعبير تلقائي عما تضمره قلوبنا لهذا الملك من حب لا يضاهى، واخلاص لا يحد وطاعة صادقة تولدت في أعماقنا منذ أن عرفناه أميرا وبعد أصبح قائدا ورائدا وزعيما. تعلمنا منه الصبر والاخلاص والثبات والجد والتضحية والعزم الاكيد والحرص على الوحدة. وخبرنا فيه الملك المسلم الذى حمى أمته ودينه فأخلص الطاعة لله ولرسوله، واهتدى بهدى الاسلام واحتمى بدستور الاسلام وتخلق بأخلاق جده عليه الصلاة والسلام. فكان إماما عادلا وأميرا مخلصا.

لقد كان من منن الله علينا أن جعلنا أمة تشرفت بقيادة الحسن الثاني الذي يرى فيه العالم كله عنوانا صادقا للديمقراطية الحقة وأصبح متداولا بين الامم والشعوب قولا مأثورا تفتخر بسماعه إذ يقولون : «الديمقراطية الحسنية» لما رأوه من تجسيم صارخ لأهدافها ومناهجها في كل أقواله وأفعاله.

مولاي لقد بسطتم في مغربكم الحبيب بساط الحرية المثالية والاستقلال النافع وملكتم شعبكم أمره ومصيره بما أحدثتم من مجالس بلدية وقروية وبرلمانية، وشيدتم سدودا جعلت من الأراضي الجدبة سهولا خصبة وجنات غناء، وحققتم للعامل مطمعا غاليا إذ جعلتموه شريكا في فوائد الإنتاج وأصدرتم قوانين ضمنت للتاجر

مكاسبه وللموظف استقراره، فجعلتم من وطنكم العزيز صورة مثالية يحيا بها المواطنون حياة العيش الرغيد، حتى أصبح المخلصون يتوقون لنهج طريقها وعمد الحساد إلى خلق الأشواك حولها. فكان جوابك لأولئك وهؤلاء مستمدا من القرءان الكريم مصداقا لقوله تعالى : **((إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا)) وقوله ((ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)).**

وليس غريبا أن يصدر منكم كل هذا يا مولاي ، وأكثر منه لأنكم من سلالة أسرة علوية كريمة تتصل جذورها بالدوحة النبوية المباركة. ولأنكم تربعتم على عرش المغرب بالصدق والإخلاص والتضحية القصوى بغية الرقي به إلى المكانة العليا بين الأمم ليشهد التاريخ بحق وانصاف بعظمة الدولة العلوية وتعلقها بالوفاء لأبناء أمتها والسعي على وضعهم في أعلى المراتب وأسمى الدرجات. فأنتم إذن من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فلا غرو أن تكون علاقتكم بالقرءان والسنة المطهرة علاقة الرضيع بأمه لا يستغني عن ارتشاف لبنها النقي المنعش. وتلك شيمة البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه وتلك شيمة سليل محمد الخامس رجل الزعامة الإفريقية والقدوة العربية.

مولاي، إن معالمكم في تاريخ مغربنا الأبي لفتت الأنظار وأيقظت الهمم وسطرت الطريق أمام الراغبين في الوصول إلى حياة العزة والكرامة والمجد التليد ويكفي أن يكون من روائعكم ونبوتكم تلك المعجزة التي فاقت أحداث التاريخ لتفسح المجال لحدث القرن وحديث الأجيال إنها المسيرة الخضراء التي كان إبداعها إلهاما من الله وفقكم لإخراجه للوجود ليكون دليلا على أنكم القائد الملهم، والملك الخبير، والزعيم المقتدر. وإن ما حباكم الله به من حسن القيادة ليس من باب الصدفة وإنما هو تدبير قدره الله وأحسن تدبيره وخصكم به فضلا منه عليكم ورحمة لنا. يوجهكم الوجهة الصالحة فكنتم ممن صدق فيهم قول الله تعالى : **((إن ينصركم الله فلا غالب لكم)).**

فمن خلال هذه المسيرة الرائعة وأحكام فصولها عرفكم العالم على حقيقتكم وأدرك أنه أمام رجل من رجال الساعة الأشداء الذين يسطرون التاريخ بملاحمهم البطولية ويتركون للأجيال صفحات فياضة بالإرشاد، مملوءة بالتوجيه، وتحقق لكل منصف أن عظمة هذا الرجل من الخوارق التي لا يجود الزمن بها إلا عند ما تتعطش الهمم إلى من يحفزها ويذكي عزمها.

إنكم مولاي، قد تربعتم على عرش القلوب فنزلتم فيها بردا وسلاما وحللتم سكينة ورحمة وانطلقتم شعاعا تستنير به فيتبدد أمامها كل ظلام. وكيف لا وقد رفعتم رأس المغرب عاليا وجعلتم أبناء شعبكم محل إكبار واحترام أينما حلوا وارتحلوا ويكفيهم تعريفا أن يكونوا مغاربة ومن شعب الحسن الثاني ليحققوا لأنفسهم من العناية ما لا يمكن أن يجده مواطن البلد نفسها.

وليس في الأمر ما يدعو إلى الإستغراب مادام الواقع الملموس يؤكد هذه الحقائق. فإذا ناديتم إلى مؤتمر تسابقت الوفود للالتفاف حولكم. وإذا خاطبتم المجتمعين كان خطابكم نبراسهم ونقطة انطلاقهم ومحور حديثهم. وإذا أعلنتم عن ندوة صحافية اجتمع لها من أقاصي العالم وأدانيه من أراد القول الحق. والكلمة الصريحة. والرأي الثاقب. فأصبحتم، مولاي حديث الإعجاب في كل ميدان وبين الأمم والشعوب المحبة للخير والسلام والمتطلعة لحياة الديمقراطية الصحيحة الخالية من الديماغوجية والتزيف.

وما ظنكم إخواني بملك حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين. بنور الله يهتدي وبالقرءان يسترشد وبالسنة يقتدى فكان سيره على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك. وماظنكم بأمير جعل لمجالس العلم ودراسته والاهتداء بهديه منبرا عليا بين مجتمعه وأمته وجعل من العلماء الأتقياء مرجعا يتبع. وما ظنكم بملك جعل الرجوع إلى الله والإستغفار والتضرع للخالق ملجأ أوليا كلما أدلهم بالأمة ظلام أو غشيها ضيم.

تلك والله صفات لا يتصف بها الا من أخذ الله بيده للخير وسخره لفعله، وأنعم به على أمة اتخذته دليلا، وتعلقت بحبه وحب ذريته.

إن مغربنا العزيز قد حقق المعجزات بفضل ملكه الملهم. وتخطى العقبات، وأخذ طريقه نحو ازدهار أبدي يستمد دوامه من اقتصاد وطني يضمن الاستقرار ويوصل إلى الإكتفاء الذاتي في مختلف الواجهات. ومهما كانت المصاعب التي يحاول الحاسدون خلقها ونسجها، فصدق فيهم قول الله تعالى : **((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)).**

إن المتتبع حياة مغربنا السياسية والإجتماعية متيقن أن حكمة الملك الرائد ورجاحة عقله وصدق طويته ظاهرة في كل مناسبة وهو يحرص على إعطاء توجيهاته للجهاز التشريعي والتنفيذي، يحثهم على الإستفادة من ماضينا الأصيل وربطه بالحاضر المشرق وإعطاء القرارات والمنجزات طابعها المغربي الذي يرعى طبقات الأمة حتى تكون نافعة ومثمرة في المجال العمراني والصناعي والخدمات الصحية ونظام التعليم. والحياة الإجتماعية كلها مهما تعددت وتفرعت.

وحين تعلق الأمر بسلامة الوطن الحبيب حرص جلالته على إعطاء تعليماته الصارمة لجيشنا الباسل ليكون دوره حاسما وللديار حاميا وعن الحدود مدافعا وللأعداء رادعا. فيكون جهازه حصنا منيعا أمام كل معاند أو متربص فأصبح جيشنا بفضل حرص عاهلنا وتفكيره السديد قوة جبارة تقهر الأعداء وتهب لنصرة الإخوان والأشقاء كلما استغاثوا أو استنجدوا.

إن رزانة الحسن الثاني ونظرته الواقعية إلى عالم اليوم جعلته محط إعجاب شعوب العالم وقادته لأنهم وجدوه يزن الأمور بميزان العدل والإنصاف ويباعد بين التيارات المتناحرة بسد من التوجيه السديد. ويبصر الأمور بمنظار الواقع. لا يخلط بين الإندفاع والتحرش ولا بين الحق والباطل فغدا مرجعا سياسيا تستفيد من نصحه السياسات الحكيمة. فتصدر المجتمعات الدولية بحسن روية ونصح صادق وأصبح رأيه الصريح مخرجا في كل حرج، ونجاة من كل غم. ومفتاحا لما استعصى من المشاكل فأصلحت يا مولاي ما أعوج من أركان ورممت ما تشقق من صفوف ووضعت بكل تدقيق الخطط العريضة التي توصل إلى إنجاح مقرراتها. فتراها تصغي إلى ما تتلفظ به من كلمات تنبع من الواقع الدولي الصميم. فلم يعد ينكر أحد حتى الأعداء أن رأى الحسن الثاني مصيب في كل اتجاه لأنه يتصف بالمرونة.

والإعتدال لا يترك للتفرقة سبيلا إلى المؤتمرات والتجمعات، ولا يفسح للأعداء مجالا للعبث بالأفكار والتطلعات. ولا يدع للخلاف سببا يوسع دائرته. فيسعى لقطع دابر الشتات والتخاول، ويحطم العقبات والأهواء فيخرج الناس بقلوب ملأها المحبة المطلقة ونفوس غمرها الأمل الباسم فتعقد العزم على المضى في درب الخلاص والإلتحام ولسان حالها يردد قول الله تعالى : **((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا))**.

وهكذا يكون دور الحسن الثاني حاسما ومفيدا فإذا تدخل في الخلافات كان تدخله تدخل الأخ الناصح والأب المرشد والإبن الموجه فيحقق ما أقدم عليه وينال محبة المختلفين وإعجاب الملاحظين.

مولاي، إن احتفالنا بعيد عرشك المجيد يرفعنا إلى سماء الإعتزاز والإفتخار لأننا شعب ملك عادل. حرص على إرساء قواعد حياة الديمقراطية الإسلامية والعدالة الإجتماعية. وإنك مولاي قائد محنك انتزعت إعجاب الأمم والشعوب بما أتاك الله من كرم الأخلاق وحسن الطوية. فأنت صريح إذا تكلمت. فصيح إذا عبرت.
صادق إذا قلت. منجز إذا وعدت. عادل إذا حكمت. مصيب إذا نصحت. تعطى الكلمة حقها. والنصيحة مدلولها. وتزن الأمور بالقسطاس المستقيم. شعارك في كل ميدان قول الله تعالى : **((إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))**.

وإن احتفالنا بعيد عرشك المحفوف بعناية الله يكون استجابة منا لقول الله تعالى : **((لئن شكرتم لأزيدكم))** وقوله تعالى : **((واذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون))** ذلك، لأن وجود ملك صادق الإسلام مومن بالغ الايمان على رأس أمتنا المغربية منة من الله أنعم بها علينا فاستوجبت شكره وذكره. لأنكم يا مولاي جمعتم ما تفرق في غيركم من خصال وشيم ومعجزات فكنتم مذخرة العصر ومنقذ الأمة الإسلامية وهاديها إلى الرشاد، وبك عاد للإسلام مجده ومكانته فأحييت سنة الرسول. وأقمت مجالس الإرشاد والتوجيه وجعلت من مغربنا مجمعا علميا وإسلاميا تتبارى فيه الأفكار الإسلامية الواعية وتستفيد من المدارسة فيه دوائر العلم والإيمان ، واستخرتم الله فسخر لكم أمة تعلق قلبها بمحبتكم وأقسمتم على الإخلاص لها فجعلكم من البارين بالوعد، المحافظين على العهد فكنتم بحق من عباد الرحمان الذين قال فيهم تبارك وتعالى : **«قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني))**.

إنك مولاي بصدق، حامي الأمة والدين تجعل من سعادة أمتكم هدفا ومن تعاليم دينكم نبراسا. فكنتم مولاي مثال الرحمة والمحبة ترحمون أبناء شعبكم وتعفون عن طالب العفو امتثالا لقول الله تعالى : **((خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين))** تصفحون وتحسنون إلى خدامكم ومخلصيكم. فلا حقد ولا ضغينة. ولا تفقير ولا اجحاف. فأخذتم من كل مكرمة أعلاها. ومن كل محمودة أسماها.

وأنتم مولاي المربي المثالي إذ جعلتم من أبناء أسرتكم النموذج المبتغى في التربية والأخلاق الفاضلة. فأعطيتم لشعبكم مثالا حيا لما يجب أن يكون عليه سلوكه في تربية أبنائه. وهكذا تعلم أمراؤنا الأعزاء القرءان الكريم صغارا. وحضروا مجالس العلم يتلقون دررا. واستمعوا إلى كلماتك تحصيلا وإكبارا. فكانوا بدينهم متشبثين. وإلى العلم متطلعين. فنشأوا كما أردتم. قلوبهم عامرة بالإيمان بالله ومحبة الوطن والأخوة الإنسانية. فكانوا لأبنائنا مثالا ولقلوبنا بردا وسلاما.

مولاي، إن فرحتنا بحلول هذا العيد السعيد لا يمكن أن تعبر عنها سطور أو صفحات لأنها قوية كقوة محبتنا لشخصكم الكريم

ولعرشكم العظيم. تلك المحبة التي جاءت **أولا** : لكونكم غصن من تلك الدوحة الطيبة التي شرف الله بها أمة الإسلام، فأنتم حفيد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفيكم ثبت امر الله تعالى : **((قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)). فهي محبة** متأججة في صدورنا وجارية في عروقنا ومنها ينبع نور أبصارنا وبصائرنا فكنتم بها سناء أرواحنا وسراج إيماننا. وهي **ثانيا** : نابعة من إخلاصنا للعرش العلوي المجيد الذي دأب منذ تسلمه قيادة بلاد المغرب الحبيب محافظا على إسلامه وروحه العربية وتراثه الخالد. وهي **ثالثا** : اعتراف منا على ما قدمتم من خدمات وتضحيات ومكرمات شهد التاريخ بضخامتها واستمرارها وتجددها بتجدد الأيام والشهور.

فإذا تجمعت كل هذه العوامل رغم إني اختصرتها تولدت عنها محبة صادقة يكنها لكم هذا الشعب المخلص وطاعة لا شرط لها من هذه الأمة الوفية. فقدم نفسه لك على الدوام فداء، وعاهد الله أن يكون عند حسن ظنك ملتزما بأهداب عرشك لا يرده عن ذلك راد. ولا يحيد به عن هذه المبادىء أي تيار مهما تنوع أو مخادع من حيثما توجه.

وقبل ختم هذا المقال أسوق بين سطوره هذه الأبيات

رســـــــــول الملـــــــك

طلائـــع سعـد يا أخي تبشـــــر
بعيـــد مليـــك عصـــره متنـــور
هلمـــوا ارفعـــوا رؤوسكـــم فخـــرا
فأنتـم إلـى الأمجـاد مابقـي الدهـر
وأنتـم بنـاة للمحاســن جمعكـم
مقـام، وللعـذال جيـش مشمـــر
تطاولـت الأطمـاع تبغـي صحارانـا
فألفـت بهـا جيشـا يصـول ويقهر
فعزز أبطالا تـذود عن الحمـــى
مليـك عليـم بالأمـور مظفـــر
هو الحسن الثاني شعار حياتنـــا
إذا جلس الأسياد موضعـه الصـــدر
فذاك مليك شاد للعدل منبــــرا
فتوجــه القرآن وارتفع القـــدر
أيا مليكي، أهلا بعيدك بيننــــا
فمثله في الأعياد والله يندر نـــادر
بفرحتنـا الكبـرى نبـارك جمعنـا
ونصغي إلى الإرشاد منك ونقـــدر
ونسرح في الأفراح وهي عظيمـــة
ونحن نشاوى والـولاء لنـا عطـــر
شجاعتك العظمى شعار نضالنـــا
فلا محنة تخشى ولا أنت تقهـــر
تعاظمت فانزوى الحســود بغيـه
فقبح سعيه وضاق به الأمـــــر
فلا عجب إذا افتدتك نفوسنـــــا
فأنت أحق بالوفاء وأجــــــدر
ولا غرو ان هديت للخير إخـــوة
ففضلك يرتجى وسعيـــك يشكـــر
دعيت إلى اللقيا شعوبـا شقيقـــة
فعاد الوئام يستتـــب ويثمـــــر
وأعجزت في الاحقاق كل معانــــد
فاعوزه الدليل وانكشف الســـــر
فتلك خصال قد ورث رداءهــــا
عن الخامس المرحوم طاب له القبر
بنى وطني أهلا بعيد امامنــــا
تحف به الألطاف والرسل والذكـــر
يعيش رسول الملك رمزا لوحـــدة
وتاجا لهذا العيد دام له النصـــر
وعاش ولي العهد نجما وفرقـــدا
وأسرته المثلى إلى العز تعمـــر

فهنيئا لك مولاي بعيد ابتسمت فيه بشائر الحياة وأينعت فيه ثمار المحبة والولاء متصلة جذورها بينك وبين شعبك الكريم.

وهنيئا لك أيها الشعب المخلص بهذا العيد الذي يحيى فيك ملاحم البطولة الخالدة التي عبرت بها للتاريخ على أصالتك ومكانتك وحيا الله القائد الهمام وحامي الأمة والدين جلالة الملك الحسن الثاني. وولي عهده الأمير سيدي محمد وكافة الأمراء والأسرة الكريمة. وحيا الله شعب المغرب الأبي وجيشه الباسل.

عبد القادر رفهي العلوي

التجاوب الروحي

بين العرش والشعب

للأستاذ عثمان بن خضراء

يحتفل الشعب المغربي بالذكرى الواحدة والعشرين لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين، فيحتفل بالعهد الذي لا ينتكث ولا ينتقض والوفاء الذي لا ينفصم، والوفاء الذي لا يتضاءل، والاستبشار الذي لا يبرح والمسرة بما كان والثقة بما سيكون، والاعتزاز بما يوضع من خطط ويمارس من أعمال !

واحد وعشرون سنة مليئة بجلائل الأعمال وصور التحدي الشامخ... فمن تأسيس كتلة الدار البيضاء لاستكمال تحرير افريقيا إلى معركة التنمية والمليون هكتار ومن معارك الحدود في سنة 1963 إلى حرب يونيه 1967... إلى مؤتمر القمة الإسلامي الأول... ومن المؤتمر الأفريقي الذي انبثق عنه ما يعرف في السياسة الدولية بـ «روح الرباط» إلى حرب رمضان على الجبهتين المصرية والسورية - ومن معركة التحرير والوحدة المتوجة بالمسيرة الخضراء المظفرة إلى مقاومة مؤامرات الخيانة والغدر واسترجاع إقليم وادي الذهب ومن تدعيم الوحدة الوطنية وترشيد الحياة السياسية إلى تقوية الاقتصاد الوطني والاهتمام بالتصنيع.

وعمل الحسن الثاني في كل ذلك يتميز بالجدية والتضحية، والفطنة والذكاء وحب الصالح العام، وهي العوامل التي جعلته يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها، ولا عجب، فعروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم، وأن تيجان ملوكنا أعمالهم ومنجزاتهم، وأن صولجانهم أفكارهم وتوجيهاتهم.

فالعرش المغربي من أول تأسيسه كان تصحيحا للأوضاع، والتزاما بحمل مشعل رسالة الإسلام، وقد استطاع أن يقف في وجه كل الأعاصير منذ المولى إدريس الأول رضي الله عنه إلى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

إن من يدرس طبيعة العرش المغربي وحقيقته منذ إنشائه يجد أكثر القائمين على هاته العروش والجالسين عليها كانوا نخبة أعدهم آباؤهم أحسن عدة ليكونوا جديرين بقيادة أمتهم وزعامتها، ويكونونهم تكوينا شعبيا ويربونهم تربية قاسية ليكونوا أهلا لقيادة شعوبهم - ففي حياة الملك المغربي الخاصة يكون دائما محفوفا بالعلماء والحكماء ورجال الشورى، وهمته تحقيق المآثر بالعمل المتواصل لبناء التاريخ وإرساء قواعده ومناراته لخير الأجيال المغربية ولخير الحضارة الإنسانية التي كان المغرب دائما ركنا قويا من أركان انبعاثها وإشراقها وانتشارها.

وفي كل سنة يستمع الشعب المغربي بقلبه وفكره إلى مليكه وقائده وزعيمه جلالة الحسن الثاني المعظم وهو ينشر صفحات الأمجاد ويقرأ من كتاب المنجزات والانتصارات ويعيد من صحف

المواقف والنضال والصمود والمآثر والانتصارات مما يثلج صدره وصدر شعبه، ويلقي جلالته الأضواء على طريق الغد وما يتطلبه العمل من أجل المستقبل محددا الأهداف، مستعرضا الوسائل، باسطا في أفق الأمل نور الثقة والإرادة داعيا شعبه إلى الصراط المستقيم والمحجة البيضاء التي كانت سبيلا في ظلمات الأمل أيام الكفاح التحرري .

نعم... فعيد العرش يحل بنا ونحن نخوض أوج معركة نضجت أفكارها ووضحت أهدافها وتيسرت طريق الوصول إلى مبتغاها والمرتجى منها... هناك معركة التنمية الاقتصادية، معركة التقدم الاجتماعي، معركة العدالة الاجتماعية معركة الحرية، الحرية الحقيقية التي تنعكس في حياة الإنسان فكرا وعاطفة ومادة... والتي تدخل حياة الإنسان فتقتحم بيته وطرق حياته وأسلوب تفكيره فتبسط بين يديه رداءها خيرا ونعمة ورفاهية، خبزا... وبيتا.. ومدرسة... ومستشفى... وعدالة، ينعم بهذا كله تحت سماء بلاده الحرة وفي مجتمع متماسك تتحكم فيه نوازع الخير والفضيلة.

إن عهد الحسن الثاني حافل بالعطاء والبطولات والأمجاد، مليء بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق... وإن الحماس الوطني والإيمان الصادق لهو الحافز الذي يحرك أبناء المغرب قاطبة لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الانتصارات مثل ما حدث أثناء المسيرة الخضراء المظفرة حيث تحول المغاربة إلى شخص واحد يحس بنفس الإحساس ويعيش نفس المواقف وتوجت باسترجاع الصحراء المغربية إلى حظيرة المملكة بفضل كفاح ملك شهم وشعب بطل... وذلك بالرغم من الروح القبلية التي كان الاستعمار وأذنابه يذكونها من بعده... لأن سكان الصحراء كانوا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام إلى باقي تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحيا وتاريخيا . وهب أبناء الصحراء من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لأمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني... ورفعت أعلام النصر مرفرفة فوق ربوع الصحراء... وستبقى خفاقة، منيعة رغم كيد الكائدين ومناورات الحاسدين الضالين الذين وقفنا بجانبهم أيام الشدة فكانوا من أول المتنكرين لنا والناقمين علينا.

والتاريخ قد سجل كفاح الملوك العلويين والشعب المغربي من أجل وحدة التراب عموما والصحراء على الخصوص، الشيء الذي أكدته الوثائق والمستندات الوطنية والأجنبية... فقد وصل إلى تخوم السينغال السلطان العلوي مولاي إسماعيل وصاهر أهل شنقيط حيث عقد على الملكة خناثة بنت الشيخ بكار المغافري، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة.

ورحل السلطان مولاي الحسن الأول بدوره إلى تخوم شنقيط وتوغل فيها إلى أن نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقدا أحوال الرعية.

وكان السلطان مولاي عبد العزيز قد أرسل وفدا إلى شنقيط لينصب بعض الموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم، ويتفقد الأحوال ويصلح من شأنها، فقصدت هذه البعثة مدينة «أسمارة» بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وأدت مهمتها أحسن أداء.

هذا، وأن من جملة الوثائق التاريخية التي أدلى بها المغرب حول مغربية الصحراء، أنه في سنة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شأن المغرب، وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية، فكانت تحد بالجزائر وأفريقيا الوسطى والسينغال، وتوجد الصحراء المغربية داخلة في هذه الحدود... وقد عمدت فرنسا إلى إدماج الصحراء المغربية في أفريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها، مما يجعل هذا الأمر ملغى ومناقضا للقوانين الدولية !

واستطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله الملك العبقري الحسن الثاني من تحرير جزء من الأراضي المغربية سنة 1956، وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقة الاستقلال على أن يحتفظ فيما يخص الأجزاء غير المحررة منه ويسجل حقه الكامل في تحريرها واستعادتها إلى حظيرة الوطن المحرر... وواصل الكفاح بعد ذلك، فاسترجع طرفاية المجاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع اسبانيا . ثم بعد عشر سنوات من مفاوضات مضنية مع اسبانيا استعاد المغرب منطقة إيفني في 1969.

وأخيرا جاء دور الساقية الحمراء... واهتم الرأي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والخبرة القانونية التي استعملها الملك الحسن لمعالجة هذه القضية سواء مع اسبانيا أو هيئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية... وأثبت حفظه الله مغربية الصحراء، تاريخيا وسياسيا واجتماعيا ودينيا وقانونيا، فاعترف الجميع بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية وتحرير الأراضي من الاحتلال الأجنبي ما عدا الذين في قلوبهم مرض.

وقرر الملك العبقري القيام بمسيرة سلمية والدخول إلى الصحراء، في موكب سلام وأيدت جل دول العالم، وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية موقفنا مباركين هذه المسيرة الشعبية وهذا الزحف المقدس... الشيء الذي دفع بالحكومة الإسبانية الى التفاهم مع المغرب والاستجابة لإرادة الشعب وملكه، ورفعت الأعلام المغربية مرفرفة على ربوع الصحراء... وتعالت هتافات الغبطة

والنصر والحب والولاء تغمر أرجاء الوطن... وهب أبناء الصحراء من كل فج عميق لتأكيد الولاء، وتجديد الطاعة والبيعة لجلالة الملك... وتحقق العالم مرة أخرى من شعبية الحسن الثاني، ومن مغربية أهل الصحراء الذين رفضوا رفضا مطلقا كل محاولة لتزييف واقعهم ومحاولة فصلهم عن تاريخ أجدادهم.

وجاء انسحاب موريطانيا من ملف الصحراء الغربية ليؤكد الحقيقة الواضحة التي تتجلى في كون المغرب هو الطرف المعني أولا وأخيرا. وخرجت مدينة الداخلة برجالها ونسائها، وشبابها وأطفالها إلى الشوارع هاتفة بمغربيتها ورافعة للعلم المغربي وللشعارات التي تؤكد صدق الولاء - فكان يوم 17 رمضان 1399 موافق 11 غشت 1979 عيدا بالنسبة لسكان المنطقة ودعوة للحكومة المغربية إلى بسط السيادة الوطنية على إقليم وادي الذهب - وكان تتويج الانتفاضة الشعبية الرائعة في الداخلة هو إيفاد وفد من سكان الإقليم المحرر لتمثيل السكان في تجديد البيعة إلى جلالة الملك الحسن الثاني، طبقا للتقاليد المرعية وتأكيدا لتمسك السكان بالوحدة - وبعد استكمال الوحدة الترابية ها هو المغرب، ملكا وحكومة وشعبا، يبذل جهدا كبيرا وتضحيات غالية لاستعادة عظمة البلاد بعد تحقيق الوحدة، وقد هيأ جلالة الملك بتعاون مع حكومته البرامج الواسعة والدراسات الجوهرية للعناية بالصحراء اقتصاديا واجتماعيا ودينيا فتصبح جنة خضراء، بإذن الله تعالى وحسن عونه. وكل من تجول اليوم بربوع الصحراء المغربية من المواطنين والأجانب تأخذه الدهشة للتطور السريع الذي يتجلى للعيان في جميع الميادين وفي هذه المدة الوجيزة.

فالمعركة مستمرة من أجل عظمة المغرب... وهي كما يريدها **الحسن الثاني** عمل مستمر للتجديد، للتلقيح، للإنتاج، لأنه عمل كل شهر، كل سنة، كل جيل... فهي معركة إيمان في القلب وفي التفكير والإبداع والإنتاج والمغاربة الذين فتحوا الأمصار وطبعوا دولا أخرى بالطابع المغربي، لن يقبلوا التنكر لأصالتهم ولن يستوردوا أنظمة غريبة عنهم لأن مجتمعهم يرفضها فليطمئن الحاقدون والحاسدون. فالشعب المغربي المسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

والأمة التي يقودها ملوك من طراز **الحسن الثاني** تستطيع حقا الاستفادة من تضامنها وقوتها ووحدة أبنائها لتشق طريقها نحو العظمة والبناء والازدهار ! وعيد العرش كان دائما يرمز إلى هذه المعاني ويجسد تجاوب الملك المسلم والشعب المومن والتحامها في معارك النضال والكفاح في جميع فترات تاريخ بلادنا.

فبلادنا تدفع عجلة التقدم إلى الأمام... والشعب يعطي كامل قدرته في الإنتاج والحجم الكلي للإنتاج يعطيه كل مواطن ويقدمه من مجهوده ومن بذل ومن كفاح استجابة لنداء ملكه العبقري الملهم واستجابة لنداء التاريخ والأجيال - **فالحسن الثاني** سليل العزة النبوية الشريفة يعتبر من المجددين لمعالم إسلام في هذا القرن... إذا ما خلا قرن من القرون من قيام داعية يدعو إلى الله تعالى على هدى وبصيرة ويحيى بأقواله وأعماله ما يكاد يندرس من معالم هذا الدين وقد شرح أمير المومنين في رسالته السامية الموجهة للأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري فضائل ومميزات الدين الإسلامي والذي يعتبر دين العلم والحرية والكرامة والوفاء بالعهود.

وقد أرسى المسلمون حضارتهم العظيمة على مبادىء العلم والمعرفة، فأثروا الفكر الإنساني في مختلف المجالات، وأغنوا العقل البشري بفتوحات فكرية وعلمية واسعة - وتحدث جلالته في رسالته التاريخية عن الأمة الوسط التي هي الأمة التي ترتكز كل مظاهر حياتها على تحقيق التوازن حيث لا إفراط ولا تفريط، وإنما الإنسجام والتكامل والألفة والتوفيق بين الدين والدنيا باعتبار أن العقيدة السمحاء تنظم تلك العلاقة الشمولية التي تخلق ذلك الانسجام المتواصل والذي يجعل من الالتزام العقائدي على مستوى العبادات التزاما دنيويا في نفس الوقت، بالنظر لجوهر تلك العبادات ودلالاتها الروحية وانعكاساتها العملية على السلوك والتعامل -

ويعتمد جلالة الملك **الحسن الثاني** في رسم طريق الفلاح بالدعوة للعودة إلى ينبوع العقيدة الإسلامية كدين ومنهج وسلوك ينظم العلاقات داخل المجتمع الإسلامي ويركز على مبدأ المسؤولية بالنسبة للفرد والجماعة وبالنسبة للراعي وأفراد الرعية بحيث تخص الجميع ولا يستثنى أحد - ومن هذا المنطلق فإن الدعوة الرائدة لأمير المومنين لمواصلة الدور الحضاري للأسلاف تعنى استيعاب المضمون الروحي للعقيدة الإسلامية وترسيخ المضمون الفكري والسياسي والاقتصادي للإسلام... وان توجيه هذه الرسالة التاريخية لأمة الإسلام نابع أساسا من الالتزام بروح العقيدة السمحاء.

ثم ان الخطة التي يسير عليها **الحسن الثاني** تتسم بسمة الخلق والإبداع، وتقوم على استيفاء المناهج والأساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ، وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال.

هذا وإذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن أرشد الحكومات في نظر الملك المسلم الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الآراء والنظريات المختلفة، وتخط للشعب المسلم سياسة مستمدة من حقائقه الدينية وشخصيته الاجتماعية، مرتكزة على مقوماته، ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته أو فيما ينوبه كعضو مسؤول في الأسرة الإنسانية الكبرى !

وأمام هذه التيارات المختلفة، فإن جلالته يرى أن الشعب المغربي المسلم يجد نظاما اقتصاديا واجتماعيا في كتاب الله العظيم الذي يقول «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» فنكون تلك الأمة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الاهوج التي لاتترك حرية لأي ضعيف... ولا بالاشتراكية التي دلت الأرقام والحوادث على أن نظرياتها يمكن أن تكون أخطر من تطبيقها... نريد أن نكون تلك الأمة التي يمكنها أن توفق بين النظامين، وذلك بأن تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها... ففرق جلالته بين الميادين التي يجب أن تبتعد منها الدولة، وأن تبغي تلك الميادين في قبضة المبادرات الحرة.

أما ميادين التأميم، فباختصار كل ما يجعل الدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية للاقلاع الاقتصادي وللاستثمار في النمو... مثل الطاقة، والصناعة الثقيلة... والمواصلات بجميع أنواعها... والقروض ووسائل القروض، ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة.. والخيرات الباطنية برا كانت أم بحرا... هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة، مائية كانت أم كهربائية أو نووية إن شاء الله تعالى، أو معدنية أو مالية.

وهناك ميادين أخرى، وهي ميادين المبادرات الخاصة، وهي كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه الخاص وخلق الرواج، والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها أن تخوض جميع الميادين ، فنرى الصناعة، والصناعة الصغيرة، والسياحة، والفلاحة بجميع أنواعها، والتجارة، وخلق شركات مغربية خارج البلاد بجميع القارات حتى يمكن للمغرب أن لا «يتزوج» دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة... بل أن يأتي بدم جديد وتلقيحات جديدة، ويعرف بنفسه وبانتاجه... ويمكنه كذلك أن يقدر للخارج أدمغة ومفكرين ونخبة طيبة من شبابه.

ومن أجل تهييء الأطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري، فإن المبادىء الأساسية التي تعطى لتعليمنا ميزته الخاصة تتلخص في التعريب والمغربة ومجانية الدروس... وقد قررت عزيمة ملكنا المثقف أن تتحمل الدولة أثقل عبىء لتوفر أكبر عدد من المنح لشبابنا الذين يطمحون بجد وعزيمة في استكمال تكوينهم في مدارسنا العليا وكلياتنا وفي غيرها في الخارج، وبذلك تقيهم شر المشاكل المادية التي يمكنها أن تكون عائقا وحاجزا بينهم وبين مواصلة التكوين الذي ينتظرونه، والذي يمكنه وحده أن يفتح لهم أفسح الآفاق وأجداها ويحقق النتائج التي تنتظرها الأمة.

ويعمل جلالته على تشجيع العلم والأدب بصفة عامة، وإتاحة الفرصة لذوي المواهب لانطلاق قرائحهم حرة كريمة تنتج كل ما تستطيع إنتاجه في ظل الرعاية الكريمة... ولا غرابة في ذلك فإن اهتمام ملوك الدولة العلوية بالحركة العلمية شيمة من شيم عصورهم الذهبية الزاهرة... لقد كانوا يغفون العلماء من الاداءات المفروضة تكريما لهم وتشجيعا، وكانت المنح تنهال على المؤلفين كالجوائز التي توزع اليوم في مختلف الأقطار الأوربية على العلماء والباحثين والكتاب، وكانت الخزائن تقام في كل مدينة.

وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله من أشهر مؤلفي عصره فأسس مدرسة حرة لتلقين ضباط الجيش المغربي القراءة والكتابة وأصول الفنون العسكرية... فتخرج من هذه المدرسة قواد مهرة أدخلوا اصلاحات كثيرة على الأساليب العسكرية واستفاد المغرب من مواهبهم إفادة كبرى... وكانت الدراسات تسير على مقتضى أساليب المدارس العصرية في ذلك الوقت... كما كان المولى عبد الرحمن مصرا أشد الإصرار على تعميم التعليم الابتدائي في الحواضر والبوادي واستخدم للوصول إلى هذه الغاية جميع الوسائل التي رآها كفيلة بتحقيق برامجه ـ ثم توالت الملوك العلويون على أريكة العرش وتمموا الحلقة التي بدأها أسلافهم منيرين بذلك لرعاياهم طريق الهداية والرشاد.

واحد وعشرون سنة قضاها جلالة الملك **الحسن الثاني** متربعا على عرش القلوب حافلة بالعطاءات والبطولات والأمجاد، مليئة بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق فلا غرابة.. وهذا الملك العلوي الشهم يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها، وهو سر الصلة الوثيقة الثابتة المتمكنة بينه وبين شعبه... والعرش المغربي كان دائما مركز القيادة، معبرا عن ضمير الأمة ومعربا عن شعورها ومنفذا لرغباتها وتطلعاتها وأشواقها عالما بمواقع الخير منها وقاهما لمعنى المجتمع الحديث الذي تعيشه !

فالذكرى الواحدة والعشرون لتربع جلالته على العرش العلوي المجيد لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد

القوى المعادية للحرية ووحدة الشعوب... فهو حفظه الله تعالى من ذوي الايمان الراسخ الذين يدركون إدراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الإنسان ويلعبون دورهم البطولي غير عابئين بما يلحقهم من مكروه وأذى ! وان التاريخ الذي يسجل حياة الأمم وأعمال رجالاتها لفخور بما يضمه إليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لمليكنا الذي تعتز به العروبة وينتظم به الإسلام جلالة الملك **الحسن الثاني**.

فالشعب المغربي وهو يحتفل بالذكرى الواحدة والعشرين لجلوس جلالته على العرش فإنما يحتفل بالعهد الذي لا ينتكث ولا ينتقض، والوفاء الذي لا ينفصم، والولاء الذي لا يتضاءل، والاستبشار الذي لا يبرح، والمسرة بما كان، والثقة بما سيكون والاعتزاز بما يوضع من خطط ويمارس من أعمال !

والشعب المغربي، وهو يحتفل بعيد العرش المجيد يكرم عبقرية فذة التي لاتزور العالم إلا نادر، والوطن يدين لشعبية **الحسن الثاني** المتفتحة، وحدبه المتواصل، وأبوته المتعالية، ويمتن لجهاده الصامت وكفاحه المستمر والطافح بأسمى بطولة وان شعبا كالشعب المغربي يومن بأن مجد ملكه من مجد شعبه جدير بتاريخه في الماضي وخليق بتاريخه في المستقبل المشرق الوضاء.

عثمان بن خضراء

العيدُ الفضي

لمجلة

دعوة الحق

* * *

يوليوز 1957

يوليوز 1982

أضواء على
ملحمة المقاومة المغربية

للأستاذ محمد حمادي العزيز

عندما أقدمت السلطات الإستعمارية الفرنسية زوال يوم 20 غشت 1953 على اقتراف أكبر أخطائها السياسية بتجرئها على مد يدها العدوانية إلى رمز السيادة المغربية جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، وعزله عن عرش أسلافه الميامين بالقوة الغاشمة، ونفيه وأسرته الملكية إلى خارج الوطن، إلى جزيرة كرسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر اندلعت المقاومة المغربية التي اشتهرت في تاريخنا الحديث باسم ثورة الملك والشعب المجيدة التي تخلدها سنويا كلما عاد شهر غشت.

من أهم ما تمتاز به المقاومة المغربية :

أولا الالتحام المتين الرائع بين العرش والشعب، وثانيا السر

بحكم السر وانطلاقا منه تعتبر ملحمة المقاومة المغربية من الملاحم العالمية التي أحيطت بكتمان شديد، ما زال يكتنف كثيرا من أحداثها ووقائعها وأعمالها حتى الآن..

ربما يظن ظان أن هذا الكتمان الشديد قد يمنع كتابة تاريخها، أو قد يحرم كتابه من كثير من الحقائق وخاصة المهمة منها، الأمر الذي يعد خسارة لتراثنا التاريخي.

كلا، الكتمان، وحتى إذا كان شديدا، لا يمنع كتابة التاريخ، ولا يحرمه من الحقائق المهمة، وإن كان يؤخرها بعض الوقت.. وفعلا هذا صحيح..

ومع هذا لا بد لنا أن نعرف معرفة يقينية أن مقاومتنا التي نظمت ببطء وتدريج، بحذر شديد، وبنيت على كتمان شديد لا بد أن تجلى لنا أسرار أحداثها ووقائعها وأعمالها بحذر شديد وببطء وبتدريج أيضا..

وبالفعل هذا صحيح كذلك.

فمقاومتنا التي عاشت في عالم السر حذرا من عيون الإستعمار وآذانه، وحرص أعضاؤها على عدم الإعتراف، أو الإعتراف بأقل ما يمكن لشرطته رغم التعذيب العنيف، ستعترف في الأخير للتاريخ المغربي، وقد بدأت اعترافها خدمة للتراث القومي، ولكن لا بد من الصبر.

فلكي نفهم جيدا مقاومتنا، دونما أدنى ريب أو شك، ينبغي أن نعرف أنها قد بدأت أعمالها وعملياتها باسم «المقاومة السرية» التي كان «السر» رائدها وشعارها، وكلمة الأمر والمرور بين رجالها في جميع المستويات والمنتهيات النضالية والفدائية التي لا يمكن ولوجها أو الإقتراب منها إلا بذكرها.

لقد وحد «السر» مقاومتنا فهي «المقاومة السرية» الخالدة رغم تعدد أسماء المنظمات والتشكيلات والخلايا التي تفرعت منها.

ولعل هذا التعدد في المنظمات والتشكيلات والخلايا وفي أسمائها (الذي قد يقف مانعا يعوق كتابة تاريخها بسبب ما يثيره من غبار الغموض وضباب الشكوك) كان عاملا من أهم العوامل الإيجابية التي أمنت استمرار كتمانها، وضمنت بذلك البقاء لمقاومتنا، وأتاحت لها فرصة العمل بحرية واسعة رغم تضييق الاستعمار، وزادت قوتها الضاربة كفاءة، وأضفت عليها رونقا من السطوة وقفت حيالها الشرطة الفرنسية في موقف العاجز رغم

غطرستها وتجبرها وعتوها، ورغم تمكنها من اعتقال الآلاف من مواطنينا بأية تهمة أو شبهة كانت بل وحتى بدون أية تهمة أو شبهة.

وبالرغم من تعرض المقاومة المغربية لكثير من الضربات البوليسية القاسية التي وجهتها لها الشرطة الإستعمارية منذ بدء اندلاعها في إطار حملات القمع العنيفة المتواصلة استشهد خلالها شهداء في صفوف مقاومتنا، واعتقلت كثيرا منهم أجبرتهم على الاعتراف بنشاطاتهم، وأعمالهم، بشتى أساليب التعذيب المهينـة المنافية للأخلاق والمبادىء الإنسانية، والمخالفة لحقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة فإنها استمرت قوة فدائية ضاربة تتجدد منظماتها وتشكيلاتها وخلاياها دائما بمناضلين جدد، وبدماء جديدة، وبأفكار وتجارب جديدة، تهبها نفسا جديدا يقوى فيها حافزها وعزمها للمضي قدما في سبيل الجهاد والنضال حتى تحقيق النصر الذي جعلته غاية لها، لا بد من ادراكها مهما كانت التضحيات.

عظيم جدا أن يخرج من الظل مقاوم ليخلف في أصرار مقاوما آخر من غير تأخير، ودون تردد لكي تستمر سلسلة أعمال المقاومة وتتواصل عملياتها وتتلاحق.

ورائع جدا كذلك أن تبرز إلى ساحة العمليات الفدائية بسرعة، ودون توقع منظمة أو تشكيلة أو خلية خلفا وتعويضا لمنظمة أو تشكيلة أو خلية.

هنا تتجلى لنا حقيقة عظمة مقاومتنا، وتتأكد لنا قيمة كتمانها.

إن مواطنينا الوطنيين المتشبعين بالتربية الوطنية، وبالأخلاق النضالية، كانوا لمقاومتنا ذلك المعين الغزير الذي يمدها بما تحتاج إليه من مناضلين يعززون صفوفها في أي وقت تشاء...

لقد كانوا لها بحق احتياطا كبيرا في كل ربع من ربوع المغرب..

وماذا كانت تستطيع أن تفعله مقاومتنا بدون هذا الإحتياط ؟ هل كانت تستطيع أن تستمر ؟ وهل كانت تستطيع أن تعيش ؟

الجواب هو : أن مقاومة بدون احتياط لا بد أن تنتهي بانتهاء أعضائها إما بالاستشهاد وإما بالإعتقال !

هذا الإحتياط العظيم لمقاومتنا كان سرا مكتوما لم تتمكن السلطات الإستعمارية من تحسبه، ولا من تحسسه، والنفاذ إلى كنهه رغم كثرة جواسيسها.

لا غرو في هذا فنحن نمارس «الكتمان» في حياتنا ممارسة واعية واقعية، بعفوية وتلقائية، فالكتمان مبدأ مهم في تراثنا الحضاري نجده في تعاليم ديننا حيث يقول الرسول (ص) في حديثه الشريف : «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»، ونجده عند الصوفيين إذ يقول أقطابهم :

«صدور الأحرار قبور الأسرار»، ونجده في الشعر والطرب فنستمع على سبيل المثال إلى المنشدين ينشدون : «قد زار من تهواه في غفلة الرقيب» وزيارة من نهواه قد تكون رمزا يستخدم في شتى أغراض الزيارات استخداما مجردا لدرء عيون الرقيب الذي قد يستعمل هو الآخر رمزا لأي رقيب كان سواء كان عاذلا في الهوى، أو رقيبا من مراقبي الشرطة، والكلام في هذا الموضوع يطول.

لهذا لم يكن تعامل مناضلينا مع الكتمان في مكامن السر أمرا عجيبا، فيه غرابة فهو أمر عادي وطبيعي.

وعلى أي حال، فإذا كان شعار المقاومة «امش أو مت» يرسم لها خط سلوكها، ويعين لها حدود انضباطها، ويضع لأعضائها معالم واضحة للإلتزام والإلزام، فإن مبدأ الكتمان يزودها بمقولة أخرى موازية لشعارها، جادة وصارمة، هي : «اسكت أو تمت».

إن قمة الوعي بالكتمان هو الحكمة التي يتحلى بها الإنسان الحكيم الذي يتكلم بنظام ومقدار، بتفكير منظم، وتدبر رصين، وبمراعاة تامة لكل ما هو شرعي وقانوني، وبهدوء وحماس في برودة أعصاب وصفاء بال، ويتصرف بمروءة ووقار.

لعل هذا القدر يفسر لنا سبب تسمية مقاومتنا : «بالمقاومة السرية»، وهو سبب يتجاوز موت أعضائها وهلاكهم وحدهم فقط إلى اتقاء نزول الخطر بوطننا وبمواطنينا كلهم، وإلى تلافي وقوع الإضرار بقضيتنا العادلة اضرارا بالغا.

الكتمان، إذن، كان من أجل نجاح قضيتنا وانتصارها، ومن أجل خلاص مواطنينا ونجاتهم، ومن أجل تجنيبهم مغبات قمع عنيف تقوم به السلطات الإستعمارية كرد فعل اثر كل مبادرة وطنية ناجحة في الداخل أو الخارج.

حيث توجد الأسرار يوجد الباحثون عنها، وكم من شؤون سرية جدا فقدت أهميتها المخصصة لها فور ادراجها في صنف ما هو سري مباشرة..

لذلك كان ولوج المجالات السرية صعبا جدا، ومخاطرة قد لا يحمد عقباها..

والذين جربوا المجالات السرية لا يثقون في كل ما هو سري يقيناه فهم أن ما هو سري يعرف ويكشف بواسطة ماهو سري آخر يقف له بالمرصاد في كل حين، وأنهم يعرضون أنفسهم لأخطار كبيرة أكيدة بالعمل فيها، وأنهم موضع مراقبة دائمة دقيقة (1).

ومع ذلك لا بد أن تكون هناك أسرار تكتم وتحفظ، ولا بد أن يقدم المواطنون على مجالات سرية شريفة دفاعا عن قضاياهم العادلة، وعن حرية وطنهم واستقلاله وسيادته.

من أجل الاسرار يعذب الإنسان تعذيبا وحشيا أحيانا حتى التجنين أو حتى الموت..

ورغم كل هذا أقدم مناضلونا على اختيار العمل في المجال السري، فأصبحوا أعضاء في منظمات سرية للنضال والفداء كانت نواة للمقاومة المغربية.

- كيف ولج المناضلون مجال السر العجيب ؟
هذا السؤال مهم جدا، لأن الجواب عليه يفتح الباب لتدوين تاريخ المقاومة المغربية..

يمكن تقسيم تاريخ المقاومة المغربية إلى فترتين زمنيتين :
الأولى : فترة ما قبل 20 غشت 1953.
والثانية : فترة ما بعد 20 غشت 1953.
الفترة الأولى : كانت فترة التنظيم السري في النضال الوطني المغربي وهي، التي مهدت للمقاومة التي اندلعت ابتداء من 20 غشت 1953 فور اقدام الفرنسيين على مد يدهم الآثمة إلى جلالة المغفور له محمد الخامس ونفيه كما هو معروف.

الفترة الثانية : هي التي ابتدأت بعد 20 غشت 1953 وامتازت ببروز هذا التنظيم السري في النضال الوطني المغربي من مكامنه بالتدريج ليفجر المقاومة المغربية تفجيرا فدائيا صانعا بذلك ثورة الملك والشعب المجيدة التي تخلد ملحمتها كل سنة.

كما يمكن تقسيم كل فترة إلى مراحل طبقا لاجتهاد كل كاتب ومؤرخ، وحسب ما لديه من معلومات تاريخية أكيدة.

للتنظيمات السرية أحكامها وتعاليمها الصارمة منها مثلا : عدم ترك أي أثر مادي أو معنوي يمكن أن يؤدي للتعرف عليها واكتشافها.

وهذا يعني أنه من الصعوبة بمكان العثور على وثائق مكتوبة يمكن أن تسهل دراسة فترة ما قبل 20 غشت 1953، ومع ذلك توجد عدة مؤشرات يمكن الاستفادة منها في دراستها وبحثها.

والمقصود بالتنظيم السري، أو المنظمة السرية، تنظيم المناضلين في منظمات أو تشكيلات أو خلايا خاصة غير معروفة علنا، والا فقدت أهميتها، طبقا للتدابير والتعاليم التي يقتضيها مبدأ الكتمان، ووفقا لمعايير خاصة لخدمة أغراض سياسية واستراتيجية يستهدف النضال الوطني تأمينها وفي مقدمتها تأمين بقائه واستمراره رغم القمع الاستعماري حتى يتمكن من مواصلة عمله بكل إيجابية لتحقيق المطامح الوطنية.

حسب هذا يكون التنظيم السري بمثابة جهاز شبه عسكري في النضال الوطني، ويمكن تسميته عندما يصبح معروفا وعملياتيا بالجناح العسكري.

بدأ التنظيم السري في النضال المغربي في سنة 1947 مباشرة بعد الزيارة الملكية التاريخية التي قام بها جلالة المغفور له محمد الخامس إلى مدينة طنجة وذلك بسبب القمع الذي دبرته السلطات الإستعمارية في مدينة الدار البيضاء في حي بن مسيك الذي ذهب ضحيته ألفا مواطن مغربي بقصد منع سفر جلالته، ولكن جلالته سافر، ورفع اسم المغرب عاليا في العالم الذي صارت كل دولة تعرف أنه يريد الإستقلال.

هناك مؤشرات تشير إلى أن مسؤولا وطنيا كبيرا في الرباط طلب من المناضلين الوطنيين تكوين خلايا سرية بموازاة الخلايا العلنية في سنة 1947 استعدادا لمواجهة الطوارىء.

وهناك مؤشرات تشير إلى أن مسؤولا وطنيا كبيرا جاء إلى الدار البيضاء في سنة 1948 واجتمع بالمناضلين الوطنيين وأعلن لهم عن تكوين مجلس وطني سري لمتابعة النضال فيما إذا اقدمت السلطات الإستعمارية على اعتقال القادة الوطنيين، ومن جملة المناضلين الذين تم اختيارهم لعضويته الشهيد المرحوم محمد الزرقطوني.

في ظل التعليمات بإنشاء التنظيم السري تأسست المنظمة السرية التي كانت خلاياها وتشكيلاتها تغطي كل ربوع المغرب

---

1) ج. ش. لوكران، «العدل وطن الإنسان» راجع محاكمة السيدة السوداء ولا سيما ص 107 و108.
2) عملياتيا : نسبة إلى العمليات الفدائية أو العسكرية، بمعنى يمارس تنفيذ العمليات المسلحة.

من وجدة إلى أكادير. وتأسست منظمة اليد السوداء في سنة 1948، كما تأسس (3) اتحاد الجنوب (4)، والهلال الأسود الخ... (5).

هذا في المنطقة السلطانية. أما في المنطقة الخليفية فقد أسس حزب الإصلاح الوطني عقب انتهاء الزيارة الملكية لطنجة فرقة الريف للكشافة المغربية التي منعتها السلطات الإسبانية كما سبق أن منعت من قبل فرق الفتيان، التي كانت بحق جناحا عسكريا ظاهرا لهذا الحزب ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المنظمة السرية في الجزائر التي أسسها حزب الشعب الجزائري ابتدأت هي الأخرى في سنة 1947 وذلك بسبب أحداث القمع العنيفة التي دبرتها السلطات الإستعمارية في سطيف وخراطة في سنة 1945 والتي ذهب ضحيتها 45 ألف مواطن جزائري مسلم.

يرشدنا هذا إلى أن الزيارة الملكية التاريخية لمدينة طنجة وما سبقها من أعمال قمعية استعمارية عنيفة ألهمت القادة الوطنيين في النضال الوطني المغربي إلى أسلوب تنظيم المناضلين، وبخاصة الشبان منهم، في منظمة سرية، وفي فرق كشفية توجيها لهم توجيها صريحا أو ضمنيا إلى ضرورة الإستعداد لمواجهة المستقبل بجميع احتمالاته من أجل استرداد الإستقلال.

ومن العجيب أن الوطنية الجزائرية والتونسية سلكت نفس الاتجاه في الجزائر وتونس في نفس التاريخ.

نفهم من هذا بكل وضوح أن الوطنية المغربية أوجدت تكاملا تنظيميا في صفوفها منذ سنة 1947 بتكوين تنظيم سري أو منظمة سرية شبه عسكرية أصبحت بمثابة جناح عسكري يعمل في الخفاء إلى جانب الجهاز السياسي العلني الذي يقود ويوجه النضال الوطني لتحقيق الأهداف الوطنية وفي أولها حق المغرب في استرداد حريته واستقلاله وسيادته.

هذا الجناح العسكري في الوطنية المغربية هو الذي فجر ثورة الملك والشعب التفجير المعروف.

والا فكيف يمكن أن نفسر اندلاع أحداث ثورة الملك والشعب مباشرة بعد 20 غشت 1953 وبسرعة مدهشة ؟

كلنا نفهم مضمون المثل المغربي المشهور :

«عرس ليلة تدبيره عام» ووفقا لمضمونه يقودنا التحليل المنطقي للأحداث إلى وجود استعدادات تنظيمية سبقت 20 غشت 1953 يرجع لها الفضل في تفجيرها بسرعة وتدريج.

والتحضير لمقاومتنا عمره ست سنوات وأشهر، انطلاقا من الزيارة الملكية التاريخية لطنجة في أبريل 1947.

وما وقع عندنا في المغرب في ثورة الملك والشعب وقع كذلك في الجزائر التي فجر ثورتها مناضلون مسؤولون في المنظمة السرية لحزب الشعب الجزائري، وهو نفسه الذي حدث في ثورة تونس.

فإذا كانت كتابة تاريخ المقاومة المغربية في فترة ما بعد 20 غشت 1953 صعبة فهي تبدو أكثر صعوبة بالنسبة لفترة ما قبله نظرا لعدم وجود وثائق مكتوبة يستند إليها.

وما يقال عن تاريخ المقاومة المغربية يقال كذلك عن الوطنية المغربية فهي الأخرى مازال تاريخها لم يكتب بالغزارة المطلوبة علميا ومنهجيا.

إنه لا ينبغي أن نرى تاريخنا الوطني يكتب وهو مختوم بعبارة «العهدة على الراوي» فالرواة الموثوق بهم هم المناضلون الذين عاشوا في خضم الأحداث الوطنية، وساهموا في صناعة تاريخنا الحديث بعرقهم، ودمائهم، ومعاناتهم، وانفعالاتهم، وحرمانهم من حريتهم الشخصية، ومن مصالحهم.

لا بد من الإشارة لزيادة الفائدة، إلى أن الوطنية المغربية بدأت في الثلاثينات سرية، بخلية أولى سرية (6)، ثم ظهرت بعد ذلك للعلن.

يعني هذا أن التنظيم السري سبق التنظيم العلني لوطنيتنا المغربية تاريخيا.

في التنظيم السري الكل لا يعرف الكل إلا ما ندر وصدفة، فالخلية لا تعرف غيرها من الخلايا، ومن التشكيلات... والخلية

3) الأستاذ محمد العربي المسارى، محاضرة بعنوان : «20 غشت 53 توقيته، وأبعاده» ألقيت بقاعة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية بالرباط مساء يوم 81/8/15 في إطار الأسبوع الثقافي للمقاومة الذي تخلده المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ونشرت في جريدة العلم عدد 11.363 بتاريخ 16 شوال 1401 (1981/8/17).

4) الأستاذ العلوي مصطفى، الأغلبية الصامتة في المغرب صفحات 47 ـ 50.

5) عبد الحفيظ الهلالي، مقال عن منظمة الهلال الاسود، العدد الثالث من مجلة المقاومة تحت الطبع.

6) الأستاذ عبد الكريم غلاب «تاريخ الحركة الوطنية المغربية» الجزء الأول ـ مطابع الشركة المغربية للطبع والنشر بالدار البيضاء سنة 1976 ص. 81.

الثلاثية المكونة من 3 أعضاء هي خلية الأساس في التنظيم السري لأنها تستجيب لجميع متطلبات لمبدأ الكتمان في التنقل، وفي الإجتماع، وفي التنفيذ، وفي التجهيز، وفي السيطرة والقيادة.

ومهما كان الأمر فإن المتغيرات الثقافية والسياسية التي تأتي نتيجة التطورات في حياتنا الإجتماعية كفيلة بأن تسهل كتابة تاريخ مقاومتنا كتابة واقعية صادقة ترضي متمنياتنا ومطامحنا.

وما من ريب في أن شعور الكاتب أو المؤرخ بالأمان والحرية يشجعه على الصدق في التعبير وفي الكتابة.

٥ ٥ ٥

إلى جانب المؤشرات المذكورة سابقا توجد مؤشرات أخرى تشير إلى أن بعض المنظمات السرية تأسست بدون علم القادة السياسيين للوطنية المغربية، وذلك بسبب اختلاف الرؤيا في النظر إلى أساليب معالجة الموقف الذي تقف فيه القضية المغربية، ومهما كان سبب الإختلاف فإن مؤسسيها مناضلون وطنيون وأعضاء في الوطنية المغربية.

وسواء كانت بعض المنظمات السرية تأسست بعلم القيادة السياسية للوطنية المغربية أو بدون علمها فإن هذا لا ينفي عنها أبدا صفتها كمنظمة سرية وطنية، ولا صفتها كعضو في الجناح العسكري للنضال المغربي من أجل استرداد الحرية والإستقلال والسيادة.

إن تعدد وجهات النظر والرؤيا في الوطنية المغربية أمر مألوف ومعروف، وكان متمحورا في أساليب العمل لمعالجة القضية المغربية، أما الجوهر فلم يكن، في أي آن من الآوان، موضع اختلاف.

على كل حال، وحسب ما تؤكد لنا تجربتنا النضالية فإن الخلاف هو الآخر يجب أن يكون «منظما» و«منسقا» و«موجها» لخدمة القضية الوطنية وإلا فإنه قد يكون سببا في كارثة !

فالخلاف «المنظم» أو «المنسق» أو «الموجه» يمكن أن يقدم للقضية الوطنية خدمات جليلة لا تقدر بثمن ومنها على سبيل المثال :

- تغطية قانونية وسياسية بإبعاد الشبهات عنها.
- جعلها في مأمن من القمع.
- منحها، في إطار هذه التغطية القانونية والسياسية، حرية العمل والتصرف لخدمة القضية الوطنية، وتنظيم المناضلين في ربوع المغرب بصفة علنية، وبصفة سرية أيضا.
- ستر الجناح السياسي والإبقاء عليه كاحتياط قومي مهم، يحتفظ بزمام المبادرة، مستعد للقيام بواجبه في الوقت المطلوب.

إقامة حجاب ساتر بين الجناح السياسي للوطنية المغربية وبين جناحها العسكري.

فالخلاف لا ينبغي أن يكون له وجود حقيقي في الصفوف الوطنية، بل يجب أن تكون له صفة «تكتيكية» لا أكثر ولا أزيد، لهذا تقتضي الحكمة «تنظيمية» و«تنسيقية» و«توجيهية» لتوظيفه في النضال الوطني في خدمة القضية المغربية.

- مع من يختلف أي مناضل وطني ؟

- أمع مناضل وطني أخيه يقف إلى جانبه في صف وطني نضالي واحد، وفي خندق واحد، وفي مكمن واحد، وفي مجثم واحد، في مجابهة خصم واحد، ويتقي وإياه رصاصا واحدا خرج من فوهات الأسلحة المعادية بقصد أن يصيب منهما معا مقتلا.

فلا ريب، إذن، إذا مال تفكير المناضل الوطني إلى الاعتقاد بأن السياسة يجب أن ترقى بمستواها لتكون «حكمة» و«عقلا» لا «انفعالا» و«عاطفة» لكي تتمكن من خدمة القضية الوطنية بإيجابية عازمة، وفق منهجية واضحة وموضوعية ثابتة رغم ما قد يطرأ في ساحة النضال من متغيرات.

هذا لأننا وإن حاولنا بجد امتصاص الخلاف الا أننا لم ننجح في توظيفه التوظيف النضالي المطلوب فكان ذلك من أكبر أخطائنا السياسية التي كان لها بعض الآثار السيئة التي ما نزال نعاني منها.

ولعل كتابة صادقة لتاريخنا تملي علينا ممارسة نقد تاريخي صادق واع لمسلسلات أحداثه ووقائعه بقصد النظر بعمق في مسبباتها ونتائجها والمؤثرات العملية (الداخلية والخارجية) في إنجازها.

فإذا أردنا أن نطبق مبدأ التنظيم السري القائل بأن الكل لا يعرف الكل، وأن البعض يعرف البعض المتعامل معه فقط قد يمكن أن نتمكن من محاولة التسرب لمعرفة تبريرات واقعية أو تكاد لأسباب الخلافات.

والسياسة لا بد أن يكون لها وأمامها مجال حر للمناورة، وإلا فإنها تصبح عاجزة عن أية مناورة عندما تحصر أو تنحصر في حيز ضيق، مبدئيا كان أو نظريا.

لعل القارئ، من خلال هذه الفقرات يستطيع أن يفهم مدى الصعوبات التي كانت تواجه المناضلين الوطنيين في قمة النضال الوطني وفي قاعدته في جناحيه السياسي والعسكري معا في الإستعداد للقيام بتفجير مقاومتنا المغربية.

ولعله من خلالها يستطيع أن يفهم أيضا مدى الصعوبات التي ما تزال واقفة حجرة عثرة في سبيل كتابة تاريخ مقاومتنا.

ولعل هذه الصعوبات أيضا هي التي جعلت بساط البحث التاريخي الخاص بنضالنا وبمقاومتنا يبقى فارغا حتى الآن وبعد مرور ربع قرن على استرداد استقلالنا الوطني، من مذكرات جميع المناضلين المسؤولين المشاركين في صنع أحداث نضالنا الوطني بصفة عامة، وفي صنع أحداث مقاومتنا بصفة خاصة.

هناك كثير من الحقائق التاريخية دفنت في القبور مع أصحابها بعد أن ظلت سرا مكتوما في صدورهم ولم يستفد منها تراثنا التاريخي شيئا.

وقد تدفن حقائق تاريخية أخرى في القبور مع أصحابها إذا ما ظلت سرا مكتوما في صدورهم، ولم يدلوا بها شهادات صادقة للتاريخ.

ربما يبدو أن تاريخ نضالنا الوطني بصفة عامة، وتاريخ مقاومتنا بصفة خاصة في حاجة إلى عفو عام سياسي جديد من النوع التاريخي ليمكن كتابتهما.

ومهما يكن الأمر فإن هذا العفو العام السياسي الجديد ينبغي أن ينبثق من أعماق مناضلينا، وينطلق من وعيهم الوطني بواجبهم نحو تراثنا التاريخي.

إننا لا نكتب أحداث تاريخ مضى فقط، وإنما نلقن عبره لأجيال صاعدة من مواطنينا فنونا في النضال والمقاومة تعلمناها بتجاربنا، ودفعنا ثمنها غاليا من أرواح شهدائنا ودمائنا، وعرقنا، ومعاناتنا، يهتدون بهديها في سيرهم في درب العمل للمغرب، والجهاد من أجل بقائه وارتقائه، ويقضي الواجب أن نلقنهم ما فيه الخير والصلاح والفلاح والتسامح.

• كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء، فبالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات، ويتصدى بفعالية ونجاح لمواجهة كثير من التحديات ويمارس مسؤولية تطوره ونموه بنفسه وفي نطاق حضارته، دون أدنى تبعية، ولا ضغوط خارجية •

جلالة الملك الحسن الثاني

العرش المغربي في شعر المشرق

مشاهد ولمحات من أمجاد وبطولات

للأستاذ أحمد تسوكي

● صلات المشرق بالمغرب، صلات عريقة تمتد جذورها وأصولها إلى عصور قديمة وعريقة في التاريخ. وازدادت هذه الصلات وثوقا ورسوخا بعد الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس. وخلال ازدهار الحضارة المغربية في عصورها الذهبية، وخلال فترة الحكم الإسلامي الزاهر للأندلس، كان أئمة الفقه والأدب والعلم والتاريخ والتصوف، يتنقلون بين المشرق والمغرب والممالك والأمصار فيهما، من غير أن يجدوا في بعد المسافة حدودا تفصل بينهم وبين الزيارة والإرتحال، إما لتلقي العلوم والمعارف، وإما للإقامة والإستقرار، وإما للإتصال بأقطاب التصوف والأدب والفلسفة والعلوم، والأخذ منهم بحظوظ موفورة من ذلك كله.

ويمكن أن نتلمس هذه الصلات الثقافية المتبادلة بين المشرق والمغرب في سائر عصور التاريخ الإسلامي الذي جمع بينهما في وحدة متجانسة، وهوية منسجمة، مستمدتين من مبادىء الإسلام الداعية إلى الإخاء، والتآزر والتضامن والتعاضد والوقوف وقفة متماسكة في وجه الأخطار التي كانت تهدد المشرق تارة والمغرب تارة أخرى، فيهب من رجالهما ـ أول ما يهب ـ قادة الفكر وأقطاب التصوف وأصحاب الكتابة ورواد السياسة والقيادة والحكم، إلى المساعدة والمؤازرة والمساندة. وهكذا كان لا يقع في المشرق أو في المغرب حدث من الأحداث، إلا وتتردد أصداؤه في الأصقاع والأرجاء.

وفي عصرنا الحديث على وجه التخصيص، نجد أمثلة ونماذج من ذلك التبادل الثقافي والتواصل الأدبي بين المشرق والمغرب، فهذا أمير البيان شكيب أرسلان يقوم بزيارة إلى تطوان للإتصال فيها برجال الحركة الوطنية وللتنسيق بينهم وبين رجال الحركة الوطنية في ما كان يسمى من قبل بمنطقة الحماية الفرنسية، ويكتب ـ رحمه الله ـ في موضوع تلك الزيارة وذلك التنسيق رسائل وخطابات، تطفح كلها بمشاعر الإيمان بوحدة الأمة العربية والإسلامية، وتدعو قادتها وزعماءها إلى العمل الموحد والنضال المشترك في سبيل تحقيق هذه الوحدة التي كان الأمير شكيب أرسلان داعية من دعاتها، كرس قلمه وجهده للعمل من أجلها، وقاسى في ذلك شدائد مريرة لم تحجب بينه وبين مواصلة النضال والجهاد الفكري والسياسي.

ويقوم الكاتب اللبناني أمين الريحاني بزيارة مماثلة إلى تطوان وإلى منطقة الشمال التي كانت تعرف باسم المنطقة الخليفية، ويؤلف عن هذه الزيارة كتابه الممتع «المغرب الأقصى» الذي أراد به أن يكون حلقة من سلسلة من الكتب، تتناول وتعالج أوضاع العالم العربي في تلك الفترة الحالكة التي جثم فيها كابوس الإستعمار والإحتلال على صدر الأمة العربية.

وما من شك ولا جدال في أن ما كتبه شكيب أرسلان وأمين الريحاني عن المغرب وعن تحركه التحرري، كان له أثر كبير وصدى بعيد في المشرق الذي كان أبناؤه يكادون يجهلون كل شيء عن المغرب وعما يجري ويحدث فيه، وعما كانت تقوم به الحركة الوطنية، في شمال البلاد وجنوبها، من جهود ومساع حتى يتحرر المغرب ويستعيد إستقلاله وحريته.

ويتوج الله سبحانه وتعالى تلك الجهود والمساعي بنيل المغرب للإستقلاله بفضل ثورة الملك والشعب، وبفضل تضحيات العرش التي بذلها عن سخاء وإيثار من أجل إسترجاع حرية المغرب وسيادته وكرامته ووحدة ترابه بعد سنين من الحماية التي فرضت عليه فرضا وأرغم على قبول شروطها وأحكامها بدعوى الإصلاح.

ويعقب هذا الإستقلال، تجدد عميم في التبادل والتواصل اللذين ‹قصمت عراهما الوثيقة أغراض وأهداف الإستعمار، وهكذا تكثر وتنمو زيارات واتصالات الكتاب والمفكرين والمثقفين المشارقة إلى أرض المغرب، إحياء لصلات قديمة، وبعثا لوشائج لم يستطع الإستعمار أن يقطعها أو ينال منها رغم ما عمل من أجل ذلك، وأشاعه من أفكار التجزئة والتقسيم، ومابثه من مذاهب الإنفصال والإقليمية، سواء في المشرق أو في المغرب.

وما يهمنا من هذا الحديث هو إبراز تلك الصلات والعلاقات في جانب واحد هو جانب الشعر الذي تناول فيه وتطرق إليه شعراء المشارقة لنهضة المغرب الحديث، ولما تتسم به من حركة وحيوية وجدية، وبما يطبعها من أصالة ورسوخ قدم في التاريخ والحضارة. ولا يسمح هذا المجال الضيق بإيراد أسماء هؤلاء الشعراء كلها، لأن هذا البحث بمفهومه الواسع يحتاج وحده إلى كتاب خاص، يستوعب تلك الأسماء وما نظمته من قصائد وأشعار في حب المغرب وحب عرشه وعاهله الحسن الثاني، وسوف نعرض في هذا الحديث إلى نماذج فقط من الشعر الذي قاله ونظمه شعراء المشرق في المغرب، وفي قائد نهضته، وباعث جدته، ورائد مسيرته جلالة الملك الحسن الثاني، وذلك بمناسبة ذكرى جلوس جلالته على عرش أسلافه المنعمين، الغر الميامين.

فمناسبة كهذه المناسبة، ألهمت شعراء المشرق قصائد وأشعارا كثيرة، صوروا فيها هذه المناسبة تصويرا بارعا، وأبانوا فيها عن مشاعر الإخلاص والوفاء، وأحاسيس المحبة والتقدير التي يكنونها للعرش المغربي المجيد وللقيادة الحكيمة الساهرة على اكتساب المفاخر والمآثر التي تبرز وتجسد خطوات التحرير والنماء، وأشواط النهضة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية التي يعيشها المغرب، ومراحل النضال المستميت الذي يضطلع به العرش المغربي من أجل قضايا التحرر في العالم العربي والإسلامي.

ومما يمهد لهذا الجانب من هذا الحديث بالذات، أن نورد مجموعة من الأبيات التي قيلت في ذكرى جلوس بطل التحرير المغفور له محمد الخامس على العرش، فهذا الشاعر اللبناني عادل خداج يصور في إحدى قصائده سنة 1960 إحتفال الشعب المغربي بهذه الذكرى، وابتهاجه بحلولها، فيقول :

جيش الهلال ولي العهد قائـــده
إذ ماتراه جيوش الغدر تنهـــزم
يحمي البلاد ويفدي العرش والحمـا
إن ما تجهم ثغر الموت يبتســم
حتى تخال بأن المغرب إنصهــر
أوتار معزفة أفراحه النغـــم
الكل يضمر حبا للمليك فــلا
من لا يموت فدى عرش هو الحـرم
لا غرو أن يهبوا للعرش أنفسهــم
إذ أن صاحبه للشعب منتقــم

وخلال زيارة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، ينشد الشاعر الفلسطيني فرحان سلام هذه الأبيات المؤثرة، واصفا فيها مؤازرة المغرب ومساندته المطلقة لنضال الشعب الجزائري من أجل إستقلاله وحريته، حيث قال :

وقد إنتصرت إلى الجزائر عندمــا
وقعت بكيد الغادر المستعبــد
فإذا الجزائر وهي تشكر سعيكــم
بطريق نصر بالنجاح مؤكــد
يافخر جامعة جمعت رجالهــا
دنيا العروبة مثلها لم تشهــد
كي تنقذوا الوطن السليب من العدى
في همة شما بكل مجنــد
يا ابن الملوك الصيد وابن محمــد
لازلت في عمر تسير وتقتــدي

لا زلت في دنيا العروبة مصلحا
وبك العروبة للسعادة تهتــدى

ويهتف شاعر لبنان إبراهيم بري قائلا حينما زار المغفور له محمد الخامس لبنان :

لولاك ما رأت الجزائر فجرهــا
أبدا وظل الليل فيها مظلمـا
فكأن فجر العرب ليس بمشـرق
إلا على أفق تخضب بالدمــا

حسبت قرنسا بالجزائر جنــــــة

فرأت على ساح الجنان جهنمــــا

جيش الخلاص أنت أدرت جهـــازه

جيش تدير جهازه لن يهزمـــــا

والشاعر يشير في هذه الأبيات إلى الدعم المادي والعسكري والسياسي المطلق الذي قدمه المغرب إلى الجزائر في ظروف محنتها ومأساتها حين كانت جيوش الإستعمار تفتك وتقتل أبناءها المطالبين بالإستقلال والحرية، فيؤكد بذلك الحقيقة التاريخية الناصعة وهي أن الجزائر ما كانت لتنال إستقلالها وحريتها لولا مساندة المغرب لها، ولولا وقوفه إلى جانبها في نضالها المرير الذي خاضته سنوات طوالا حتى إستقلت وتحررت. وإلى نفس المعنى يشير الشاعر الأردني الدكتور سيف الدين الكيلاني قائلا ومخاطبا جلالة المغفور له محمد الخامس :

إذ الجزائر باتت تستجير بكــــم

مسرى الرسول بما يشكو لقد ناحـا

غدا سيمحق إسرائيل جيشكمـــــا

ويمحقان على (أوراس) سفاحـــا

وينشد الشاعر الجزائري أبو عبد الله صالح قصيدة بمناسبة الزيارة التي كان يعتزم القيام بها إلى تونس جلالة المغفور محمد الخامس، فلم تتم هذه الزيارة بسبب ما أقدم عليه الإستعمار من اختطاف طائرة كانت تضم خمسة من قادة الجزائر إبان فترة التحرير، وفيها يشير الشاعر إلى إستعداد شعب الجزائر لإستقبال بطل التحرير محمد الخامس قدس الله روحه، حيث يقول :

نزلتم أرض تونس ضيف عـــــز

وأنتم في غد ضيف الجزائـــــر

فماذا يمنع الخطوات منكـــــم

بأن تمتد للوطن المجـــــاور

فإن به نفوسا لو ينـــــادي

بمقدمكم، لطـارت بالبشائـــــر

بصائره إلتقت بكم قديمــــــا

لقاء بالمكارم والمفاخـــــر

فأعطوا الطرف منيته فإنـــــي

أرى الأبصار نازعت البصائـــر

وينتقل أب المغرب وبطل إستقلاله وحريته جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه إلى جوار ربه آمنا مطمئنا قرير العين على بلده وشعبه، ويخلفه في قيادة المغرب نجله العظيم، ووارث سره، جلالة الملك الحسن الثاني. فيتبارى شعراء المشرق للتعزية في وفاة بطل أشعل جذوة التحرير في نفوس المستضعفين المستعبدين، وأنار طريق الحرية والكرامة أمام شعوب إفريقيا وآسيا، وللتهنئة في خلف قاسم أباه المحنة والنفي، فيقول الشاعر التونسي الطاهر القصار من قصيدة طويلة :

أهنيك بالملك الذي أنت أهلــه

وبالعرش مرفوع العماد مدعمـــا

أهنيك بالرضوان من خير والــــد

حدا بك للمثلى وأنشاك مسلمـــا

ولقنك العرفان والعقل والهـــدى

وأسدى بما أسدى إليك وعلمـــا

لإفريقيا ياوارث الملك عــــزة

بها الأرض غنت والزمان ترنمـــا

ويعرض في قصيدته إلى ما تترقبه الجزائر على يدي جلالته من دعم ومساندة لتحريرها من قيود الإستعمار وأغلال العبودية فيقول :

وكونا إلى الأخت الجزائر عــــدة

تحررها من قيد رق تحكمـــــا

فويل الوغى غطى عليها بســـده

فزلزل حبات القلوب وأضرمــــا

ويسير جلالة الملك الحسن الثاني على خطى والده المنعم، يبني السدود، وينشر ألوية العدالة الإجتماعية، ويرفع كلمة العرب والمسلمين، ويقوي عضدهم بمواقفه السديدة في كل الفرص والمناسبات، ويدعو بأعلى صوت في المحافل الدولية إلى تحرير إفريقيا من الإستعمار والتمييز العنصري، ويساند ماديا وعسكريا حركات التحرير في المستعمرات، ويدعم بآرائه وأفكاره الحكيمة حركة عدم الإنحياز، ويسعى بجهود موصولة إلى وحدة العرب والمسلمين حتى تستعد شعوبهم وقياداتهم إلى مواجهة العدو وتحرير فلسطين السليبة، فتتردد أصداء كلماته ودعوته ومواقفه في أرجاء الوطن العربي، ويتجاوب معها الشعراء تجاوبا عميقا ينعكس في قصائد تفصح عما تكنه الشعوب العربية لجلالة الملك الحسن الثاني من مشاعر التقدير والإجلال. هذه الشعوب التي تتطلع إلى جلالته بآمالها ليرد لها أمجادها ومفاخرها، ويستعيد لها كرامتها وحقوقها، ويصون حاضرها ومستقبلها من تطاول العابثين وحقد الحاقدين، ويرتاد لها آفاقا جديدة من علو الشأن وسمو المنزلة. وإلى ذلك

يشير الشاعر اللبناني صلاح الأسير في قصيدته «جامع المسلمين» قائلا :

جامع المسلمين بعد التنائـــــي
في الرباط الميمونة الفيحـــــاء
ومقيل العثار في كبوة العــــرب
ونور الإيمان في الظلمـــاء
هتفت باسمك المفدى شعــــوب
رزحت تحت وطــــأة الأرزاء
لترى فيك (خالدا) يقحم اليرمـ
ـوك في حرمة الوغى والجـــداء
تسترد المجد السليب وتعلـــي
راية نكست على الغـــراء
ابن بنت النبي أنت، فطرف الشمـ
ـس مغض والكون في إصغاء

علوي الندى، على كل أفــــق
منك نعمى ممهورة بالسخــاء
أنت جسدتها الأماني كدحـــا
صادق العزم في سبيل البنـــاء
فإذا أنت واحد، مفرد الوحـــدة
في سدرة الذرى العليـــاء
(حسن) فرع دوحة أطلعتهــــا
مكة المصطفى صمود البقـــاء

بددت ظلمة الوجود على الد
هر، وظلت أغنية الأنبيـــاء
يا مليكا يزهو بــه العرش فالتـاج
قلــوب خفاقــة بالـــولاء
تزرع الخير في البرايا على أنـم
الدين، تقوي محورة الأنـداء
وولـي للعهد، بـدع تاريـــخ
وآمــال أمــة عصمـــاء
قد فرشنا له العيون ليمشــــي
فوقها في ظلالك الخضــــراء
فيه من جده العظيم أساريـــــر
جهاد وذكريات فـــــداء
وعلى مقلتيه منك شعـــــاع
من نضال وحكمة ومضـــاء

عشت حتى تراه مثلك في الجلـــى
على كل كوكب وسمــــاء

وتنطلق من المغرب على لسان عاهله العظيم، أول دعوة وأول نداء يتنظمان شمل الأمة الإسلامية في قمة الرباط سنة 1969 على إثر إقدام العدو الصهيوني على جريمته الشنعاء بإحراق المسجد الأقصى، فيحتضن المغرب هذه القمة الأولى في تاريخ المسلمين، ويجتمع ملوكهم ورؤساؤهم وقادتهم على أرض المغرب الذي كان دائما منطلقا للوحدة والتضامن والتآزر، وقاعدة للعمل الإسلامي المشترك، وموقعا حصينا للدفاع عن وحدتهم وكلمتهم وهدفهم، وتكون هذه القمة الإسلامية المباركة مناسبة أخرى لشعراء المشرق، يبرزون في قصائدهم وفيما تجود به قرائحهم من أزكى وأطيب الشعر دور المغرب في حماية الإسلام، وصون أمجاده ومكاسبه، ويشيدون بصنيع قائده المؤمن في الحفاظ على وحدة المسلمين في الكلمة والصف والهدف، وفي الذود عن مصالح الإسلام وقضاياه العادلة، فيقول الشاعر السعودي أحمد فرج عقيلان بالمناسبة :

سيروا على اسم الذي يحمي مسيرتكم
فمن سعى في سبيل الله لم يخسب
ومن تكن في سبيل الله هجرتـــه
فتحت إمرته جيش من الرعـــب
ولتجعلوا من حطام القدس أشوطـــة
تنصب فوق عدو الله كالشهـــب

ويقول الشاعر التونسي المرحوم الحبيب المستاوي :

جئنا لمغربنا الشقيق وأهلــــه
ومليكه الحسن العظيم الحامـــي
جئنا لنشهد أمة غلابـــــة
فشعارها شمم ورفع الهـــــام
جئنا لنشهد أمة عربيــــــة
زحفت تشيد محكم الاحجـــام
بقيادة علوية منصـــــورة
تنمى إلى الشرف الصميم الخـــام
أنى توجهنا رأينا نهضـــــة
تبنـى بجد صادق ونظـــام

ثم يستعرض الشاعر بعض مظاهر النهضة المغربية الحديثة بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني، عارضا لبعض وجوهها قائلا :

الأرض تنتج والسماء كريمـــــــة
والشعب يعمل دون ما إرغـــــــام

أما المآثر والمشاهد فهي قـــــــد
نقشت بلوح ما يزول أمامـــــــي

ولقد وقفت بكل ثغر خاشمـــــــا
وقرأت ما يحويه من إلهـــــــام

ويتعرض الشاعر في قصيدته للملاحم والبطولات التاريخية التي صنعها المغرب في عصوره الزاهية بدم أبنائه وجهاد ملوكه العلويين الأمجاد. ويرسم مشاهد حية من جهاد المغرب وبطولاته في الدفاع عن حياض الإسلام في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي. ويصور لقطات شعرية بارعة صادقة لنضال الشعب المغربي من أجل تحرير ثغوره من قوى الإحتلال والإغتصاب. ويتدرج الشاعر في تصويره حتى يصل إلى عصرنا الحاضر، فيعرض للأمجاد والمفاخر التي أحرزها ويحرزها المغرب بقيادة جلالـة الملك الحسن الثاني في ظل الحرية والسيادة، فيقول :

من مثل والدك العظيم (محمـــــد)
فخر الملوك وسيد الأقـــــــوام

من قد ورثت خصاله وكمالـــــه
فسطعت في البلاد بدر تمـــــام

وحفظت عنه نضاله ووفـــــاءه
قبل الخلافة وهي مسك ختـــــام

زينتها بالعلم والعقل الـــــذي
أوتيته من خالق الأفهـــــــام

وأعدت للدين القويم بهـــــاءه
ورفعت قدر شيوخه الأعـــــلام

عرق النبوة نابض في أنفكـــــم
يا ابن (البتول) بلغت كل مـــرام

يا أيها الملك المنيع جنابـــــه
إسلم لشعبك حافظا لذمـــــام

ويتغنى الشاعر اللبناني محمد شمس الدين في أبيات رقيقة عذبة بعيد العرش، وبجمال المغرب، وبطولة أبنائه، وأمجاد تاريخه العريق ومآثر حضارته الأصيلة فيقول :

يا بلاد الخير، يا خير البلاد
كم على أرضك هبت للجهاد
أمة صارعت الباطل فباد
وزهت أعلامها فوق النجاد
٥ ٥

كم على تربك سالت من دماء
روت الأرض لتزكو في نماء
بأجراح الأمس، ياسر البقاء
أنت للمجد خيوط من ضياء
٥ ٥

نحن للعرش المفدى مخلصون
وله في الحق جنود عاملون
عاش ترعاه قلوب وعيون
يحرس الأمجاد والدين يصون
٥ ٥

أيها الأبطال يافخر الرجال
يارؤى طارق في يوم النزال
أطلقوها نهضة عبر الليال
يبتسم من «مغرب» فجرالكمال

وهذا الشاعر السوري الدكتور ممدوح حقي، يقدم في عيد الشباب ذكرى ميلاد صاحب الجلالة ـ صورا شعرية حية، تنبض بالجمال والصفاء، وتطفح بالإخلاص والوفاء، ينظم عقدها في ستة مقاطع، يحيي في أولها المغرب «أرض البطولات»، ويزجي له «تحية الحب» من «مهد النبوات» و«من جانب المسجد الأقصى وصخرته» و«من غوطة الشام، من عرق القرابات» و«من أرز لبنان»... وفي المقطع الثاني يرجع بالتاريخ إلى الماضي السحيق، «إلى عصور قديمات قديمات» ثم يقول :

رأيت في المغرب الأقصى يعاربـــة
من «الجزيرة» موجات لموجـــــات

حطت على الأطلس المرموق وارتبعت
في جانبيه وصافت في الثنيـــــات

وينتقل في المقطع الثالث فيذكر كيف اتخذ الفينقيون بعض ثغور المغرب موانىء للتجارة ورسو السفن. ثم يعرض لسيرة الفاتح الأكبر إدريس الأول في المقطع الرابع. وفي المقطع الذي يليه يتحدث عن سيرة المجاهد بطل الإستقلال محمد الخامس طيب الله ثراه. ويختتم القصيد بمقطع عن جلالة الملك الحسن الثاني، عارضا فيه صورا من آمال عربية مشتركة وقلوب عربية تتطلع إلى منقذ يحيي للأمة العربية ماضيها الزاهر، ويعيد لها أمجادها ومفاخرها البطولية فيقول :

إذا العرين تخلى عنه سيـــده
فإن في الشبل آمالا عتيـــدات
واسى فلسطين في إبان محنتهـــا
المال والرأي من بعض المواســـاة
حييت يا بلد الأبطال من بلـــد
مجاهد في لياليه الطويـــلات
كم ثائر قبك آبى الذل منصلـــت
مكافح صامت نذر الشكايـــات
تبارك الله من شعب ومن ملـــك
كأنه آية في تاج آيـــات

ويستعيد الشاعر اللبناني سليم الرفاعي صورة مشرقة زاهية من ملحمة مغربية قريبة العهد منا وإن باعدت بين أيامنا وبينها جملة من السنين ليست بشيء في ميزان الفتوحات والبطولات والإشراقات. إنها صورة البطل المقدام طارق بن زياد فاتح الأندلس. يمزج الشاعر بينها وبين عهدنا الحاضر فيراها حية لا تزال ملامحها وقسماتها تنبض بما نبضت به في ذلك الزمن البعيد القريب. ثم يقول :

من بني المشرق المكافح أهـــدي
قبلة من أخ - دليل الإخـــاء
ما اعتزازي بالمغرب الحـــر إلا
بسمة الشكر - يالها من عطـــاء
أينما تتجه تلاق شعوبـــا
وحدتها الآلام فـــي الأرزاء
ما بعدتم بني العمومة عنـــا
أو ليس الإسلام أقوى انتمـــاء

ويعود نفس الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان «أيها المغرب شكرا» ليخاطب بها هذا البلد الأمين على مبادئه، المتمسك بعقيدته، الحريص على مقوماته، المجاهد في سبيل قضايا العرب والمسلمين، المسترخص نفسه ونفيسه من أجل إنتصارهم وعلو شأنهم، وتكون المناسبة التي أوحت للشاعر بهذه المعاني هي المشاركة المغربية في حرب أكتوبر سنة 1973. ويهدي الشاعر قصيدته : «إلى كل أسرة في المغرب أنجبت الأبطال» ومما قاله فيها :

أيها المغرب، هل تأذن لي أن أجزيك شكرا
أيها المؤمن بالوحدة، فتحا مستمـــرا
عالم الإسلام يحيا بك إحساسا وفكـــرا
يوم أرسلت بنيك الصيد إشعاعا وزهـــرا
سال ذام الدم في (الجولان) ما أزكاه عطـــرا

إلى أن يقول :

يا سخي البذل يوم الروع ما هاب رجالـــك
صدروا عن حومة الموت وقد شع جمالـــك
وذرى الشام ذرى المغرب تحميها نصالـــك
كم تلال في ربوع الشام ترويها تلالـــك
وحدة الإسلام ما حققها إلا نضالـــك !

هكذا كانت حرب رمضان التاريخية التي شارك فيها المغرب بتجريدتين أرسلهما إلى الجولان وسيناء جلالة الملك الحسن الثاني، مناسبة جديدة ألهمت شعراء المشرق قصائد وأشعارا تفيض بالحب والإخلاص والإجلال لملك عربي فذ، أبى بحكمته وسداد رأيه إلا أن يصل الحاضر بالماضي، فيجعل قلوب العرب جمعاء تخفق بإحساس الوحدة والتضامن والتآخي بعدما رانت عليها عهود من الفرقة والتناصر والتباغض. فلا عجب إذن أن تتعلق بجلالة الملك الحسن الثاني معقد الرجاء وموئل الإباء قلوب العرب والمسلمين، وفية مخلصة، مؤمنة واثقة بنصر الله. ترجو الله أن يجعل منه القائد المنقذ الذي يجمع كلمة العرب والمسلمين على صعيد الألفة والوحدة والأخوة الصافية، ويلم شملهم، ويضم صفوفهم، ويوحد مواقفهم في مواجهة ما يعروهم من خلافات وصراعات. وما يعترضهم من أزمات وتحديات. ولا عجب أن تتردد هذه الآمال في شعر المشارقة وأن يجعلوها محور قصائدهم، تدور حوله وتقبس منه.

فهذا الشاعر الأردني الدكتور سيف الدين الكيلاني، يعبر أقوى تعبير وأنصعه عن هذه الآمال القومية التي تعلقت بملك المغرب فيقول :

يا معقد الآمال يا (حسن) السنـــى
والمجد في حلك الليالي الســـود
العرب ترنو نحو (مسرى المصطفى)
بحرارة في صدرها المفـــؤود
لهفي على مسرى الرسول وشعبـــه
مرمى سهام الدهر والتشريـــد
عقدوا على الحسن العظيم رجاءهـــم
وخلاصهم من واقع منكـــود
لم لا ؟ وآل البيت كانوا دائمـــا
غوثا لكل مشرد وطريـــد

وهموا لكشف النائبات على المـدى
فازوا بذكر عاطر وحميـــــــــد
(حسن المكارم) أنت أجمل آيـــــة
بفم الزمان وأنت خير نشيـــــد
توحي إلينا بعث عزة يعـــــرب
بمرى التضامن في الغد المنشـــود
وتهيب (أقصانا) بكل مجاهـــــد
حر سيفديـه بدفق وريـــــد
مولاي، ياليث العرين تحيـــــة
من شاعر كلف بحب الصيـــــد

وهذا شاعر الرافدين محمد مهدي الجواهري يعبر عن نفس المعنى حيث يقول من قصيدة طويلة :

يا نائرين على البلوى نفوسهــــم
طوعا، فهم كسر في سوحها قصـــد
يهدون للشرق أرواحا إذا عصفــت
بالموت ريح قرة صــــرد
وزارعين على بعد قبورهـــم
نوم الغريب على الأحجام يتســـد
طيخاه ملغومة بالرعب موحشـــة
وكل شاهدة نجم بها يقـــــد
نهجتم الدرب سمحاء شريعتــــه
بالتضحيات لمن يسعى ومن يفـــد

وهذا شاعر آخر هو شهاب جنبكلي يصور تلك المعاني أيضا من قصيدة طويلة فيقول :

هنا المغرب الفيحاء أضحى منـــارة
بظل مليك صادق دون إفشـــاء
تنادت عيون الشرق طوعا لهيبـــة
فأغضت جموع للمهيب بإصغـــاء
إذا كان هذا في الرباط متوجـــا
فللحسن الثاني صدى كل إفشـــاء
به الناس منقادون حبا وطاعـــة
ومن ماله الوافي حنو برمضـــاء
ضممتم بحفظ الله جنح مـــودة
وعقد تصاف بعد عسف وإجفـــاء
حرصتم على جمع الصفوف بوحـــدة
وصنتم قضايانا بجهر وإخفـــاء
لكم في قلوب العرب حب وطاعـــة
ومنكم صفاء القول من غير بغضـــاء
هناك وفي كل البقاع لكم يـــد
تلبي نداء الأقربين ببأســـاء
زرعتم ثرى الجولان فخرا وعـــزة
وسادت بطولات بصبر وإبـــلاء
فهب أمير المؤمنين لنجـــدة
وجاد عطاءات ببذل وأكفـــاء
ومد يدي عون ومال وعـــدة
وجيش عديد من رعيد ولظـــاء
وكانت له الحسنى تقاطر دائمـــا
على جرحنا الدامي كوبل بجدبـــاء

ويقول نفس الشاعر في قصيدة أخرى نظمها بمناسبة إسناد رئاسة لجنة القدس إلى جلالة الملك الحسن الثاني :

حدب عليهم من عميق جراحنـــا
والعين تهفو للمليك وتنظـــر
قاد الحقيقة للعروبة وانجلـــت
آفاق فجر للمروءة يذكـــر
حمل الأمانة للقيام بنهضـــة
تعطي الفلاح لأمة تتحـــرر
والقدس أنت من جراح غزاتهـــا
فرأت عزاء في الرباط يزمجـــر
دوت فلسطين الجريحة صيحـــة
كانت لها فاس ترد وتـــزأر
من كان ذا صول فيحمي إرثنـــا ؟
والعاهل المغوار ليث أقـــدر
من كان ذا قدر يحرر قدسنـــا
ومليكنا في عهدة يتصـــدر
طابت له الدنيا بقدرة يعـــرب
وله المروءة حافظا يتبصـــر

ويقول الشاعر العراقي الدكتور باقر سماكة من قصيدة له بعنوان : «وقفة المجد» :

العاهل الحسن الثاني الذي إرتفعـت
علياؤه بين أقطار وأقطـــار
قد سار بالمغرب الميمون طالعـه
وحاز كأس العلى في كل مضمـــار

وفي مسيرته الخضراء ما وهنت
خطاه، يمضي بتصميم وإصرار
عليه كل أماني العرب قد عقدت
بعودة القدس من فاشية العار
وجمع كل شتات قد أضر به
شعار «فرق تسد» بالأهل والجار
ومن يديه ترجي العرب قاطبة
ضماد جرح شديد النزف نفار

وتعد ملحمة المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء، من الأحداث الوطنية والقومية التي إستلهم منها شعراء المشرق صورا جديدة حية من بطولة الشعب المغربي وإبائه وعزته، ومن قيادة عاهله الحكيم، فأمدتهم هذه الملحمة الوطنية الخالدة بمشاهد بطولية جديدة، وأثارت خيالهم وقرائحهم، وأهاجت في وجدانهم ذكريات الماضي المجيد، ذكريات الفتح العربي والإسلامي في عصوره الزاهية، وحركت في نفوسهم مشاعر غامرة من العزة والإكبار والزهو والفخار، فكتبوا ونظموا قصائد ملحمية النفس، عبروا من خلالها عما يكنونه لمبدعها وقائدها الملهم جلالة الملك الحسن الثاني من عواطف ومشاعر عربية وإسلامية قوية في نبضها، فياضة فيما تحمل من محبة ومودة وتقدير للمسيرة ومبدعها وشعبها المؤمن، ولقد عبر عن هذه العواطف والمشاعر تعبيرا قويا ناصعا شاعر الرافدين محمد مهدي الجواهري في قصيدته «الصحراء في فجرها الموعود» وهي قصيدة طويلة مطلعها :

صحراء... فجرك موعود بما يلد
والمغربيون أكفاء بما وعدوا

وفيها يقول :

ياحارس الوطن المرهوب جانبه
عليه مما بنى تاريخه رصد
فاءت إليك بما ضمت وما تلد
كما يفيء لظل الوالد الولد
صحراء يوحشها عوي الذئاب بها
ويطوى سمعها أن يزأر الأسد
غضبان ردت على اليافوخ عفرته
وارتج غيظ على أكتافه اللبد
ينهى لمن كان في سهل وفي جبل
أن لا يحوم حوالي غابه أحد
واستشفعت بك للسقيا مطامحها
مملئات عن الحوض الذي ترد
واستنجدت بك أن تحمي مصائرها
بذاك عودها آباؤك النجد
تمضي على سنن منهم وعن ثقة
وملتقى فرقد عن فرقد صدد

وبعد، فهذه لمحات ولقطات خاطفة موجزة، تقدم خلاصة متواضعة لمشاعر كريمة، وعواطف نبيلة، وأحاسيس نابضة، حملها في الماضي ويحملها في الحاضر والمستقبل جملة من شعراء المشرق العربي جسدوها في شعرهم وقصائدهم، تعبيرا وتصويرا وبيانا، فأجادوا في ذلك وأحكموا وجوه البيان والتصوير، ولا غرو، فإن لعرش المغرب في نفوسهم ووجدانهم رموزا توحي بالبطولة فتدعو إلى التضامن والتآخي والتآزر، وتلهم صورا من العز والمجد، فتذكي في الروح جذوة الحماس والإيمان، وشعلة الامال والمطامح التي تخامر قلوب العرب والمسلمين قاطبة في وحدة عربية وإسلامية تنهض بهم جميعا نهضة قويمة أصيلة ثابتة، ولا جرم أن يرى شعراء المشرق في العرش المغربي المجاهد مثالا وقدوة ورمزا حيا للعمل العربي والإسلامي الموحد.

أحمد توكي

• إن خير ما نستقبل به هذا القرن الجديد، هو الاجتماع على كلمة سواء تجعل منا بحق أمة «الوحدة والتوحيد» قال تعالى «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» (س الأنبياء ـ 92).

جلالة الملك الحسن الثاني



للأستاذ الشاعر شهاب جنبكلي

إلى القوات المسلحة الملكية العاملة في الصحراء لأداء الواجب الوطني، وتنفيذا لأوامر العاهل الكريم الملك الحسن الثاني ـ دام له النصر والتأييد من أجل الحفاظ على الوحدة الترابية للوطن المغربي الزاهر.

حنانـك، يـا أخـي، بـر وإحســان ... وقـدرك فـي الـورى، روض وإيمـان

وعزمك في جحيم الروع ينصر مــن ... أفنوا دخيلا، فما حادوا ولا خانــوا

طا بت لك في الدجى ساحاتها فغدت ... نورا يصد العدى حقا. إذا بانــوا

واستقبلت جائرا أفعالك وارتقــت ... تسمو على باطل، والصبح وسنان(1)

حقا تقدم من دمائك رائقـــا ... والأرض حداءة. والعرف(2) ريان

حقا تسطر للتاريخ ملحمـــة ... والثوب طهر على الجنبين مــزدان

ما أقرب الحق حين يصبح من لظـى ... وصاحب الحق صدر ثم برهـــان

1) وسنان : ناعس.

2) العرف : الجود والمعروف.

ما أصدق الاسد في ذرا مواطنهــا وحين ينتابها غدر وعـــــدوان

علمتنا كيف كانت نفسك تــزدري مكرا وزلفى، ولص الدار مهـــوان

علمتنا أن نفسا تفتدى عاجـــلا يبقى لها شرف بالطهر معـــوان

إليك حبي وتقديري إذا انهطلــت عليك آثام أشرار وبهتـــان

لله فوزك إذ ترقى على محـــن وصوتك مرعد بالحق فتـــان

لبيت صوتا من العلياء مقتـــدرا واستقبلت رائد(3) الإسلام أحضان

شهاب جنبكلي

---

3) رائد الإسلام : العاهل الكريم الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ

• إن الإسلام دين ترتكز فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية، وهي في مفهومه فردية وجماعية، فما من أحد منا إلا وهو يتحمل حظا منها يضيق أو يتسع، بقدر ما يوضع بين يديه، ويتصرف فيه، من مرافق خاصة أو عامة، وإن مراقبة الله، والشعور بالمسؤولية أمام خلقه، لحافز كبير على أداء الحقوق والأمانات إلى أهلها •

جلالة الملك الحسن الثاني

وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين

للأستاذ محمد قشتيليو

لكل إنسان ذكريات منها ماهو حلو ومنها ماهو مر، وأحلى الذكريات هي ذكريات الشباب وأحلاها على الإطلاق ذكريات سنوات الدراسة التي يكون فيها الشخص لايهمه من أمره إلا المشكل الدراسي. غير أن عصرنا كان يختلف عن عصر شباب غيرنا. لقد كان عصرنا عصر دراسة وكفاح وطني. كنا ونحن في الخارج نقاسي الأمرين. نقاسي مشكل الدراسة في الغربة ومشكل الاستعمار ببلدنا. لقد كنا نشعر بامتعاض وحسرة ونحن نرافق طلبة أجانب مثلنا غير أن وضعهم يختلف عن وضعنا. هم يشعرون باعتزاز وافتخار لأنهم ينتسبون إلى وطن مستقل حر ونحن ننتسب إلى وطن يدين بالتبعية إلى غيره ومغلوب على أمره، وأدهى وأمر من هذا اننا نتابع دراستنا عند أمة تحكمنا وتدير شؤوننا. رفقاؤنا يذهبون إلى سفاراتهم وقنصلياتهم ويشعرون بالاعتزاز والافتخار، ونحن لاسفارة لنا ولا قنصلية تحمينا فنحن تحت رحمة إدارة أجنبية عنا. وكان يحز في نفوسنا أن ننادي بمغربي فرنسي أو مغربي إسباني، وكنا نحاول أن ننفى عنا هذه التفرقة لنبين لرفقائنا أننا أمة واحدة. ولكن الاستعمار كان أقوى منا فيفسد لنا كل شيء ولكن قدرة الله أقوى من كل شيء. فقد أتى الله بالفرج من عنده وظهر الحق وزهق الباطل وعلم الكل الحقيقة التي كان يجهلها أو يتجاهلها. فكانت سنة 1953 فامتدت اليد الأثيمة إلى ملكنا المرحوم جلالة محمد الخامس وعائلته الكريمة فكانت بداية النهاية للاستعمار. فعلم إذ ذاك الخصوم والأصدقاء على السواء ممن كانوا يجهلون أو يتجاهلون حق الشعب المغربي وظهر لهم للعيان ان في الوجود شعبا مغربيا واحدا.

ثم جاءت مرحلة النصر ورجع العاهل الكريم وأسرته يحملون وثيقة النصر والاستقلال . فشعرنا إذاك بالاعتزاز والافتخار وأصبحنا نتباهى أمام رفاقنا الطلبة بكلمة مغربي. فأتى بعد هذا النصر العظيم قدوم ملكنا وولي عهده المحبوب إلى مدريد لا برام الاتفاق مع اسبانيا. فاستقل الشمال وتوحد المغرب كله. إذ ذاك علم الجميع أننا كنا على صواب وان ما كانوا يفهمونه أو يفهمونه لهم هو الخطأ. وكان اعتزازنا وافتخارنا أعظم عندما شرفنا ولي العهد بحضوره في التكريم الذي أقامه لسموه الطلبة المغاربة بأعظم فنادق مدريد وخطب سموه فيهم يهيب بالشباب أن يتحدوا ويتأهبوا لبناء المغرب الجديد. فكان لخطبته أبلغ الأثر في النفوس فشعرنا إذ ذاك بنشوة النصر والاعتزاز وبالروح التي أمدنا بها قائد الشباب العظيم. فتبدل رأي الجميع في المغرب وصار رفقاؤنا الطلبة الاسبان منهم والأجانب الذين حضروا الحفل يهنئوننا ويبشروننا بمستقبل

زاهر للمغرب حيث لمسوا ورأوا بأعينهم قائد الشباب كيف يخاطب الشباب وقالوا لنا ، اننا نهنئكم بهذا الفوز قلما يوجد في العالم في الوقت الحاضر مثل ما عندكم فلكم قائد ولكم شباب تغبطون عليه ياحبذا لو كان لنا مثل ماعندكم، ان المغرب بخير وسيخطو بسرعة إلى الأمام، وان المغرب ـ كما قال لي مستشرق وأستاذ جامعي ـ سيكون يبانيا ثانيا على وجه هذه البسيطة. لم يكن هذا الأستاذ الجامعي خاطئا في تخميناته وتنبآته فما نحن نرى المغرب الجديد يخطو ـ ولله الحمد ـ خطوات جبارة في عهد قائده المظيم وموحده الكبير، فكل شيء يبدو محسوسا وكل التنبآت تظهر بادية ملموسة، فالمشاريع الضخمة قد تحققت في أقصر الآجال فالمتخرجون في شتى العلوم يتوفر المغرب عليهم بل يزيدون على الحاجة والسدود والمصانع ثم المشاريع الدينية بجانب الدنيوية تنجز، فبعثات العلماء توفد إلى الخارج للتوعية الدينية بجانب بناء المساجد، ودولب العمل لم يتوقف كل هذا من فضل الله وسهر عاهلنا العظيم على تحقيق الرفاهية والازدهار لشعبه، انها الكرامة التي يحققها الله لعباده على يد أولياء العصر، وها ولي عصرنا جلالة **الحسن الثاني** يحقق الله على يده الكرامات «**ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**».

الرباط ـ **محمد قشتيليو**

للذكرى والتاريخ

للأستاذ محمد العربي الشاوش

تخليدا للزيارة الميمونة التي قام بها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله لمدينة تطوان يوم 11 ربيع الأول عام 1382هـ. موافق 13 غشت سنة 1962 واحيائه ليلة عيد المولد النبوي الشريف بمسجدها الأعظم، جادت قريحة الشاعر بالقصيدة التذكارية الآتية، في إبراز مظاهر الذكرى النبوية الكريمة، والاشادة بمواقف سليل بيت النبوة جلالة الملك أدام الله عزه ونصره.

بدت في السماء رموز السـلام ... بمولد أحمد خير الأنـام

وباتت جميع القلوب نشـاوى ... بذكرى رسول الهدى والسـلام

فلست ترى غير من يتغنـى ... بذكر النبي الشفيع الامـام

ولا تسمع الأذن إلا صـلاة ... عليه، بلحن كسجع الحمـام

فكم منشد بات يتلو ثنـاء ... على المصطفى ببديع النظـام

وكم مادح بات يهدى إليـه ... سلاما زكيا بكل انسجـام

وكم عاشق بات من حبـه ... عليه السلام، بدون منـام

يصلي عليه بكل خشـوع ... ويرجو الشفاعة يوم الزحـام

ويذكر في بهجة فضل مــــن   أتى بكتاب رفيع المقــــام

أتى بكتاب كريم مجيـــد   فبدد نوره كل ظـــــلام

أنار السبيل بسنتـــــه   وأحيى القلوب بعذب الكـــلام

وبشر كل الخلائق، مـــا   ثناه عن الهدى زيغ اللئـــام

محا الشرك طورا بدعوتــه   وطورا بطعن القنا والحســـام

فأصبحت الأرض طاهـــرة   وأمست أنوف العدا في الرغـــام

بشير، نذير، رؤوف، رحيـــم   حريص على الخلق، كهف المضـــام

بهي، جميل، حليم، كريـــم   امام الشفاعة، فخر الأنـــام

ه ه ه

نبي الهدى، وعميد النـــدى   ويا سيد المرسلين الكـــرام

أغثني، وكن لي شفيعا غـــدا   وحوضك فاسقني، انه طـــام

عليك من الله ألف صـــلاة   تنور رمسي بين الرجـــام

وألف سلام زكي نـــدي   عليك، من المخلص المستهـــام

ه ه ه

هديت القلوب، انرت العقـــول   بنور اليقين وروح الوئـــام

تركت لنا الدين نورا بهيـــا   يضيء لنا في دياجي الظـــلام

يقوم عليه مليك همـــام   ويحميه صنو الملوك العظـــام

حفيدك، هذا الإمام المفـــدى   امام الأئمة، سبط الكـــرام

وجوه البرايا لطلعتــــه   عنت، ثم حيت بكل احتشـــام

وباتت تغنـــي بأمجـــاده   وتشهد أنه للدين حـــام

هو العربي الكريم الأبـــي   هو العلوي سليل الإمـــام (1)

هو المغربي الزعيم الكمـــي   هو المرتجى للأمور الجســـام

هو العبقري النبيه الذكـــي   هو المصلح الفذ، راعي الذمـــام

هو «الحسن الثاني» المرتجـــى   لخير البلاد، ونيل المـــرام

---

1) سليل : من السلالة، الولد، صفوة الشيء وخلاصته، يقال هو سليل الكرام، وهو من سلالة طيبة. - والمراد بالإمام هنا : الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

له في سبيل الحمى خدمـــات   كشمس تبدت بدون غمـــام

له في سبيل النمو أيـــاد   تفوق ندى «حاتم» ذي الخيـام (2)

فللدين في عصره حرمـــة   بها توج الله عصر الإمـــام

وللعلم والفن في عهـــده   مقام رفيع، وأي مقـــام

تقي، نقي، عليه وقـــار   وطالعه في سما السعد ســـام

جواد كريم، وشهم نبيـــل   فأنعم به من مليك همـــام

ه ه ه

امولاى فضلك حقا عظيـــم   علينا، وبرك كالغيث هـــام

فأين حللت يحل الهنـــا   وتغزو السعادة كل الأنـــام

أتيت لتطوان في ليلـــة   تألقت فيها كبدر التمـــام

وكنت وكانت على موعـــد   لاحياء ذكرى رسول الســـلام

فباتت عروسا، وأضحت عروســا   تهيم بحبك أي هيـــام

فتطوان دانت لدولتكـــم   بكل ولاء وكل احتـــرام

وتطوان حصن لأسرتكـــم   على العهد شدت بكل اعتصـام (3)

فكانت لثورتكم موئـــلا   وصدرا رحيبا لكل محـــام

فما بدلت قيد أنملـــة   وما دنست وجهها بانفصـــام

وما انحرفت عن سبيل الهـــدى   وما نقضت بيعة للإمـــام

ولكنها استمسكت بالـــذى   هو الحق والعدل يوم الخصـــام

وقادت نضالا جريئا عنيفـــا   وسحت على الخصم شر انتقـــام

وآوت، وبرت بمن صدقـــوا   بما عاهدوا من رجال عظـــام

ولست أبوح بسر، ومـــا   أريد افتخارا، ونظم كـــلام

ولكنني قد ألفت النضـــال   فصفته عقدا بهي النظـــام

واجملت موقف تطوانكـــم   فقمت بواجبي خير قيـــام

---

2) حاتم : هو حاتم الطائي العربي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم، توفي سنة 578.

3) هذا البيت وما بعده اشارة إلى موقف تطوان التاريخي الملتزم بعد أحداث 20 غشت 1953 وتمسكها بالمشروعية الممثلة في المغفور له جلالة الملك محمد الخامس، ونضالها المستميت من أجل انتصار ثورة الملك والشعب، وتحقيق الإستقلال والوحدة.

إذا الحر قام بواجبــــــــه   فليس على الحر أي مـــــلام
نعم، قد ذهلت فغابــت قــواف   ولكن تداركت لحن الكـــلام (4)
فتطوان «أم الوفاء» فمـــــا   تخلت، وأوفت بكل التـــزام
فطوبي لها بزيارتكـــــم   ونيل رضاكم وكل اهتمـــام

٥ ٥ ٥

امولای إن البلاد استغاثـــت   وأنت الملا ذ للمستضـــام
فحرر، ودم منفذا للبــــلاد   وللشعب تخطو به للأمـــام
وتكبت أعداءه في الـــــورى   وتبعث أمجاده في الأنـــام
وللوحدة الكبرى دمت أمينـــا   ودمت جبورا لكل اقتســـام
فوحدتنا من شمال البـــــلاد   لصحرائها، لأعز مـــرام (5)
ووحدتنا سر عزتنـــــا   وقوتنا، وشفاء السقـــام
امولاي نحن جنود ابـــــاة   نطيع الإله، وأمر الإمـــام
ونحن على العهد في كل حيـــن   ونحن لعرشك أقوى قـــوام
فعش يا إمام البلاد المفـــدى   تقود البلاد لشط الســـلام
وزادك ربك عزا ومجـــدا   وللمغرب الحر أبقاك حـــام
سلامي عليكم سلاما زكيـــا   تضوع كالطيب في ذا المقـــام
وقدمت عطر الثناء عليكـــم   وشكرى لكم هو مسك الختـــام

محمد العربي الشاوش

---

4) لحن الكلام، أو لحن الخطاب : تعبيرا أصولي يقصد به مساواة المفهوم للمنطوق.

5) اسجل امام هذا البيت بكل اعتزاز وفخر تحرير الصحراء المغربية بحكمة وقيادة صاحب الجلالة نصره الله، طبقا لاتفاقية مدريد المؤرخة في 1975.11.14 بعد انطلاقة المسيرة الخضراء المظفرة.

من تاريخ الدولة العلوية في مطلع القرن العشرين :

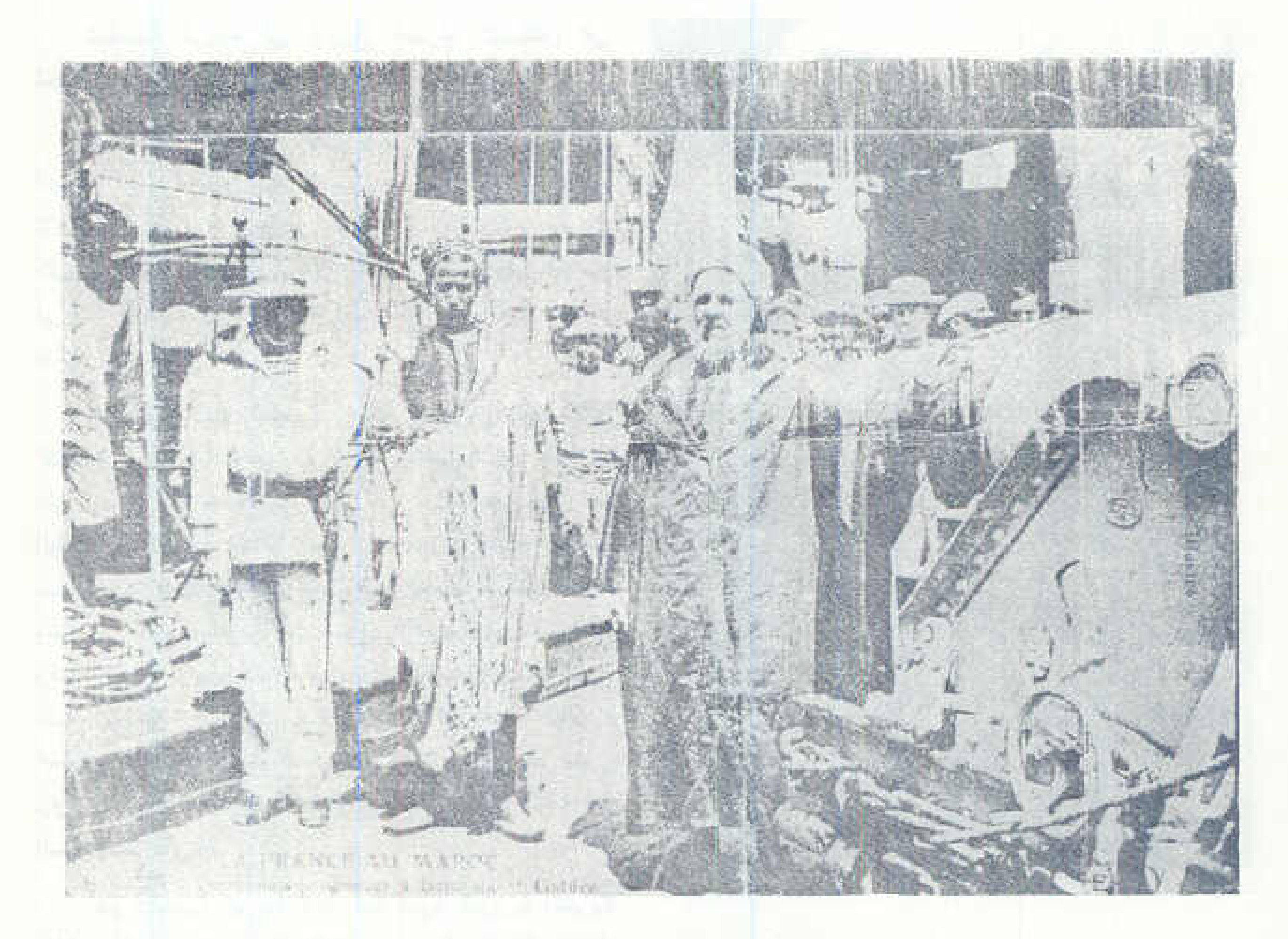
جلالة الملك المولى عبد العزيز

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

بويع بالملك عقب وفاة والده المقدس ، الملك الحسن الأول رحمه الله عام 1311 وتمت بيعته رغم سنه الباكر. وأصبح حاجب مولاي الحسن الداهية الخبير «أبا احماد أحمد بن موسى» هو المسير للمملكة، والمتصرف في شؤون الدولة بدهائه ومعرفته واستقامته. وقد انتقم من خصومه السياسيين ، أولاد الجامعي أخوال مولاي الحسن. تمشت الدولة إبان وجوده في طريق جد قوي ومستقيم. وبعد وفاته تحمل جلالة الملك عبد العزيز جميع شؤون الدولة بنفسه. وعجز عن وجود الصدق والوفاء، وكثر حوله الوشاة والسعاة. وقامت قيامة الثورات، أهمها ، **ثورة ابى حمارة، الجيلالي اليسفى** الزرهوني. المدفوع من طرف فرنسا. فتحمل في سبيل وقفها والقضاء عليها العدد الكثير من الأموال والرجال. واستغرقت رقبة المغرب في الديون الأجنبية. وذهب الكل دون جدوى. وضاقت به السبل بكثرة دسائس الأجانب ضده فأشير عليه بتأسيس ، **مجلس الأعيان** من خيرة رجالات الأمة المغربية ليستعين بهم على الإصلاح، ولكن الظروف المعاكسة تبتعد به عن الغاية. حتى أصبح يقاسي الأمرين في شؤون الدولة **التخريب والتجسيس والحمايات** تحيط به من كل جانب. رغم أخذه لأهل المشورة من رجالات العلم والدين. **ولكن الصيف ضيعت اللبن** وأخيرا تفاقمت الأحداث. وتوالت الإنتكاسات. ودبرت المؤامرات لقلب الحكم في ظروف صعبة. ثم احتلال وجدة ثم احتلال الدار البيضاء. تفاقم الحمايات الدسائس. المؤامرات. أمام هذا الجو المكهرب حصل تقابل حربي مع أخيه المولى عبد الحفيظ. بوادي أم الربيع انكسرت دولته بتاريخ رجب 1326 هـ فتنازل وفر بنفسه للخارج ثم استقر به المقام بعد في طنجة فعاش فيها حياة النسك والفضل إلى أن وافاه الأجل المحتوم بطنجة بتاريخ 1362 هـ موافق 1943 ونقل للدفن بضريح جده مولاي عبد الله بفاس بجانب أخويه المولى يوسف والمولى عبد الحفيظ رحم الله الجميع

الوزير الخطير الشهير ابا احماد أحمد بن موسى

ولد سنة 1257هـ بمراكش. وقرأ بمراكش وفاس وتولى مهنة الحجابة في عهد السلطان الجليل ، الحسن الأول وعقب وفاته أصبح الوزير الأول صاحب الكلمة النافذة. وهو الذي قدم المولى عبد العزيز لسلطنة المغرب رغم سنه الباكر واحاطه بكل أنواع الرعاية. وأخذ زمام الحكم بيده، وصارت الدولة المغربية في أيامه سيرا حسنا ومنتظما لما كان يتمتع به من معرفة ودهاء وحزم وعزم ودراية. بشؤون المغرب والدولة. ويد حديدية تضرب كل من يتعرض لها فكانت أيام حكمه كلها أمن وطمأنينة وسلوك حميد. وحفاظا على جهاز الدولة. وحرمة لعرشها وملكها إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم 17 محرم الحرام سنة 1318هـ موافق 13 مايو 1900 ودفن بمراكش حينئذ استقل السلطان مولاي عبد العزيز بالحكم. ودخلت الوزارات والأدارات والعمالات في المساومة والألعاب. والدسائس. والرشى. وقلب الحقائق. واندست اليد



باشا الدار البيضاء بوبكر ابن بوزيد على ظهر الباخرة أسيرا

الأجنبية، وراء بعض موظفيه. كل هذه العوامل الهدامة هيأت الجو للانقلاب ضده، فحصل ما حصل، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

العلامة عبد الله بنخضراء قاضي القضاة أي وزير العدل في العهد العزيزي ومستشار أمين

ولد السيد عبد الله بمدينة سلا عام 1260، تعلم القرآن ودرس العلم بمسقط رأسه، ولما اشتد عضده تصدر لتدريس العلم والقيام بالفتوى، عين بعدة مراسي مغربية، ثم عين قاضيا بمراكش في عهد الحسن الأول فأظهر من الحزم والإستقامة ما جعله محبوبا ومحترما.

وفي عام 1316 عينه جلالة السلطان مولاي عبد العزيز قاضي القضاة بفاس وفي عهده **تكون مجلس الأعيان** فكان لهذه الشخصية نصيب وافر في الترتيب والتنظيم للمجلس. كما كان مستشارا أمينا لجلالة السلطان لما يتوفر عليه من أفكار ناضجة، وحزم وعزم، يشتغل بالقضاء وبالتدريس بكلية القرويين حيث حاز إعجاب علمائها بمقدرته وكفاءته. وكان له نصيب وافر في الإتصال بالسياسي الخبير **الجندي المجهول الداهية الحاج علي زنيبر السلوي** الذي قضى ثلاثين سنة ونيفا بمصر القاهرة، وحضر للمغرب وسكن بفاس. وكان على اتصال مباشر بجلالة السلطان بواسطة القاضي بنخضراء وراء الستار. توفي السيد بنخضراء 1324 هـ ودفن بالزاوية الناصرية بفاس.

شخصية فريدة في تاريخ المغرب المستقل هي شخصية الحاج علي زنيبر السلوي.

عرفت هذه الشخصية بالحزم والعزم والإطلاع الواسع على الشؤون السياسية لأنه استقر بمصر فوق الثلاثين سنة وعاش الأحداث التي كانت تروج في الخلافة الإسلامية والأمة العربية. كان على نصيب وافر من المعرفة بشؤون العالم والتطور الحاصل في ذلك العهد، الذي كانت أوربا تعمل على تقسيم العالم وتوزيعه غنائم بينها.

ومن غريب هذه الشخصية رجوعها للوطن في الوقت الذي كثر فيه الانذلال والتلاعب ضد الدولة، ومؤامرات دول الإستعمار على تقسيمه وتوزيعه كغنيمة. حضر هذا السيد للمغرب في هذا الوقت الحالك وقدم لجلالة المولى عبد العزيز نصائحه الثمينة، مسودة تحت عنوان **برنامج للبرلمان بالمغرب لتستقر** أحواله وتقيه من الشرور، وتقرير حول اصلاح **الإقتصاد في** ذلك العهد وكلتا الوثيقتين توجدان نسخ منها بالخزانة الصبيحية الكائنة خارج باب بوحاجة، كما ترك انتاجا أدبيا هاما تحت عنوان : **منتخبات المشتاق، فيلم تحت عدد 1093** وكتاب تحت عنوان **روح الأشواق تحت عدد 1094** وكلاهما بالخزانة العامة قسم المخطوطات بالرباط.

هذه الشخصية الفريدة كانت تمد الدولة العزيزية المغربية بالنصح والبرامج والوسائل الفعالة للخروج من الورطة ولكن القضاء والقدر لا يرحمان. توفي هذا السيد إلى رحمة الله وواسع فضله ليلة وصوله لأسرته بـلا مسقط رأسه حيث نادته التربة والمقر، وما تدري نفس بأي أرض تموت.

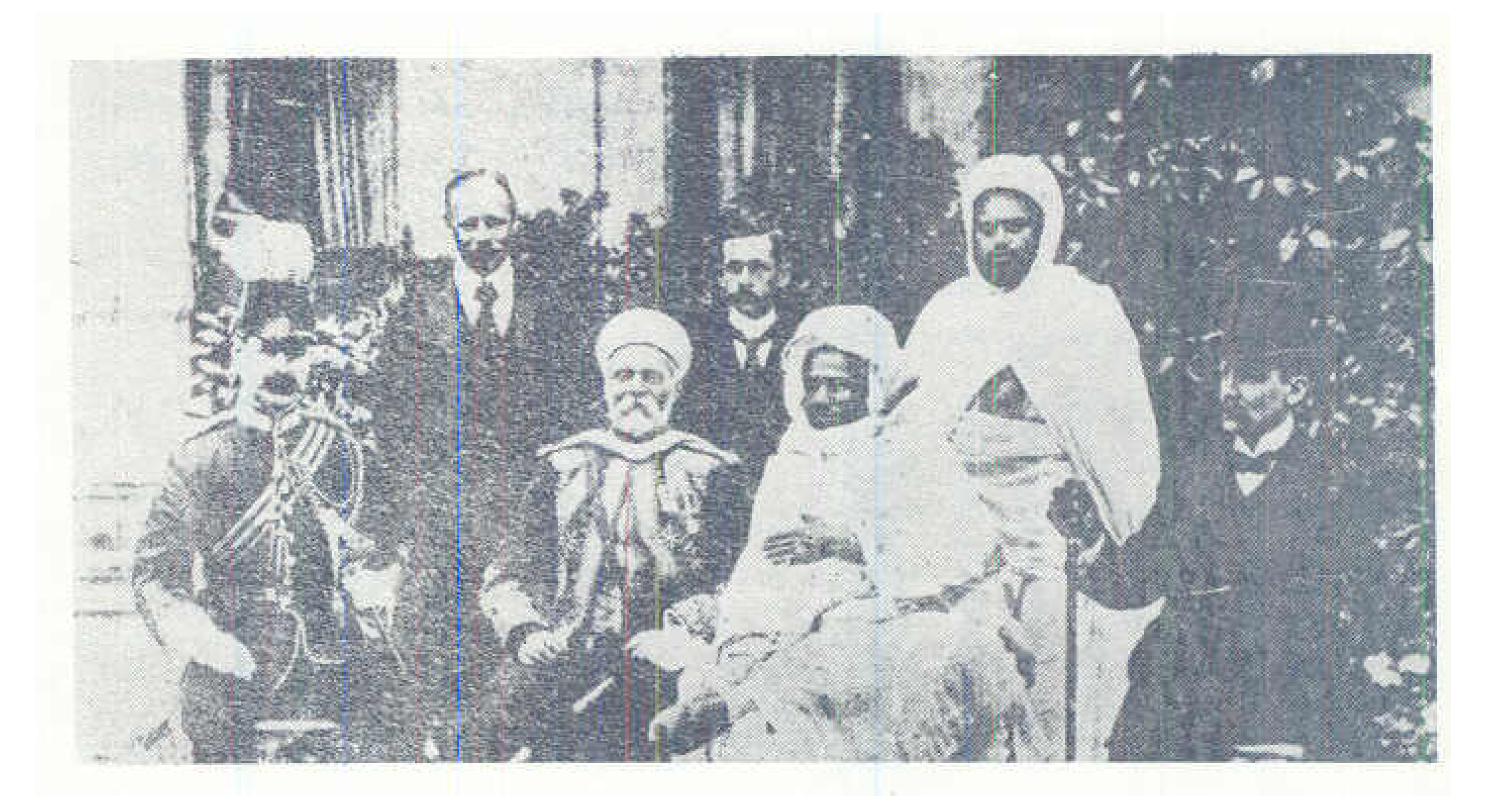
رسم الجنرال موانيي يستقل الملك عبد العزيز بعد انهزامه

بعد انهزام المولى عبد العزيز في المقابلة مع أخيه عبد الحفيظ، بوادي أم الربيع، وهو في طريق الرجوع إلى البيضاء متنازلا على الملك لأخيه عبد الحفيظ، لأن جيشه انهزم واقتنع بالتنازل، جاء دور **الجنرال موانيي الفرنسي المعروف** فتعرض لجلالته، وعرض عليه مساعدة دولته إذا أذن بذلك. ولكن جلالة السلطان عبد العزيز اقفل الباب في وجهه، وتعرف على كيد المستعمرين، وسلم بالأمر الواقع وابتعد عن التطاحن بين جيشين مغربيين، مسلمين، وأخوين حبيبين عزيزين. ورجع الجنرال **بخفي حنين.**



استقبال الامبراطور غليوم الثاني بطنجة

1 الخليفة السلطان مولاي عبد المالك بن عبدالرحمن ـ 2 السيد أحمد بن السواز خليفة الوزير الصدر ـ 3 مولاي ادريس البوكيلي خليفة وزير الخارجية ـ 5 باشا طنجة حمزة بن هيمة الاسفي ـ 6 السيد عبد الله بن سعيد السلاوي ـ 7 السيد الحاج أحمد الطريس خليفة النائب بطنجة ـ 8 الباشا عبد الكريم الشرگي ـ 9 سيدي العربي الناصري ـ 10 السيد الطالب معنين ـ 11 سيدي محمد القادري ـ 12 السيد أحمد جقائف ـ 13 الحاج عبد السلام بن عبد الصادق ـ 14 السيد محمد غنام ـ 15 السيد اللبادي ـ 16 السيد العربي ملين.



سفارة وزير الحربية السيد المهدي المنبهي لانكلترا ـ الجلوس من اليمين المنبهي المذكور وعن يمينه قائد بعثات الحرابه الانجليز القائد مكلين الواقف من اليمين مستشار السفارة باشا الرباط الحالي السيد عبد الرحمان بركاش

سفارة الوزير المنبهي إلى لندرة.

ابان المعمعة ، وثورة أبي حمارة، توجه السيد المنبهي فمثل المخزن الشريف وبجانبه الأنگليزي القائد **ماكلين** المحرض للجيش المغربي. كان هذا السيد على اتصال وثيق بالسفارة، وله تدخل كبير في شؤون المغرب بواسطة المنبهي الذي لا يخفى ما حصل للمغرب من خراب ودمار بسبب سياسته المعوجة، فقد غلب وانكسر في مرحلتين ضد ثورة أبي حمارة وأخيرا ذهب للحجاز في زعمه، وارتبط بالحماية الأنجليزية، وهي عربون وفائه وإخلاصه. والرسم الفوتوغرافي يصوره جالسا بجانبه الواقف وراءه باشا الرباط سابقا السيد عبد الرحمان بركاش ملحق بالسفارة.

الأمين المرتضى الشريف مولاي أحمد الصابونجي.

مولاي أحمد الصابونجي من أسرة شريفة ومجيدة مشهور بالوطنية وبالصدق والأمانة تولى عدة مناصب بالمراسي المغربية. وكلف بشؤون السكة المغربية، في عهد العزيزي، وعين عضوا في مجلس الأعيان ممثلا لمدينة سلا في العهد العزيزي وساهم مساهمة فعالة في الحركة الوطنية أيام الحماية وعرف بالمواقف المشرفة، وعين عضوا بارزا في عريضة الإحتجاج ضد القضية البربرية.

وتوفي إلى رحمة الله بتاريخ 23 حجة الحرام عام 1352هـ ودفن بمدرسته المحبسة على التعليم الحربي درب لعلو بمدينة سلا

الوطني الشهم القائد النائب بطنجة والسفير باسبانيا السيد عبد الله بنسعيد السلوى.

ولد عبد الله بنسعيد بمدينة سلا 1282 هـ من أبوين كريمين والده القائد السفير الحاج محمد بنسعيد، والدته الفاضلة من أسرة آل معنينو تولى قيادة مدينة سلا ثم الأمانة بعدة مراسى مغربية ثم النيابة عن الطريس بطنجة دار النيابة. وفي عهد نيابته استقبل ملك ألمانيا غليوم الثاني في زيارته لطنجة عام 1905 الزيارة التاريخية، التي كان لتصريحاته شأن عظيم ودوي اهتزت له دوائر فرنسا واسبانيا، ولكن المستعمر هو هو، بعد حصوله على قسطه في الغنيمة تنازل وتنكر لتلك التصريحات، كما تولى السيد عبد الله بنسعيد السفارة لبلاده بإسبانيا الجارة فكان مثال السياسي الماهر. حياته كلها كفاح ونضال ومكرمات في سبيل الوطن والعرش وامتحن شديد الامتحان حيث نفى من لدن فرنسا مرتين الأولى في الحرب الكبرى 1914 للجديدة والثانية سنة 1920 لمدينة وجدة، وتقدمت الوشاية به لملك المغرب من لدن دولة فرنسا

وانكلترا ليتزع من المنصب لأنه يقف في وجه أطماعهم الخسيسة وتوفي إلى رحمة الله في 24 صفر 1342هـ ودفن بمرقده الأخير بمدرسة درب لعلو الحرة بمدينة سلا.

الباشا أبو بكر مبوزيه

الرجل من الأحرار في الدولة العزيزية، وقف وقفة الشهامة في معركة احتلال الدار البيضاء من طرف الفرنسيين والاسبانيين

ولقد حاولت الحصول منه بالإعتراف، بأن المغاربة هم الذين بدأوا الهجوم والقتل، ولكنه امتنع وكذب هذا القول، ووقف في وجه اعداء أمته فلم يستسلم ولم يطاوع ولم يقدم لهم مفاتيح دار البارود والمرسى وأماكن الدولة فأخذ اسيرا على ظهر باخرة فرنسية وبقي تحت الحجر والحجز قرابة سنة ثم اطلق سراحه وبقي يعيش عيشه حتى وافاه الأجل المحتوم ودفن بمدينة سلا.

سـلا ج أحمد معنينو



إنه الفرد في المفاخر

للأستاذ عبد الكريم التواتي

هلت البشرى يوم عيدك عـــادا   ودنانا تسربلت أعيـــــادا
وتلا الكون آية الحمد إكبـــا   را، وأزجى الثنـــاء والأورادا
والثرى ازينت سرورا، وتاهـــت   زخرفا يخلب الحجى والفـــؤادا
وتنادت ملائك الله ، يا بشــــ   ـــرى البرايا، العيد هل وعـــادا
عيد من تبهج الحياة بذكـــرا   ه، وتختال فرحة واعتـــدادا
المثنى الذي أياديه جلـــت   أن يحيط الورى لها تمـــدادا
عيدك الأبهى، يامثنى، تســـرا   نيم حنايا شعب بك اليوم ســـادا
قد وعاها تمائما وتبنـــا   ها شعارات صادقات شهـــادا (1)
ومدى الدهر قد تلاها هتافـــا   ت، وكانت رمزا وكانت عتـــادا
لقفتها الأصدا، وهامت بهـــا الأر   ض، وماست مواكبا تتهـــادى
بالربيع الضحوك يفتر بشـــرى   بالمثنى، بعيده يوم عـــادا
المغاني تهتز، تعرب عن بهجـــ   ـــة شعب من فرحة العيد مـــادا (2)
والدوالي ترنحت، والبراعيـــ   ـــم انتشاء تأودت أمـــلادا (3)

1) جمع شهد ضم فسكون أو فتح فسكون العسل ما دام لم يعصر من شمعه.
2) ماد الرجل يميد = تبختر.
3) جمع الملد بفتحين = الشباب والنعمة والإهتزاز.

والحساسين ما أحيلى أغانيـــــــــ ـــها وأحلى ترجيعها استشهـــــادا

النهير الوسنان طارحها الشـــــو ق وأزجى لها الخريـــــــر ودادا

والعذارى مرجعات زغاريـــــــــ ـــد تناهت عذوبة وامتـــــدادا

والوجود الجميل يرقص نشـــوا ن يغني، يرجع الانشـــــادا

آسرته مباهج العيد فاهتـــــــــ ـــز اختيالا ونشوة واعتـــــدادا

وأسر الحياة لحنا تناغـــــــــى والمثنى، فأسكر الآمـــــادا (4)

فإذا الكون أغنيات قصيـــــــــد كن للكون عقده والقـــــلادا

بالمثنى هتافة تتباهـــــــــى وبأمجاد عرشه تتهـــــــادى

ثاني اثنين بارك الله ما قـــــد أثلاه وأسا وأشـــــــادا

أثلا المجد مشمخرا وشـــــادا للمعالي الصروح والأطـــــوادا

وأنارا للشعب سبل هـــــــداه وأضاءا له السوى والرشـــــــادا

فمضى الشعب يقتفي في ثبـــــات ويقين ما خطـــــــا وأرادا

يتحدى كل الصعاب، فمـــا يعنـــ ـــو لصعب، ولا الردى يتفـــــادى

وإذا النفس باليقين تحلـــــــت لم يرعها العناء مهما تمـــــادى

وقضى ربك اللطيف فوقـــــــى وأزاح الأغلال والأصفـــــــادا

وأفاض النعماء، والله فضـــــــل يغمر الكون فضله والعبـــــادا

فإذا الحجر والحماية إفـــــــك وأساطير أفندت إفنـــــــادا

وإذا المغرب المكبل حـــــــر مستقل يحطم الأقيـــــــادا

وإذا الخامس المقدس والثـــــا ني المفدى قد أرغما الأوغـــــادا

وأنالا الأوطان ما كان يرجـــــى وأزالا عنها الضنى والحـــــدادا

٥ ٥ ٥

يامثناي - والأحاديث شتـــــى في معانيك أستلذ المعـــــادا

فيك، يامن به المحامد تزهـــــو وبه المجد يستظل اطـــــرادا

هم شعري أن يراود معنـــــا ك ليسمو، فعيل شعري، وآدا (5)

---

4) جمع الأمد = الغاية والمنتهى.

5) اده يؤوده = أضنكه وثقل عليه.

وتملاك والها، وتمنــــــــــــى لو تلقى من السماء إمـــــــدادا

فاستجار القضاء آنا، وآنـــــــــا استخار الأقطاب والأوتـــــــادا

وإذا الشعر، يامثنى عيــــــــــي وإذا القول ليس يوفي المـــــرادا

أي شعر أخطه فيك يامــــــــــن يتبارى فيه الثنا إحمـــــــــــادا

هل لأمجاد عرشه التم حـــــــد يتقصى وقد سما فاستـــــــزادا ؟

شهد الله والملائك والخلـــــــــــق جميعا وأكدوا الإشهــــــادا

انه الفرد في المفاخر ما شـــــا موا قرينا له ولا أنــــــــدادا

غير أني والله يشهد حاولـــــــــت وأجهدت طاقتي إجهـــــادا

يامثناي، والمآثر كثـــــــــــر في نواديك، واكبتك اعتيــــــادا

هي عشر من السنين وأخـــــرى تتتالى نعماؤكم إرغـــــــادا

تتوالى عشرين عاما، وما تنفـــــــك تزجي طرائفا وتـــــــلادا

لم يكل العطاء يوما ولم ينضـــــب معين ولا استقل ارتيـــــادا

إنما ظل ثره الغيث مـــــــدرا را، وسيبا يهمي وسحبا عهـــــادا

الصحارى تفجرت بأياديـــــــــه عيونا واخضوضرت أنجــــادا

وسرى فيظها نسيما رخــــــاء وأوارد الرمال بات مهـــــــادا

وعدا الظل وارفا وزلال المـــــــاء دفاقا ينعش الــــــوردا

وغدا الجدب مخصبا ومحال العيـــــش ممراعا أنعمـــا وورادا (6)

واستتب الرخاء واخضلت الدنيـــــا ونادت مرابع النـــــاس زادا

واطمأنت واستروحت أرج الأمـــــن المندى وزغردت إسعـــادا

وتهادى الدعاء أبناؤها الشـــــــم ونادوا ، عاش المثنى وســـادا

جدف المغرضون أن الصحــــارى لسوانا، كلا، ولا، آبــــــادا

هي صحراؤنا رمالا وشطـــــــا نا ورثنا سهولها والوهـــــادا

ليس فيها لغيرنا، أبدا، حـــــــق ولم تعرف غيرنا وفـــــادا

وستبقى ملكا لنا أبد الدهـــــــر، ويوصي الأبناء بها، الأحفـادا

هي منا ونحن منها أصـــــولا وفروعا سياسة واقتصــــــادا

---

6) الوراد بكسر الواو جمع الورد بفتحها - الزعفران.

وحدتنا الأعراق والدين والضـــــــا   د، وما سال من دمانا فصـــــــادا

واسألوا بحرها الخضم وتربـــــــا   فلقد كانا للجدود مهـــــــادا

واسألوا جوها وهل عطرتـــــــه   غير أنفاسنا وكن بـــــــرادا (7)

شهد الله إذ نفدى ثراهـــــــا   ونريق الدمائنى وفـــــــرادى

ونصد العدوان عنها ونرمـــــــي   بالدواهي من رام فيها فســـــــادا

أننا لا نريد حوتا وفوسفـــــــا   طا ولكن نحمي الحمى والبـــــــلادا

قسما برة وعهدا قطعنـــــــا   ه بأن تفدى أو نموت جهـــــــادا

جيشنا الباسل المعبأ جيـــــــش   يتحدى العدا ويهوى الجـــــــلادا

ويرى العيش في الهوان انتحـــــــارا   ويرى الموت في الوغى استشهـــــــادا

«أحد» درع و«الزلاقة» تـــــــرس   وأسود «الاراك» كانوا حـــــــدادا (8)

وأرى الشعب، نسوة ورجـــــــالا   يتقفى طريقهم أعـــــــدادا

أنفس بالفدا تفـــــــور وأرواح   تناجي أقدارها استعـــــــدادا

ه ه ه

ايه يا أوحد المناقب يامـــــــن   أوحدته أوطاننا إيحـــــــادا (9)

قد أبى الله، يا مثنـــــــاي إلا   أن تكون الإصدار والإيـــــــرادا

فاصطفاك القضاء للدين والدنـــــــ   ـيا وللقدس رائدا ومـــــــرادا

ولدنيا الإسلام خارك، فاعتـــــــ   ـز جلالا وحقق الأمجـــــــادا

وإذا سخر الإله سعيـــــــدا   لأناس حباهم الإسعـــــــادا

واهتدت أمة الحنيفة فاختـــــــا   رتك، طوعا، أمينها المرتـــــــادا

جمعوا أمرهم عليك، وقد كنـــــــ   ـت حريا بذاك لا منـــــــآدا

آمن القوم أنك الخير، محض الـــــــ   ـخير فاختاروا ما ترى إرشـــــــاد

أسلسوا الأمر والزمام وأولـــــــو   ك - اقتدارا - مصيرهم والريـــــــادا

فامض بالقوم راشدا، هم تواصـــــــوا   أن سيقفون رأيك الوقـــــــادا

---

7) البراد بضم الباء = البارد نقيض الحار.

8) الحداد بضم الحاء = ذو الحدة = يقال رجل حداد وسكين حداد أي قاطعة.

9) أوحده إيحادا = اعتده وحيد زمانه.

أمة المغرب المفدى هنيئـــــــا للمثنى ما حملوه، وقـــــــادا
رشحوه أن كان أفضل من طـــا ف ولبى وناجى ربا ونــــادى
يامثناي، مسلمو الشرق والغـــر ب جميعا، قد بايعوك اعتقـــادا
حملوا شعبك الأمانة واختـــا روك للدين قيما وعمـــادا
مسجد القدس يرتجي منك إنقـــا ذا وبعثا ويرتجي إنجـــادا
وبنو العار من يهود عتوا فيـــ ـه ضلالا وأكثروا الإفســـادا
هدموا البيت عابثين خرابـــا وبه النار أوقدوا إيقـــادا
وغلوا في مكرهم، أعلنوهـــا قدس أقداسهم وراموا العنـــادا (10)
حسبوا أننا ننـام علـى ضيـــ ـم، حزانى ونستلذ الرقـــادا
مكروا مكرهم، وكنا رجومـــا شهبا رصدا، وكنا قـــدادا (11)
ويلهم هل نسوا يمين المثنـــى أن سيصلي بها اليهود نكـــادا
وسيعلو بها الأذان ويتلـــى مصحف الله عاليا آمـــادا
والمثنى إذا يعاهد يوفـــي وإذا قال، قال قولا ســـدادا
والإله الكريم عون وأيـــد وسيولي عباده إســـدادا
سنصلي في القدس رغم يهـــود وسنتلو القـــرآن والأورادا
وسيجلى اليهود عنها وتجتـــ ـث المخازي منا بتا وقتـــادا
أيها المجتبى المثنى تحيـــا ت أبي في مدحكم يتمـــادى
وبأمجاد عرشكم يتغنـــى في ولاء ويصطفيها اعتـــدادا
يكلأ الله سعيكم وخطاكـــم ويفيض التوفيق والإرشـــادا
وبشبل إلى النبوة ينمـــى قد أقر العيونَ والأكبـــادا
ولي العهد، يا محمد زكيـــ ـت وأبقيت للمثنى عمـــادا
والرشيد السعيد يحفظه اللـــ ـه ويولي أيامه إسعـــادا

فـــاس : عبد الكريم التواتـــي

---

10) قدس أقداسهم = عاصمة لهم.
11) القداد = وجع البطن.

أولئك يسارعون في الخيرات

للأستاذ محمد العربي الزكاري

تاريخ المغرب - ولله الحمد - مشرق وزاهر منذ القدم، فقد واكب الحضارات البشرية مواكبة الند للند، وساهم مساهمة فعالة وعملية في كل ماينفع الإنسانية ويرفع من شأنها على مر العصور والأجيال.

وإن استعرضنا مراحل التاريخ القديم والحديث نجد شعبنا في طليعة الشعوب القلائل التي قدمت لهذه الدنيا خدمات جلى في ميادين الثقافة والعرفان، وفي مجال السياسة والاجتماع، وفي ساحة الوغى دفاعا عن القيم الحضارية وحماية النفس.

ولعل السر في هذا التوفيق الإلهي يعود إلى ما يتحلى به شعبنا من خصال حميدة تتمثل فيما حباه به الله تعالى من طهارة القلب، وصفاء السريرة، وعزة النفس، وإباء الضيم، وعشق للحرية، وهيام بالفضيلة، واستماتة في الحفاظ على الاستقرار الداخلي.

فهذه الخصال الرفيعة والمزايا النبيلة والأهداف السامية، كانت وستظل السمات البارزة التي من شأنها أن تجعل من بلدنا قلعة عملاقة وحصنا شامخا في الحفاظ على كيانه، والاستماتة في صيانة وحدته، والرغبة في الاستشهاد لحماية استقلاله.

ولئن تعثر شعبنا في بعض الخطوات، وكبا في قليل من الأشواط، فتلك سنة الحياة بالنسبة للأفراد والشعوب والدول والمجتمعات، **«سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا»**.

وعندي أن هذه الكبوات والعثرات ليست إلا فرصة لهذا الشعب الأبي كي يراجع مواقفه من الأحداث التي يمر بها، ويفتح أعينه على الملابسات التي يعايشها، ويدرس نتائج الأوضاع التي تعثر في أوحالها، وامتحانا لا بد من اجتيازه لاختبار صلات عوده وعمق اقتناه بحقه في الحياة الكريمة اللائقة به كشعب لم يعرف عنه أنه قوس ظهره للسياط، أو تساهل في حقوقه ولو في أشد المحن وأصعبها.

هذه هي الصورة الحقيقية والواضحة للشعب المغربي، وهذا هو أصل الإطار المحيط بهذه اللوحة الرائعة من حياة وطننا الحبيب، وهي حقائق يشهد بها التاريخ النزيه والبعيد عن التزوير والتشويه والبهتان.

وما كان لشعبنا أن يحقق رغباته، ويحافظ على مكتسباته، ويصون وحدة ترابه، إلا بتماسكه واستقرار أوضاعه ووحدة اتجاهه، فهي الدعامات التي حافظ بها على كيانه، والركائز القوية والمتينة لهذا التاريخ العريض الذي نفخر به اليوم ونباهي بنصاعته الأمم.

ولكي يحافظ شعبنا على تماسكه، ويستمر سائرا في طريق وحدته، ويصون الاستقرار الذي طبع مراحل مسيرته، أسلم القيادة إلى الملكية النابعة من أرومته، باعتبارها الضمانة الوحيدة التي تستطيع صيانة الوطن وحماية العربي والحفاظ على الوحدة المغربية التي من أجلها نحيا وفي سبيلها نستسهل الصعاب ونتحمل التضحيات ونستبشر بالاستشهاد.

فبتوفيق من الله تعالى، وبفضل الملكية المغربية استطاعت أمتنا أن تواصل مسيرتها في أمن وأمان، ورغم تنوع خطط ملوك العائلات التي تعاقبت على العرش المغربي، واختلاف أسلوبهم في

معالجة بعض الأحداث والمشاكل والجزئيات. فالهدف كان واحدا وموحدا، ويتمثل في الحفاظ على جوهر الإسلام كعقيدة ارتضاها المغاربة عن طواعية واختيار، والدفاع عن وحدة الوطن كواجب شعبي في عنق كل من آلت إليه مقاليد الأمة. ولا عبرة ببعض الهزات التي هي من طبيعة الحياة كما أسلفنا. فالمهم في الأمر أن المغرب واصل مسيرته في ظل ملكيته المغربية القحة، واستطاع بتوفيق الله ومدده وتضحيات ملوكه وكفاح شعبه، أن يصون الكرامة ويحمي العرين، إلى أن آلت المسؤولية إلى الشرفاء العلويين الذين واصلوا السير في النهج القويم والصراط المستقيم إلى اليوم وإلى الأبد إن شاء الله.

ولا مناص من توضيح أن المغرب تعرض لكثير من المؤامرات في عهد ملوكنا العلويين، وعايش هزات داخلية كانت في أغلبها ـ إن لم نقل في كلها ـ هزات مصطنعة عند تحليل أسبابها وخلفياتها إلا أن خيوطها كخيوط العنكبوت لا تظهر في الظلام، ولكن سرعان ما تمزقها فراسة وحزم ملوكنا رحمة الله عليهم.

فبفضل وقوفهم بالمرصاد لتلك المؤامرات، وبحكمتهم وحسن تربيتهم استطاعوا إنقاذ البلاد من النتائج الخطيرة لتلك الهزات العابرة التي كان وراءها دائما وأبدا الطامعون في استعباد الشعوب والمخططون للاستئثار بخيرات الدنيا، كما هو الشأن في وقتنا الحاضر، وإن اختلفت الأساليب وتنوعت المبررات.

وكمثال حي وواضح على صلابة العرش العلوي وإخلاص ملوكنا الأماجد، المواقف البطولية والشجاعة لجلالة محمد الخامس رحمه الله في وجه غلاة المستعمرين، حتى أدى به الحال أن يفضل المنفى على التساهل في حق من حقوق الشعب، وآثر حرية الوطن على راحته وراحة أسرته الشريفة، الأمر الذي اعتبره العالم الحر ـ الحر الحقيقي ـ أكبر تضحية يقدمها ملك لشعبه ووطنه، وبذلك أصبح اسم محمد الخامس يحتل الصدارة مقرونة بالتجلة والاحترام والتعظيم، وتبوأت العائلة العلوية الشريفة مكانها المرموق في سجل التاريخ المعاصر. وشاءت الأقدار الإلهية أن يلتحق هذا الملك العصامي بالرفيق الأعلى بعد أن سجل أنصع صفحات البطولة بمداد الذهب، فتولى الأمانة بعده عضده الأيمن وساعده الأمتن جلالة **الحسن الثاني** بارك الله في عمره.

وهنا يفتح المغرب صفحة تاريخية جديدة ومشرقة، ذلك أن عهد جلالته تميز بتغيير المواقف، وتنوع الصور، وتعدد مظاهر التقدم، وتضخم المسؤوليات، تبعا لما يطفو على الساحة الإقليمية والافريقية والعربية والإسلامية والدولية من مشاكل متشابكة ومعقدة، كان لها أمير المؤمنين بالمرصاد، وعالجها ـ ولا يزال ـ بما منحه الله من حصافة الرأي، وعمق التفكير، وشجاعة نادرة، وعزيمة فولاذية، ورغبة واسعة وعريضة في إصلاح ذات البين وإحقاق الحق أينما كان وحيثما ظهر.

ومهما حاولنا تحديد مجالات العمل اليومي في الحقل الداخلي، ورغم ما كتب ويكتب عن مواقف **جلالة ملكنا** المفدى عن الأساليب التي يعالج بها ما يطفو على الساحة، فستبقى مقصرين في توضيح الصورة لكبر حجمها وضخامة الجهود المبذولة في هذه الحقول المترامية الأطراف الواسعة الأكناف، ولكن الذي نركز عليه هو أن المغرب خطا خطوات رائدة وعملاقة في ميدان الرقي بفضل السياسة العمرانية التي ينتهجها جلالة **الحسن الثاني**، وبحكمته وبعد نظره في معالجة المشاكل المعاشة بالنسبة للافريقيين والعرب والمسلمين والإنسانية برمتها، وستظل منجزاته الداخلية ومواقفه الخارجية الهالة المشرقة التي تحيط بهذه الشخصية الفذة التي تنطبق عليها الآية الكريمة **«أولئك يسارعون في الخيرات، وهم لها سابقون»** وكفى بها قلادة توشح هذه المجهودات الضخمة في الداخل والخارج.

من هذه المنطلقات وتلك، يستمد الشعب المغربي رغبته العارمة في تمجيد عرشه الخالد، ومنها مجتمعة ومتفرقة تندفع الأمة لتخليد هذه الذكرى الغالية، وبذلك تترجم عن الوشائج التي تشدها بالعرش وتربطها بقائدها كتعبير أعمق وأصدق عن الوفاء والولاء الدائمين لعرش تعتبره الضمانة الكبرى للاستقرار، ولملك تبنى البعث الإسلامي وعاهد الله على مواصلة مسيرة التقدم في ظل الأصالة الإسلامية والوقوف بشجاعة المومن في وجه دعاة الفرقة وخصوم الوحدة المغربية.

فهنيئا لأمير المؤمنين بعيد عرشه المجيد، ومرحى لأمتنا بعاهل يرعى حقوقها ويصون مكتسباتها، وإلى الأمام تحت مظلة عرشنا الخالد.

الشعر النبوي
في ظل الرعاية الملكية

للأستاذ محمد الحلوي

لم يكن الشعر بعيدا عن المعركة التي خاضها الإسلام، فمنذ إشراقته الأولى أكد حضوره الفعلي وبرز كسلاح أثبت فعاليته وقدرته على توجيه الدعوة وتدعيمها. وقد أحجم النبي في البداية عن الالتجاء إلى الشعر واستخدامه في تبليغ دعوة الله تنزيها لها عن كل ثرثرة وكل لغو يلغو به الشعراء. ولولا أن قريشا حشدت له أقوى شعرائها وولغوا في عرضه وغضوا من رسالته لما أذن لقريشي بالرد على سفهاء قريش بأقصى مايستطيعون. وبدافع من الغيرة والحماس الديني الشريف تجند لفيف من الشعراء للمنافحة والذود عن الرسول وأخرج حسان بن ثابت لسانه وضرب به أرنبة أنفه وهو يقول : والله إن لي لسانا لو أرسلته على صخر لفلقه أو على شجر لحلقه. وتعزز جانب حسان بعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك. وبلغ شعراء الدعوة مائة وعشرين أو يزيدون. وتوهجت الكلمة الشاعرة في آفاق الدعوة فكان وقعها على قريش أشد من وقع السهام في غلس الظلام كما قال الرسول... ويروي التاريخ أكثر من قصة تبرز موقف الرسول من الشعر وتذوقه لمعانيه ندرك ذلك من مقالته للنابغة الجعدي حين وفد عليه وأنشده قصيدته الرائية وبلغ منها قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكورا

فاهتز الرسول لهذا المعنى وقال للشاعر : أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك ! كان النبي مع هذا أعرفَ بقيمة الشعر وخطره وأثره في تاليف القلوب واستبلال الأضغان وكان من أرق الناس قلبا تهزه الخاطرة الشعرية وتثير أريحيته المعاني الذكية . من أجل ذلك لم يستطع اخفاء تأثره من شعر قتيلة بنت النضر - التي قتل أباها إثر غزوة بدر لموقف منه كان يستحق هذه العقوبة - فقالت موجهة الخطاب للرسول :

أمحمد، ولأنت ضن كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فتأثر لشعرها الحزين وقال : لو سمعت هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه ولم أقتله.

على أن شعراء المناضلة لم يحصروا نشاطهم في هذا المجال فلم يتخلوا بحكم قربهم من الرسول عن مدحه وتصوير شمائله في لوحات رائعة كانت تسري في الجزيرة العربية ويتناقلها الرواة فمن مدائح حسان قوله في الدالية

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند

ومن شعر أبي دعبل الجمحي الذي أسلم يوم فتح مكة :

إن السيوف معادن، ونجاره
ذهب، وكل بيوته ضخم

متهلل بنعـم بلا متباعـــد

سيـان منـه الوفـر والعــدم

عقم النساء فما يكون شبيهه

إن النساء بمثله عقــم !

ولم يخف هؤلاء الشعراء فرحتهم الكبرى بانتصار الإسلام فأذاعوا المراثي في مؤتة وبئر معونة وبدر وأحد. وما أرق حسان شاعر الرسول وهو يرثي عمه حمزة حين قدمت بنته أمامة المدينة تسأل عن قبر أبيها الشهيد ومصرعه فيقول :

تسائل عن قرم هجان سميذع

لذى البأس مغوار الصباح جسور

أخي ثقة يهتز للعرف والنـدى

بعيد المدى في النائبات صبور

فقلت لها ان الشهادة راحـة

وغفران رب يا أمام غفـور

وان أباك الخير حمزة فاعلمـي

وزير رسول الله خير وزيـر

وينمو هذا التراث الديني في ظل الإسلام فتغوص جذوره وتمتد فروعه ويتسم بطابع متميز يجد الكثير فيه من المتعة الروحية مالا يجدونه في فنون الشعر وألوانه الأخرى كما يجدون فيه المجال لبث المواجد واستلهام العون والمدد كلما إدلهمت الخطوب، وتراكمت الهموم، وجمحت الأهواء بالنفوس.

وفي فترة من فترات الترف والانحلال الخلقي كان هذا الشعر صرخة استنكار للأوضاع الاجتماعية المتدهورة ومناجاة روحية تتجه إلى السماء، وتتوسل إليها بمن أسرى به إليها.

ولم تخل حقبة من ظهور معارضين نسجوا مدائحهم على غرار من تقدمهم من رجال هذا الفن كان آخرهم البوصيري وشوقي والبارودي.

ومن الخطأ أن نتحدث عن هذا اللون من الشعر في غفلة عن دور الفاطميين الذين كانوا السباقين إلى إقامة المهرجانات للاحتفال بالمولد واستقباله بمظاهر الإجلال والإنفاق عليه بسخاء لا يحد. وفي غمرة هذا النشاط الذي كان على مستوى الدولة والشعب كان الشعراء يتنافسون في تمجيد الحدث العظيم وينشدون فيه روائع مدائحهم العطرة.

وعرف المغرب المسلم ـ على تعاقب الدولة ولما طبع عليه من حب للبيت ـ ازدهارا لهذا الشعر الذي كان مجالا للتنافس وميدانا لإظهار المهارة الأدبية وهكذا فقد نظم المغاربة القصائد الطوال وتفننوا في وصف حبهم وحنينهم إلى قبر الرسول نجد في هؤلاء ابن أبي الخصال الذي عاش في العصر السعدي وكانت له معلقة في نحو الأربعمائة بيت. ولسان الدين ابن الخطيب الذي كان ممن برز في هذا الشعر وكان له فيه أوفر نصيب... وقد نتجاوز فنعد من الشعر ما أبدعه كتاب مغاربة من روائع نثرية بلغت الغاية في الفنية والإبداع ولم يكن ينقصها إلا الوزن والإيقاع. من هذه النماذج الشعرية المنثورة دلائل الخيرات للجزولي وصلاة ابن مشيش التي تعد آية في الروعة ونموذجا أدبيا في منتهى الجمال وشفاء القاضي عياض وكأنما هو قطع من رياض. ومن الواضح أن هذا الشعر تغلغل في الحياة المغربية فأصبح جزءا منها ومظهرا من مظاهر حضارتها، ترتفع الأصوات به في الأعراس والأفراح وتستقبل به الأحياء وتشيع به الأموات وتستدفع به الملمات. وينشد في مجالس الأنس والخلوات. ويرتفع في المساجد على رؤوس الصوامع، وتلتزم به الزوايا فيصبح فيها أورادا مفروضة وأناشيد محفوظة... وتزداد شعبيته بتهافت رجال الملحون الذين وجدوا فيه متسعا للقول ومجالا للإبداع فكانت إضافتهم ضمان استمراريته وأصالته ويجدد التاريخ نفسه اليوم فيحيطه جلالة **الحسن الثاني** بالرعاية التي أحاطه بها أجداده الكرام. ويهيب بوزارة الأوقاف لاثراء الادب المغربي بهذا الشعر الذي أخذ في التقلص نتيجة ضعف الحاسة الدينية التي كانت تغذيه ونتيجة الاتجاهات الشعرية التي طغت وغطت عليه.

ومن من شك في أن احياء هذا اللون من الشعر ضرورة دينية للحفاظ على روابط الحب والصلات التي تربط المسلم بمقدساته ووسيلة لاذكاء الشعور الديني وأشباعه. وتتأكد الحاجة إليه كلما أدركنا هول الفراغ الديني الذي يهدد نفوسنا وطغيان الحياة المادية التي تبعدنا عن منابع الإشعاع الروحي الذي حل مكانه الجدب والظلام. وهذه مأثرة حسنية أخرى تضاف إلى مأثره الجمة وشاهد اثبات على مدى اهتمامه بكل ما يتصل بالإسلام ويقوي من إشعاعه.

غير أن الذي نريده هو أن لا يكون هذا الشعر مجرد احتذاء واجترار. ولا سردا للوقائع والأحداث واستعراضا للشمائل والأخلاق. وإنما نريده أن يكون شعرا لاستجلاء العبرة واستنهاض الهمة وانطلاقة لمسيرة إسلامية جديدة.

محمد الحلوي

أيّها الخالدُ في عُمر الزّمان

للأستاذ علال الهاشمي الخياري

تحل ذكرى عيد العرش الذكرى الوطنية الغالية التي توحي بمعاني الوحدة والجهاد وتربط بين ماض مشرق، وحاضر طموح، واذا بالشعر، في الهامه وايحائه، يغنى بأصدق ما في المشاعر، وأنبل ما في العواطف.

يا نداء الحب ... يا يوم الأماني
أيها الخالد في عمر الزمان
أنت كم عدت بأحلام حسان
وإذا الأطلس بشرى وأغان

٥ = ٥

مثلما شئنا ... فإن الله شاء
أرضنا **بالحسن الثاني** ضياء
وحدة نحن وعزم وإباء
وروابينا حياة ونماء

٥ = ٥

ومضينا نتجدى الزمنا
رائد النهضة يحدو ركبنا
صادق الايمان وضاح السنا
حقق الوحدة والنصر لنا

٥ = ٥

رقـت الصحـراء فـي موكبـه
درة فـي التـاج تـزدان بـه
السنـا الغامـر مـن موكبـه
والأمانـي الغـر مـن مكسبـه

ه = ه

نحـن والمجـد قرينـان معـا
مـن غفـا عـن حقنـا أو ضيعـا
نحـن نسقيـه المنايـا جرعـا
ان أبـى أن يرعـوي أو يسمعـا

ه = ه

عانقـي المجـد ... بـلادي ... واسعـدي
وابسمـي اليـوم لأفـراح الغـد
أنـت نبـع للعـلا والسـؤدد
ملجـأ الحـر، وحتـف المعتـدى

ه = ه

يـا ربـى القـدس، ويـا مسرى النبـي
أنـت فـي العليـاء أسنـى كوكـب
ذكرينـا بالجهـاد العربـي
لـن تـري فينـا سـوى حـر أبـي

ه = ه

يسـأل النـاس لـم المغـرب يسمـو ؟
ولـم الامـال فـي ظلـك تنمـو ؟
أنـت يـا مـن عرشـه عـدل وحلـم
ومسيـرات، وانمـاء، وعلـم

ه = ه

يـا سنـا الفجـر المضـيء الغامـر
يـا هـدي الركـب المجـد السائـر
هـذه أفـراح عهـد زاهـر
وشـذى زهـر الربيـع العاطـر

علال الهاشمي الخياري

من أعلام المغرب في الجنوب :



للأستاذ أحمد يكن البلعمشي

بإشراق طالع الذكرى الحادية والعشرين الغراء لجلوس موحد البلاد من البوغاز إلى الصحراء وقائدها السلطان الأعظم مولانا أمير المومنين حامي حمى الملة والوطن والدين، والذائد عن حياض المسلمين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده بالسبع المثاني والقرآن الكريم.

وانطلاقا من ماضي المغرب الإسلامي والحضاري المجيد وعبر حاضره الثقافي والوحدوي الأمجد، أقدم بهذه المناسبة الميمونة ترجمة لأحد أعلام الجنوب الذين تجاوزوا الحدود فربطوا الجنوب بالشمال والشمال بالجنوب ذلكم هو فضيلة العلامة المحدث الأديب المرحوم محمد ابن أبي مدين المغربي الشنقيطي الموريتاني.

نسبه : هو فضيلة الفقيه المحدث الشاعر العلامة الأستاذ محمد بن أبي مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان الديماني المغربي الموريتاني الشنقيطي صاحب المؤلفات العديدة والتصانيف الفريدة.

ولادته : ولد صاحبنا رحمه الله في بيت من البيوتات الشنقيطية المعروفة بالعلم والمعرفة والمجد والشرف في مستهل سنة 1330 هـ فنشأ وتربى في أحضان والده العلامة الفقيه أبو مدين وأخذ عنه مبادىء القراءة بعد تعلم الحروف كما حفظ عليه القرآن الكريم وهو لم يزل طفلا صغيرا لم يبلغ الحلم مستأنفا بعد ذلك قراءته في طلب العلم فأخذ عن والده في البدء وعن كل الشيوخ من قومه المعروفين بغزارة علمهم والذين كان يحتضنهم المجتمع الذي نشأ فيه وعاش وتربى على تربيته أخذا عن كل واحد منهم ماعنده من العلم يأخذ عن هذا الدين والفقه بشروحه والأصول والنحو والبلاغة وعن ذاك الأدب والعروض والبيان والتفسير والحديث غير مكتف بهذا أو ذاك من الشيوخ باحثا عن غيرهم في كل مكان من بلاده.

فكان كثير التجوال في كل أطراف وطنه الشنقيطي رغبة وتعطشا منه في المعرفة والعلم والعلماء فقل ماعرفت أسرة من الأسر

هناك بعلم أو معرفة إلا وزارها وأخذ عنها أو تصفح كتبها وما احتوت عليه خزائنها من نظم ونثر غير مكتف بذلك فزار عدة أقطار عربية ليبيا ومصر والأردن والسعودية. وتلقى عن بعض شيوخ هذه البلاد فاستفاد منهم واستفادوا منه.

ولا زلت أذكر بالمناسبة حفلا أقيم على شرفه في إحدى دور الزاوية الكتانية بسلا لأخذ الإجازة في علم الحديث عن أحد شيوخ هذه الزاوية ويتعلق الأمر بالدكتور يوسف الكتاني خريج دار الحديث الحسنية بالمغرب كما كان يتلقى الإجازات والعلوم عن شيوخ وطنه. الذين سنذكر بعضا منهم على سبيل العد لا الحصر.

شيوخه : فمن شيوخه والده أبو مدين ومربيه الأول وسيدي محمد المصطفى بن ابن الابيري والشيخ يحظيه بن عبد الودود. والعلامة سيدي محمد ولد الداه المعروف بالشنقيطي وابن حيمود الجنكي وأحمد محمود بن عبد المجيد الجنكي أيضا. ومحمد المجبوبي اليدالي . ومحمد يحيى بن محمد الأمين بن أبوه. ومحمد علي بن عبد الودود اليعقوبي، ومحمد علي ابن تمّ العبد. ومحمد محمود بن كرامة. هؤلاء هم بعض شيوخه الذين أخذ عنهم وإن كنا لم نأت عليهم عدا جميعا وإليهم يرجع الفضل أولا وأخيرا في إبراز ملكته الشيء الذي جعله يشتهر بين قومه ويتميز بينهم خاصة عرفت فيه وعنه وهي انه كان رحمه الله عزوفا عن الرأي كما كان يكره التقليد والمقلدين غير ميال لتأويلاتهم وبخاصة منهم المتكلمين من الأصوليين. حاذيا في ذلك حذو النعل بالنعل جده الشيخ سيدي أحمد وطريقته التي عرف بها فلم يغب عليه ذلك ولم يستغرب منه عند قومه الذين ألفوا وعرفوا في عديد من علماء أسرته الشدة وعدم الليونة في الجانب العلمي والعزوف عن التقليد.

كتبه : قام صاحبنا بتأليف عدة كتب بعد أن كرع من حياة المعرفة ونهل من العلوم العربية الإسلامية وخاصة منها علم التفسير والحديث اللذان كان يتميز بهما من بين عديد من خاصة العلماء من بني قومه فقد كان يدرس الحديث الشريف بالمعهد العلمي الإسلامي لموريتنيا (بوتلميت) وكان صاحب باع طويلة في هذا العلم وعلم التفسير وقد ألف في علم الحديث والتفسير كما ألف في غيرهما وإليك الجوانب العلمية التي ألف فيها تفصيلا حسب كل فن من الفنون المذكورة التالية : الحديث، التفسير، الفقه، العقائد، الأصول، الأدب، الأجوبة، التاريخ.

1) **في الحديث :** كتاب شرح ألفيه العراقي في الحديث.

2) **في التفسير :** كتاب تفسير الفاتحة.
كتاب تبين حكمة تقديم السمع على البصر ولاي والأخبار.
كتاب تحرير المسألة في اختلاف البسملة.

3) **في الفقه :** كتاب الصوارم والأسنة في الذب عن السنة في القبض والسدل.
كتاب مناسك الحج.
كتاب الطرفة المليحة في أخبار المديحة.
كتاب بعث الحكمين بين الزوجين.

4) **في العقائد :** كتاب شن الغارات على أهل وحدة الوجود ومعينة الذات.

5) **في الأصول :** كتاب منظومته في الاجتهاد والتقليد.
كتاب نظم اختلاف العلماء في رواية النساء لله تعالى في الجنة غدا يوم القيامة.

6) **الادب :** كتاب في المدح جمع فيه عدة قصائد.
كتاب خصال الفترة وهو شعر أيضا.
كتاب في الشهداء وسنورد منه قطعة في هذا الموضوع بعنوان :

ألا ان موتا في الجهاد هو المحيى
فقتلاه عند الله جل هم الاحياء

7) **الأجوبة :** كتاب الدرر الملفوظ في أجوبة الشيخ المحفوظ.
كتاب الأمالي في أجوبة أسئلة محمد بن محمد اليدالي.

8) **في التاريخ :** كتاب يتحدث فيه عن فتح مكة هل وقع صلحا أم عنوة.

9) **في الرجال :** كتاب نزهة الراني في ترجمة الشيخ سيدي الثاني.

10) **في النحو :** كتاب تسهيل الورود إلى تحفة المودود في المقصور والممدود لا بن مالك.

أدبه : وقد كان صاحبنا إلى جانب ذا وذاك أديبا مفلقا وشاعرا فحلا نظم كثيرا من الشعر لم يدون له في ديوان مع الأسف ولم يجمع له في كتاب فبقيت قصائده منتشرة هنا وهناك ولدى بعضها في المناسبات ولا بأس من إيراد مايسمح به المقام منها في هذه الترجمة وبالأخص هذه القطعة التي هي من كتابه الشهداء.

كما أسلفت والتي يصف فيها صاحبنا وصفا حيا الشهداء الفلسطينيين الذين استشهدوا دفاعا من أجل الكرامة وهم يخوضون المعارك الضارية من أجل استقلال ووحدة بلدهم السليب فلسطين والقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين عجل الله بخلاصه آمين. والقطعة هي :

ألا ان موتا في الجهاد هو المحيى
فقتلاه عند الله جل هم الاحيا

فقوموا سراعا للجهاد فإنه
به دينكم يحيى وعزكم يحيى

ألم تعلموا ان اليهود أذلة
عداة لرب قدامات وقد أحيى

اما حاربوا خير البرايا محمدا
اما كذبوا عيسى اما قتلوا يحيى

اما قذفوا العذراء مريم واعتدوا
بسبت كما قد جاءنا عنهم وحيا

ابعد احتراق القدس جراء قدحهم
وتشريد إخوان لنا يهنأ المحيى

أقوال العلماء فيه وتقريظاتهم لكتبه :

قال فيه السيد محمد سالم بن محمد عال بن عبد الودود منوها بمعرفته في علم الحديث :

سعى أباؤك العظماء شوطا
فنلت الشوط بالركض الحثيث

وفاتوا في القديم معاصريهم
وفات رجال عصرك في الحديث

وقال عنه أيضا الشيخ محمد علي بن عبد الودود بعد إطلاعه على شرحه لألفية العراقي في الحديث مقرضا إياها بقوله :

في سبعة حصروا مقاصد العقلاء
من التأليف فاحفظها تنل أملا

ابدع تمام بيان لاختصارك في
جمع ورتب وصلح ياخي العملا

ثم أتى بعد ذلك خلف هذا الشيخ بعد إطلاعه هو أيضا على شرح الألفية فتحامل قائلا :

يحد ذوو التأليف مقصوده حدا
بسبعة أقسام يعدونها عدا

يقولون أبدع رتب أجمع وأصلحها
وبين وتمم واختصر تبلغ القصدا

واني أرى الشيخ الإمام محمدا
يزيد كثيرا لن يطيقوا له جحدا

فيبديه درا في السطور منظما
وينظمه عقدا ويحكمه عقدا

وذلك أن الشيخ أطولهم يدا
وأرواهم أذنا وأرواهم زندا

وأرحبهم باعا وأوعاهم حجا
وأسعدهم سعدا وأعلاهم وجدا

وأمروهم غيثا من (الغوث) نيله
فلا يلهينك السعدان عنه ولا صدا

فلا زال محمودا ينصر مؤيدا
ولا زال لسن الناس تحمده حمدا

كما أن عددا من العلماء أثنو عليه وقرظوا كتبه فمن ذلك مثلا :

العلامة عبد الله بن محمد بن حامد بن محمد بن محنض باب الديماني القائل في بداية تقريظه لكتاب المليحة في أخبار المنيحة :

تقريظا لتأليف المنيحة   تروم فلا تساعدك القريحة

ومنهم أيضا العلامة محمد سالم بن محمد عال بن عبد الودود المباركي والعلامة سيدي الحسن بن أبا الجكني والعلامة محمد فال بن عبد الله بن محمد فال بن العلوي. والعلامة الدنبج بن أحمد بن محمود بن معاوية التندغي وغيرهم كثير ولولا ضيق المجال لأتينا بتقريظاتهم واحدا واحدا وأحصيناهم عدا.

وقد زار صاحبنا المغرب للمرة الثانية منذ سبع سنوات لحضور الدروس الحسنية التي تلقى أمام حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وألقى قصيدة بالمناسبة يمتدح فيها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ومطلعها :

٥ ٥ ٥

ملكت فأوسعت العدالة في الغرب
بذا شهدت عجم الأنام مع العرب

وشدت بيوت الله في كل قرية
وجددت ما أبلى الزمان من الكتب

وجدت على العافين في كل أزمـة
بمن بلا من يشين ولا عتـــب
وداويت أمراض القلوب بمرهـم
وضعت به أجدى الهناء على النقب
وقابلت بالحلم الاساءة والجفـا
فعوضت من أهل البسيطة بالحب
وما زلت من قبل البلوغ مؤمـلا
يسد بك الثغر المخوف لدى الخطب
وترعى حقوق الجار والضيف مأثوى
وينزل منكم في هناء وفي خصب
وحسبك فخرا ان طه نبينـا
شفيع البرايا في الهزاهز والرعب
وريحانتيه السيديـن وبضعـة
بوالدها المختار تاهت بنو كعب
وحمزة والعباس والكامل الرضـى
وجعفر والكرار في ساحة الحـرب
هم أصلك السامي على كل محتـد
فحسبك هذا من فخار فقل حسبي
وءاباؤك الغـر الخلائف بعـد ذا
هم شيدوا صرح المكارم في الغـرب
يشنف أسماع المصيخين ذكرهـم
فذكر بني مروان ذرو بني حـرب
وقمت بأعباء الخلافة بعدهـم
بجد وعزم واعتماد على الـرب
وكف إذا ما اخلف الناس سحبهم
تقوم مقام السحب في الازمن الشهب
حدبت على الدين الحنيف وحطته
ولا حدب مرهاء حنون على سقب
وأمنت روعات البلاد وأهلهـا
بقمعك أهل الزيغ والنهب والغصب
فداويت جرباها وأمنت سربهـا
فلم تبق فيها من مخوف ولا جـرب
فشعبك يرجو أن تدوم مملكـا
وكل بني الإسلام من ذلك الشعب
وإذ مكر الأعداء في الجو أحبطـوا
كما أحبطوا من قبل ذلك في الترب
ومن يحفظه الوافي من الناس يغنه
عن الطعن بالمران والضرب بالعضب
حباك إلـه العرش ما أنت ترتجـي
وأمر نعماه عليك من السلـب
ودمت على مر الزمان موفقـا
لرشد لدى دفع ورشد لدى جلـب
ولا زلت منصورا على كل حاسـد
ودمت على الاملاك مرتفع الكعب
بجاه رسول الله صلى الإلهـا
عليه مع الآل الاكارم والصحـب

وفاته : بعد زيارته للمغرب ومكثه فيه شهرا كاملا عاد إلى موريتانيا عن طريق الجو وبعد حلوله بعاصمة البلاد انواكشوط بأيام قليلة أدركته المنية فانتقل إلى الرفيق الأعلى على إثر نوبة مرض خفيفة ألمت به فتوفي على إثرها في منتصف الشهر الأول من ذي القعدة وعلى وجه التقريب في اليوم 8 منه من بحر سنة 1396 موافق 1 نونبر عام 1976 عن عمر يناهز 66 سنة. ودفن رحمه الله رحمة واسعة في مسقط رأسه بموريتانيا (بوتليميت) موضع أبائه وأجداده.

• إذا كان الله تعالى قد امتن على أمتنا الإسلامية بأزكى تراث روحي وحضاري عرفته البشرية، فما ذلك إلا لنكون أمناء عليه، حماة له من الضياع والنسيان. وما ذلك إلا لتكون حياتنا الخاصة والعامة مرآة ساطعة له في كل حين، وما ذلك إلا لنعمل على تقديمه غضا طريا، إلى كل المتشوقين إليه، والراغبين في الإطلاع عليه، من أبناء الأمم الأخرى •

جلالة الملك الحسن الثاني

تنظيم الجيش في العهد العلوي قبل الحماية

للدكتور ابراهيم حركات

بدأ تنظيم الجيش في العهد العلوي في وقت مبكر، أي ابتداء من أيام المولى محمد بن الشريف الذي أسس فيما يبدو أول ديوان للجيش المغربي، وعلى هذا الديوان اعتمد خلفه وأخوه مولاي رشيد الذي يقول عنه الناصري : (1) «وكتب من كان مع أخيه في ديوان جيشه وكساهم وأعطاهم الخيل والسلاح..»

وقد أدخل مولاي رشيد عناصر مغربية وأخرى كانت تعيش غرب الجزائر في ظل السلطة العثمانية، كأشجع وبني عامر وسنوس وشراگة ومديونة وهوارة (2). أما العناصر التي قدمت من الجزائر فلرفضها حكم الأتراك.

وقام مولاي إسماعيل بإدخال تغييرات جذرية على الجيش انطلاقا من سنة 1667/1088 (3) حيث أعاد تنظيمه وتطعيمه بعناصر جديدة، وقد أدرك ضرورة هذا التنظيم بعد أن هددت ثورات الأمراء عرش المغرب الذي لم يكن قد أتم استقراره. ولما كانت التدابير الأساسية التي تهم الدولة والأمة مما يستشار فيه القضاة والفقهاء، فقد استشار السلطان مولاي اسماعيل، القاضي النوازلي محمد بن العياشي بشأن إعادة تنظيم الجيش، فأشار عليه بتجميع أعقاب جيش السودان الذي كان في عهد السعديين فتم تجنيد خمسة آلاف منهم تطوعا وبينهم عناصر مغربية غير سودانية الأصل، وأسند السلطان مهمة التجنيد إلى الباشا عليليش، وسمي هذا الفوج بعبيد الزنقة، ثم تولى عليلش عملية التجنيد الإجباري لمختلف العناصر التي يقع عليها اختياره، وأساء التصرف في ذلك حتى اتخذ التجنيد مطيه لنهب الأموال (4). وتولى القاضي ابن العياشي الفصل في نوازل الجيش، وقد سمي الفوج الثاني المجند إجباريا بعبيد البخاري أي الذين اقسموا على الإخلاص للدولة أمام صحيح البخاري، وهو تقليد اتخذه السعديون من قبل. وهكذا فلم يكن في جيش مولاى إسماعيل، عناصر سودانية

1) الناصري، استقصا، 327، وهو ينقل عن الكردودي، الدر المنضد، ورقة 138.

2) كردودي، ن. م، استقصا، 7، 41.

3) كردودي، ورقة 171 ـ 174.

4) عباس بن ابراهيم، الإعلام، 6، 35 ـ 36، الزياني، البستان الظريف، ص 31 ـ 32.

فحسب، بل من الشاوية ودكالة ويمور وغيرها من العناصر الوطنية (5) كذلك. وتمت عملية الحصول على المماليك شراء، بما في ذلك العنصر النسوي الذي شمل عناصر سودانية الأصل أو حرطانيات لتزويجهن من العزاب. ثم وجه المجندون إلى معسكر مشرع الرمل. وتم تسليحهم من مخازن السلاح بتطوان على يد القائد ابن عبد الله الريفي. غير أن عبيد دكالة أنزلوا بقصبة إرخسان التي بناها مولاي إسماعيل، وعبيد الشاوية بزاوية الدلاء (6). وكانت فرقة آيت يمور تضم ألف فارس (7).

وفي سنة 1089 هـ تعزز الجيش، بحوالي ألفين من الحراطين جلبهم مولاي إسماعيل من موريطانيا والجهات المجاورة لها أثناء حملة قام بها هناك. واستقدم الحراطين أسرهم (8). وبعد أن تم تجميع أربعة عشر ألفا، تناسل هذا العدد حتى ناهز مائة وخمسين ألفا عند وفاة السلطان مولاي إسماعيل سنة 1726/1139. ذلك أنه عمل على تربية أطفال الجيش بنين وبنات. فكان البنات يتلقين تربية منزلية ونسوية بإشراف عريفات. والأولاد يلقنون تدريبا مهنيا وعسكريا يتدرج لمدة خمس سنوات : الأولى في البناء والتجارة وركوب الحمير. والثانية للتدرب على نقل مواد البناء بواسطة البغال. والثالثة يقضونها في خدمة مواد البناء نفسها. والرابعة في الخدمة العسكرية. والخامسة في الفروسية الحربية. ثم يزوجهم من البنات المذكورات مع تعويضات مادية وعينية (9). وكان ثمانون ألفا من عبيد الديوان موزعين على القلاع لحمايتها وحراسة الطرق. وسبعون ألفا يلازمون سكناتهم بمشرع الرملة.

لقد هدف مولاي إسماعيل إلى خلق جيش نظامي مخلص للعمل الوطني وبعيد عن النزعات القبلية حيث كانت كل العناصر الوطنية ممثلة فيه إلى جانب عبيد الديوان من السود الذين تم تجنيدهم بالذات مراعاة لعنصر الإخلاص والإلتزام بالعمل العسكري الذي شغل جزءا كبيرا من اهتمامات الدولة. وقام مولاي إسماعيل بتجريد القبائل من السلاح الذي احتفظ به فقط مجاهدو سبتة (10). وقد كان لعدد من علماء فاس وجهة نظر مخالفة لما أشار به عليلش على مولاي إسماعيل حتى أدى ذلك إلى نكبة بعضهم لأن معارضتهم لم تقدم حلا بديلا لأحداث جيش نظامي ولاكتفائهم بالنص على عدم شرعية تجنيد الحراطين إجباريا (11).

وكان عنصر الأودايا من أهم فرق الجيش المسجلة في الديوان والتي اعتمد عليها مولاي إسماعيل لخؤولته فيها وولائها. وهي من أقدم الفرق التي انخرطت في جيشه. وكانت تتكون من ثلاث مجموعات أو أرحية، رحى سوس، ورحى الأودايا ورحى المغافرة. ويطلق على الجميع أودايا. وهم كلهم عرب من معقل (12).

كذلك تعزز الجيش بوجود عنصر الاعلاج الذين كانوا كثيري العدد في القرنين 17 و18م. وهم مسيحيون

5) المشرفي، الحلل البهية، ص 120. أكنسوس، الجيش العرموم، ص 68 ـ 69.
6) أكنسوس، مصدر سابق. ناصري، استقصا، 7 ـ 57.
7) استقصا، 7، 81.
8) استقصا، 7 ـ 58.
9) ن. م، ص 71. زياني، بستان، ص 36.
10) ن. م، ص 81. كردودي، در منضد، ص 162.
11) استقصا، 7 ـ 94.
12) أكنسوس، جيش، ص 67. استقصا، 7 ـ 50.

أصلا ينتقلون إلى الإسلام ويعملون في الجيش كمرتزقة. ولكن أغلبية غير المسلمين هم من الأسرى الذين يقعون في قبضة مجاهدي البحر ويسلمهم هؤلاء إلى السلطة المركزية. وهم نصارى على العموم يعملون في شؤون البناء والتقنيات العسكرية لاسيما المدفعية (13).

غير أن المجهود الضخم الذي بذله مولاي إسماعيل تعطل تقريبا بعد وفاته إلى حين ارتقاء العرش من لدن حفيده سيدي محمد بن عبد الله وقد تحدث أسير فرنسي يدعى بيير تيرال عن افتقار الجيش المغربي إلى التنظيم في هذه الفترة، وأن الفرسان والمشاة يحاربون على طريق الكر والفر. كما زعم أنهم لا يحسنون استعمال البندقية (14). وفي انتقاداته لا يتفق مع ما تذكره تقارير أجنبية أخرى.

وقد نقل السلطان محمد بن عبد الله مزيدا من حراطين الصحراء إلى ديوان الجيش والذين كانوا بالرتب وتافيلالت. على إثر تمرد قاده عمه المولى حسن (16). كما جمع جند قبائل الحوز سنة 1179 هـ على يد القائد عبد النبي المنبهي فاستوفى منهم أربعة آلاف وخمسمائة. ولكنهم عادوا فيما بعد إلى قبائلهم (16). وفي 1182 تم تجميع عبيد المخزن بسوس وموريطانيا فكانوا أربعة آلاف مناصفة مع أولادهم وكونوا حامية مراكش حيث أقاموا بظاهرها (17) وعلى العموم. فقد كانت الأهمية بالدرجة الأولى للحراطين وعنصر الأودايا في عهد سيدي محمد بن عبد الله.

واستدعى هذا السلطان ذو الروح التنظيمية الأتراك والاعلاج لتطوير المدفعية وتدريب الإطارات الوطنية. وعلى سبيل المثال تولى أحد الأتراك المتقدمين خصيصا من القسطنطينية. تدريب الإطارات الشابة بالرباط وسلا حيث تولت عمليات الجهاد البحري (18). وكان في فتح البريجة علجان مسلمان أحدهما بابا سليمان الدريزي والثاني بابا إسماعيل الدريزي. وقد أخلصا في مهمتهما (19) وفي عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام هاجر إلى المغرب من الجزائر عدد كبير من ضباط وجنود البحرية والمدفعية أتراكا وعربا. وقد حفظت أسماؤهم في وثائق الخزانة الملكية بالرباط (20). بينما كان شأن عبيد البخاري قد ضعف، وقل عددهم. حيث ستعمد الدولة إلى تسليح بعض القبائل وتكوين إطارات جديدة بعد أن أصبح الاحتلال الفرنسي بالجزائر يهدد المغرب كما يهدد القطر التونسي. وهكذا سمح للقبائل التابعة لعمالة تطوان أن تحصل على السلاح بيعا من الدولة (21). وذلك سنة 1840/1256. وفي عام 1842/1258 بدأت حركة استعداد حقيقية للجهاد حيث يوجه السلطان أمرا إلى عماله المعنيين يقول فيه : «... فينبغي لكل مومن أن يجعل الجهاد أهم أموره. ويصرف إلى أخذ الأهبة له وجه عنايته...» كما يوجه تعليماته إلى نائبه بطنجة بشأن استنفار جميع السكان بالمنطقة وإظهار كل وسائل القوة والاستعداد الممكنة حذرا من هجوم فرنسي خطير (22).

13) زياني، م. س. ص 54 ـ 55. Caillé, La petite histoire, 1,251

14) Caillé, Op. Cit, 2,27

15) استقصا، 8 ـ 12.

16) ن. م. ص 28.

17) ن. م. ص 35.

18) Champion, Le Maroc et ses villes d'art, 2, 47

19) الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة... ص 172.

20) محمد داود، تاريخ تطوان، 8، 202 ـ 206.

21) ن. م. ص 333.

22) ن. م. ص 363 و369. وانظر أيضا صفحات : 377، 375، 414.

وكانت تطوان في هذه الفترة مركزا هاما للصناعات العسكرية وتدريب تقنيي المدفعية (23) الذين حرص مولاي عبد الرحمن على الإستكثار منهم وتخويلهم تعويضات وإنعامات مادية متميزة (24)، وكانوا يتكونون في عدة موانىء بحرية كسلا والرباط وتطوان.

وقد أورد فرنسي معاصر (25) معلومات دقيقة عن تنظيم الجيش في عهد مولاي عبد الرحمن. ولكنه لا يقدم مصادره التي يغلب على الظن أنها مستقاه من تقارير القناصل وربما من أفواه بعض الضباط الذين كانت بينهم بعض العناصر غير الوطنية. وحسب هذا المصدر لم يكن هناك جيش قار كبير بل حرس ملكي يقدر بخمسة آلاف من عبيد البخاري والباقون من عنصر الاودايا. والجميع موزع بين المراكز الرئيسية ، 4000 بمراكش و2400 بطنجة والباقي موزع بين أسفي وسلا والرباط وتطوان. وهناك راتب وزي رسمي سنوي، ويزاد في الراتب أيام العمليات العسكرية. وحسب نفس المصدر فلم يكن هناك اهتمام بذكر بجيش المشاة الذين كانت أسلحتهم فردية ورديئة. وهم يمارسون الحرب بكيفية فوضوية. وتعطى الأولوية لجيش الفرسان سواء في الميدان أو من حيث الامتيازات. وكل فارس يحصل من المخزن على قطعة أرض زراعية يستغلها مقابل التزامه بالعمل العسكري وتموين فرسه وتجهيزه. وبعد أن يشير الكاتب إلى ضعف تسليح الجيش وطريقته في الحرب يلاحظ أن ثمت تحسينات تتأكد يوما عن يوم بفضل الصناعة الإنجليزية التي كانت متفوقة في هذه المرحلة عسكريا ومدنيا.

ويظهر أن أهم جوانب الضعف في الستراتيجية العسكرية المغربية كان عدم الاستمرار في التنظيمات الإيجابية. وعلى سبيل المثال نرى أن عملية تجميع الخلط والحاقهم بالديوان على يد السلطان محمد بن عبد الرحمان حين كان خليفة لوالده بمراكش لم تؤت أكلها لأكثر من سنتين أو ثلاث حيث تم حشدهم بزكوطة ووادي مكس (26) لمراقبة الطريق المؤدية إلى مكناس ثم عادوا إلى أماكنهم الأصلية.

ومما يلفت النظر أن حالة الجيش التونسي في أواسط القرن 19 م لم تكن بأحسن منها في المغرب. بل كانت تثير الأسى فعلا حتى ساعدت على قيام ثورة شعبية عارمة سنة 1864. فقد بقي الجيش بدون راتب مدة تناهز سنة، ولم يستطع الباي أن يزود العمال بحراسة لتحصيل الجباية. ولم تكن للدولة خيل ولا حتى إبل للقيام بحملة عسكرية (27).

العمليات والحملات العسكرية

لم يشذ المغرب عن الأنظمة المعاصرة في استعمال الأسلحة على اختلافها لمجابهة حركات التمرد أو لرد العدوان الخارجي. إن ثورة الأطلس المتوسط التي كانت امتدادا للنزعة الدلائية التي نجحت فكريا وفشلت سياسيا. تطلب الأمر استعمال السلاح الثقيل لإنهائها في عهد مولاي إسماعيل الذي «استنفر القبائل وحشد الجيوش واستعد الاستعداد التام بالمدافع والمهاريس والمجانيق وسائر آلات الحصار...» (28). وتم تطويق المناطق المقصودة من جميع

23) ن. م. ص 333.

24) ناصري، استقصا، 9 ـ 70.

25) Ferd Hoefer, Empire du Maroc, pp. 276, 279

26) استقصا، 9 ـ 70.

27) B. Slama, l'Insurrection de 1864, pp. 32-33

28) استقصا، 7 ـ 80. وانظر عن استعمال المدفعية بفاس في عهد متأخر، ن. م. ج 9 ـ 137.

الجهات القريبة من بسيط آدخسان (خنيفرة) حيث احتشدت قوات كبيرة ضمنها خمسة وعشرون ألفا من الرماة وأطلقت نيران المدفعية في وقت واحد في حركة دائرية أدت إلى إحداث رعب عظيم في وسط الثوار الذين انتهى الأمر باستسلام من نجا منهم.

وفي سنة 1815/1231 وضعت قبائل صحراوية بالجنوب يدها على بعض القصور المخزنية. فاستخدمت الوسائل المذكورة لحملها على الطاعة. مما اضطر آيت عطا إلى التشفع لدى السلطان (مولاي سليمان) بنسائهم وأولادهم فأعطاهم الامان على أنفسهم دون أملاكهم نظرا للخسائر التي ألحقوها بأموال الدولة ولما تكبدته الحملة من نفقات. وقد وصف أكنسوس هذه الحملة بدقة (29).

ولما قامت عناصر الشراردة بثورة ضد المخزن بزعامة المهدي الذي كان من العتاة الطموحين إلى السلطة. واستولت على أسلحة ثقيلة من الجيش الملكي قوبلت بحملة قوية ضد زاويتها بضواحي مراكش حيث تم تدميرها بالمدفعية سنة 1828/1244 وتولى محمد بن عبد الله، ملاح السلاوي وهو ضابط مدفعية كبير هذه العملية التي تطلبت مائتين وثمانين قنبلة في يوم واحد (30). ويبدو أن هذه الثورة لم تكن تكتسي أي طابع وطني أو ديني حسبما يستقى من روايات الإخباريين كالناصري وأكنسوس. بل كانت تدخل ضمن سلسلة مشاغبات تذكيها زعامات انتهازية بينما كانت الأوضاع بالأطلس المتوسط هي التي تثير قلقا حقيقيا.

وفي ظروف حرب تطوان استعمل المغاربة طريقة الكر والفر أمام عدو يتحاشى الاشتباك الجماعي الذي طمع فيه المغاربة. وعمد إلى التستر وراء أكياس الرمل حتى يتلقى أقل قدر من الطلقات المضادة. ولذلك كان ضحايا المقاتلين المغاربة أكبر بكثير من قتلى العدو.

وإذا كان الإستعداد العسكري للدولة قد شهد أمجاده من أول تأسيسها إلى نهاية العهد الإسماعيلي تم في عهد محمد الثالث. فإن المغرب قد افتقر إلى الكفاءات التقنية والعسكرية منذ أن انتهى الحكم التركي للجزائر وحل محله احتلال فرنسي بالإضافة إلى الوجود الإسباني شمالا وكلاهما سهل عملية تهريب الأسلحة إلى الداخل وشجع إقرار نظام إقطاعي يمارسه رؤساء قبائل وقواد خونة هنا وهناك. في الوقت الذي افتقرت فيه الدولة إلى إطارات سياسية في مستوى العصر والظروف وهكذا نرى الناصري بغيرته وانفتاحه على التطور المعاصر يتألم للإنهيار الذي شاهد عليه الجيش في أحداث الأطلس وثورة الشراردة قبل القضاء عليها ووقعة إيسلي لأن الجنود في هذه المعركة «قاوموا العدو وفرقوا صفوفه غير ما مرة. لكنهم أتوا من عدم الضبط الذي هو كضبطه. فعدم ملاقاتهم للعدو في الكيفية القتالية هو الذي اضربهم وأوجب لعدوهم الظهور عليهم. إذ الشيء كما علمت. إنما يقاوم بمثله. والشر إنما يدفع بضده» (31).

ولإضعاف قوة الطرف المعادي وردعه. يقوم الجيش بالإستيلاء على مواده الغذائية وتخريب أرضه ومزارعه وقطع أشجاره والإستيلاء على أمواله وأثاثه (32). ولما كانت

29) اكنسوس، الجيش العرموم، ص 204 ـ 205. وعنه ينقل الاستقصا، 8، 131 ـ 132.

30) استقصا، 8، 17 ـ 19 و160 ـ 163.

31) ن. م، ج 9، 97.

32) ن. م، ج 7، 168 ـ 169. ج 8 : 39، 51 ـ 62، 96، 107، 113 ـ 114. ج 9 : 65.
وانظر أيضا، ج 7، 132 ـ 133.

القبائل الموالية للدولة هي في ذات الوقت مزود أساسي للجيش بشريا وماديا، فإنها تتكفل عند الإقتضاء، وبطلب من السلطة المركزية، بإقرار الأمن وردع العناصر والجماعات التي تتمرد ضد النظام بشكل أو بآخر. وهي في هذه الحال تقوم بنفس العمليات التأديبية التي يقوم بها الجيش النظامي. وهكذا نرى إدراسن وكروان تقوم بهذه العمليات في منطقة زمور (33) سنة 1764/1178. وفي ظروف عدم الاستقرار قد تعمد القبائل إلى نهب بعضها بعضا أو يتطاول جزء منها على الجيش أو تقوم بمهاجمة بعض المراكز الحضرية (34). وهذه الحالة قد شهدتها مناطق الشمال الإفريقي في فترات مماثلة عبر القرون والأجيال.

وبعد انتصار الجيش يتعين على الجهة المغلوبة أداء غرامة إلى جانب الضرائب التي تخلدت بذمتها (35). ولما كان قطع الطريق على القوافل مما تعاقب عليه الشريعة الإسلامية بشدة، فإن التعليمات السلطانية قد تنتهي إلى حد تنفيذ حكم الإعدام في الجناة كما كان الشأن على سبيل المثال في معاقبة عناصر من كروان كانت تقطع الطريق بناحية زيز حول سجلماسة (36) في عهد مولاي إسماعيل الذي كان صارما في مثل هذه المواقف، خصوصا وقد عاش المغرب حوالي ثلاثة أرباع قرن من الفوضى والإنقسام والإستبداد المحلي قبل أن يستعيد وحدته. ومع ذلك فإن حالات كثيرة من العفو الملكي وإعلان الأمان على نفوس وأموال الجهات المتهمة والجانبية تتكرر تقديرا للظروف أو لاعتبارات إنسانية.

أما بالنسبة للعمليات الكبرى التي وجهت ضد أطراف الإحتلال فكثير منها كانت له نتائج إيجابية حاسمة كما هو الشأن في استعادة طنجة من يد الإنجليز والمهدية والبريجة من يد البرتغال. وساهمت المقاومة الشعبية بحماس إلى جانب القوات النظامية في استعادة الثغور حيث سيتجلى مدى المحاولات الجدية التي قام بها عدد من ملوك الدولة العلوية خصوصا محمد الثالث، لإعادة تنظيم الأسطول والعناية بالثغور البحرية.

وقد جرى الجيش في عدد من مواجهاته المنظمة وبحسب التوجيهات العليا إلى الإنقسام قبل المواجهة إلى ميمنة وميسرة وساقة وقلب (37). وقد يحتل السلطان القلب كما كان يفعل مولاي سليمان أو مولاي عبد الله. وفي ظروف العمليات التي يقوم بها جيش غير منظم يتم اللجوء إلى طريقة الكر والفر، كما سبق.

وكان من أهم الأعمال المساعدة على حماية الأمن في المناطق الداخلية بناء عدد من الأبراج والقلاع والحصون وترسيم الموانىء وتجهيزها بالمدفعية على أن العناية بالموانىء أتت أكلها بالنسبة للسفن التجارية بقدر ما ساعدت على رد بعض الهجمات الخارجية أو حراسة المياه البحرية على الأقل. وقد كان من أهم الحصون الدفاعية سبعون حصنا شادها السلطان مولاي إسماعيل خصوصا في مناطق الأطلس. أما بـلا فقد أنشأ محمد الثالث برجا متينا، كما جدد التصميم الدفاعي لميناء العرائش وأنشأ به جملة من الأبراج، وهو الذي بنى مرسى فضالة (38) الذي ابتدأ تشييده سنة 1760/1174.

33) زياني، بستان، ص 116.

34) ناصري، استقصا، 8، 115، 117، 127، 131، 142، 143، 165.

35) Louis Arnaud, Au temps des mehallas, pp. 70-73
Louis Arnaud, Op. Cit. p. 120

36) زياني، بستان، ص 41.

37) ضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ص 118. ناصري، استقصا، 8 ـ 172.

38) ضعيف، ن. م، ص 169. وانظر بشأن المنشآت التي تم بناؤها في عهد هذا الملك، ن. م، ص 165 وكذا الزياني، بستان، ص 157.

وشاد مولاي رشيد ثكنة كبيرة بجانب قصبة الأوداية لا تزال معالمها قائمة (39)، وله كما لملوك آخرين من الدولة العلوية منشآت دفاعية عديدة.

صناعة الأسلحة

يعد المغرب من أقدم بلاد العالم استعمالا للسلاح الثقيل، فقد استعمل المدفع لأول مرة في القرن 15م، وصنع مدافعه الأولى في أواخر القرن السادس عشر. ويتحدث تقرير إنجليزي عن وجود إيرلندي كان يدير مصهرا للمدافع في سنة 1727 أي أيام مولاي أحمد الذهبي (40)، وبالطبع لم يكن هذا المصنع إلا استمرارا لجهود سلفه مولاي إسماعيل في نفس الإتجاه. ويظهر أن جل الذين قاموا بصنع المدافع والقنابل حتى بداية عهد محمد الثالث كانوا عناصر مسيحية أو مرتزقة أو علوجا. وقد عقد هذا السلطان علاقات متينة مع الخلفاء العثمانيين، فأوفد سنة 1766/1180 قاضية محمد طاهر بناني مع الحاج الخياط عديل إلى القسطنطينية حيث اصطحبا ستة عشر تقنيا في صنع المدافع والقنابل والسفن. وقضى هؤلاء التقنيون مدة في كل من فاس وتطوان وسلا والرباط، ثم عادوا بعد سنوات وقد استكملوا مهمتهم. ونقل عباس المراكشي عن «الأزهار الندية» قوله بهذا الصدد : «... فكان أهل اصطمبول أحكم صنعة من أهل المغرب، وأهل المغرب أحكم تفصيلا في صناعة السفن...» (41).

وعندما شيد حصر دفاعي جديد بسلا في عهد مولاي عبد الرحمان تولى المجاهد محمد فنيش عقد صفقة باسم المخزن، مع مصانع لندرة التي زودت المغرب بسبعة عشر مدفعا ومهراسين واعتدة أخرى لتجهيز الحصن المذكور (42)، وكان ذلك سنة 1858/1275 وهكذا كان على المغرب أن يلجأ إلى المصانع الأجنبية لتجهيز جيشه بالأسلحة التي أصبحت تتطلب تقنيات جديدة، ومع ذلك نجد أن مدينة تطوان على الأخص ظلت تصنع لفترة طويلة بنادق أثبتت التجربة تفوقها على بعض البنادق الأوروبية حسبما تبينه إحدى الوثائق الرسمية (43).

ويبدو أن آخر الجهود الإيجابية في ميدان التصنيع الحربي تمت في عهد السلطان الحسن الأول الذي لا يمكن انكار مقدرته الدبلوماسية وروحه النضالية العميقة في وقت واجه فيه تحديات كتلة أوروبية شرهة، وهكذا فإن مصنع الأسلحة الذي (44) أنشيء في عهده بفاس والذي كان يحمل إسم «الماكينة» تولى إدارته الإيطالي كامبيني وكان ينتج المدافع الخفيفة والبنادق بالإضافة إلى سك العملة. ومع استغراق طاقته الكاملة فإنه كان بعيدا عن تلبية الحاجة الملحة للجيش الموزع في مناطق المغرب الشاسعة.

التأطير والتدريب الحديث

بصرف النظر عن جهود السلطان محمد الثالث في إعادة تنظيم الجيش والإعتماد بصورة خاصة على خبراء عسكريين أتراك لهذا الغرض، فإن الإهتمام بدأ بالعمل على تكوين بعثات بالخارج من أيام محمد الرابع المتوفي سنة 1873/1290. وكان لحرب تطوان بعد الإحتلال الفرنسي

(39) Champion, Le Maroc et ses villes d'art 1, 48
(40) Caillé, La petite histoire, 2, 15-24
(41) عباس المراكشي، إعلام، 3، 264 ـ 265.
(42) ناصري ـ استقصا، 76،9.
(43) محمد داود، تاريخ تطوان، 53،6.
(44) Louis Arnaud, Op. Cit. p. 68

للجزائر تأثير في هذا الإهتمام. ويقول المشرفي (45) إن هذا الملك كان متشوفا لعلم الهندسة والتنجيم والهيئة، وأنه جدد معاهد العسكر وأسسها، ووجه لتعلم الهندسة وفنون الحرب عددا من الطلبة إلى البلاد الأوروبية. ومما يلفت النظر أن تيارا من الدعوة إلى إصلاح الجيش والأوضاع التنظيمية بوجه عام انطلق على يد اليوسي المفكر القدير، ثم أسهم فيه آخرون من المثقفين وذوي الغيرة الوطنية خصوصا بعد فاجعة تطوان. ومهما يكن من أمر، فإن السلطان مولاي الحسن صرف جزءا كبيرا من اهتمامه في تكوين الإطارات العسكرية والتقنية سواء داخل البلاد أو خارجها. ولتقدير جهوده المباشرة في هذا المجال ينبغي التذكير بأن المغرب ومصر وتركيا اختصت وحدها تقريبا من بين أقطار العالم الإسلامي في مجال تكوين الإطارات على النمط الحديث وتوجيه البعثات الطلابية إلى الخارج، بالنسبة للنصف الثاني من القرن الماضي. غير أن عدة مؤثرات داخلية وخارجية عرقلت تحقيق نتائج بعيدة المدى. وإن كان من المؤكد أن المغرب تجنب كوارث محققة بفضل الدبلوماسية التي مارسها المخزن في عهد مولاي الحسن.

وإذا كانت عدة بعثات قد وجهت إلى أقطار أوروبية كإيطاليا وفرنسا وأنجلترا فنشير منها هنا على الأخص إلى البعثة التي وجهت إلى جبل طارق بناء على اقتراح من المفوض البريطاني بطنجة جون هاي (46) سنة 1875م. وقد بدأت هذه البعثة تمارس نشاطها بقيادة الضابط الإنجليزي ماك لين سنة 1878. وتولت بدورها تدريب فرقة منظمة صارت فيما بعد حرسا خاصا للملك. وفي نفس السنة وصلت بعثة عسكرية فرنسية بناء على طلب مولاي الحسن، الذي كان قد عبر عنه حين توقفه بوجدة سنة 1876/1293 حيث استقبل جنرالا فرنسيا باسم حكام الجزائر، في زيارة لباقة (47). وقد أشار على الملك بعد ذلك مستشاروه بالتخلي عن استقدام الخبراء الفرنسيين اكتفاء بالبعثة الطلابية التي كانت تنتظر عودتها من جبل طارق. ولكن العرض الذي تقدم به مولاي الحسن كان قد أخذ مجراه فلم يسعه إلا تأخير تنفيذه مدة تناهز سنتين مع التعبير عن ندمه على استقدامهم. ولكنه اتخذ احتياطات خاصة لإبعادهم عن مصادر الأسرار العسكرية. وكانت مهمتهم تدريب إطارات المدفعية التي كانت موضع اهتمام السلطان مولاي الحسن (49). وكان هو نفسه ذا خبرة بشؤون المدفعية (50).

وقد عمل الأجانب قدر إمكانهم على إقصاء العناصر الإسلامية التي كان يستقدمها المغرب من تركيا أو مصر (51). وبالمقابل، فقد فرضت معاهدة الجزيرة الخضراء على المغرب الإعتماد على ضباط فرنسيين وإسبان لتدريب فرق محدودة من الجيش مهمتها قبل كل شيء، المحافظة على أمن الأجانب !. وهكذا أحدثت معسكرات تدريب وتكوين في الصويرة وآسفي والشاوية وفاس والرباط والجديدة والدار البيضاء وطنجة. واختص الإسبان بالإشراف على مركزي العرائش وتطوان، واشتركوا مع الفرنسيين في

45) المشرفي، الحلل البهية، ص 221.
46) Louis Arnaud, Op. Cit, p. 58
47) مشرفي، م. س، ص 255.
48) Arnaud, Op. Cit, pp. 53-54
49) Op. Cit, p. 59
50) استقصا، 9، 149 ـ 150.
51) الوثائق الملكية، مجموعة 3، 410 ـ 411.

مركزي طنجة والبيضاء. وقد أحدثت هذه المعسكرات سنة 1910م. ومن بين الذين وكل إليهم التأطير :

1 ـ ماسوتيي بالصويرة.
2 ـ مانجان بفاس.
3 ـ داماد بالشاوية حيث تولى تكوين «الكوم».

ويعلق الجنرال كورو الذي يقدم هذه المعلومات، على تكوين الشرطة والجيش بقوله (52) : «فيما يخص طوابير الشرطة والفرق العسكرية بفاس والتي نتولى تدريبها فإن في ذلك سلاحا ذا حدين ، إذا بقينا أقوياء، وإذا اشتد نفوذنا بالمغرب وفرض على السلطان أكثر فأكثر، فإن هذه القوة ستظل في خدمتنا. وسيكون عليها منطقيا أن تقوم يوما ما بتكوين نواة لفيالق مغربية يتم إنشاؤها كما هو الشأن بالنسبة للجزائريين الذين هم عندنا. ولكن، إذا حدث العكس، وأفلت السلطان من بين أيدينا، وتقلص نفوذنا لأسباب خارجية، فإن هذه القوة التي نكونها ستنقلب ضدنا» (!). وقد خولت هذه الفرق المنظمة أحسن تنظيم إمتيازات لم تحظ بها الفرق الأخرى. ومع وجود الإطارات الأجنبية التي عملت على إحصاء الأنفاس في الموانيء، لم يمنع ذلك من نشاط حركة تهريب الأسلحة التي استخدمتها عناصر تعمل لحساب الأجنبي كبوحمارة مع الإسبان، أو عناصر المقاومة الشعبية التي نشطت بشكل غير منظم في هذه الفترة التي أصبحت فيها السلطة الرسمية للبلاد مقهورة أمام التكالب الدولي القائم عسكريا وسياسيا في عين المكان.

والواقع أن مولاي الحفيظ حاول أن يتخلى عن الخبراء الأجانب الذين انسحبوا مؤقتا واستدعى من تركيا أحد عشر ضابطا، ولكن قواد الرحى المغاربة لم يتعاونوا معهم، ومن ثم فشلت مهمتهم في المساعدة على إقرار الأمن والإنضباط في صفوف الجيش (53). وهكذا لم تؤد هذه المحاولة المتواضعة، إلى تحقيق نتيجة تذكر. ويظهر أن البعثات الكثيفة التي سبق تكوينها بأوروبا في أيام مولاي الحسن لم تقع تعبئتها كلها في الميادين التي أهلت لها، ولم يصبح إلا قليل منها مسؤولا عن تكوين الأطر الوطنية، وقد تعاونت عدة قوى رجعية على إبعاد هذه العناصر، وأتم الخبراء الأجانب بنفوذهم، إقصاءها بصفة نهائية. وقد انتهى الجيش النظامي قبيل الحماية مباشرة إلى حوالى 3250 منها 650 من البواخر، وأربعة طوابير من المشاة وفرقة هندسة عسكرية من 200 رجل وثلاثة طوابير من الخيالة (54). وهذا العدد الضئيل لا يمكن أن يحمي حتى العاصمة في حالة هجوم قوي. وقد ساعد على تنظيم هذا الجيش الصغير المدني الكلاوي حينما كان صدرا أعظم أيام مولاي عبد الحفيظ (55).

وقد نشطت حركة التجنيد الإجباري على الأخص أيام الحسن الأول، ولم تكن تشمل سكان البوادي وحدهم بل عمت أنحاء البلاد على اختلافها. وإن أساء التصرف في عمليات التجنيد عدد من المكلفين المخزنيين (56). ولما كانت التقنيات العسكرية تتطلب تكوينا متخصصا فإن السلطة المغربية عملت على تكوين بعثات طلابية بالخارج كما مر، لتأطير المجندين. ولكن أحداث التدخل

---

52) Général Gouraud, Mauritanie Adrar, pp. 309
53) Arnaud, Op. Cit, p. 288
54) Op. Cit, p. 290
55) Ibid
56) استقصا، 9، 148، محمد داود، تاريخ تطوان، 6، 166.

الأجنبي كانت تسير بسرعة تتجاوز نشاط المغرب في تنظيم نفسه. كما أن الدولة ظلت عاجزة من الوجهة المالية عن تنظيم عسكري واسع النطاق.

وقد تناقص عدد قوات الجيش النظامي بصورة مدهشة فيما بين ولاية مولاي إسماعيل ونهاية السلطة المخزنية قبل الحماية. فقد سبقت الإشارة إلى أن عدد عساكر البخاري كان 150 ألفا منها 80 ألفا وزعت على القلاع والحصون و70 ألفا على المعسكرات (57).

وبلغ عسكر البواخر المستقرين بالرملة في أيام مولاي عبد الله ستين ألفا. وكان عسكر الثغور يبلغ في مجموعة 16500 أيام محمد الثالث (58). ومع ذلك فعهد هذا السلطان ذهبي من حيث الإصلاحات والمنجزات التي تحققت فيه. وكان من الحاميات التي تركها مولاي إسماعيل. حامية بأقصى جنوب موريطانيا انصهر أعقابها في السكان (59).

وواجه المخزن الحسني ثورة بجبالة. بحوالي 15000 مقاتل بما فيها الجيش النظامي. غير أن هناك جيوشا من فرسان القبائل تعمل في خدمة الدولة عند الحاجة. فكان القائد الشعبي موحا وحمو الزياني يقود 15000 رجل في مواجهة ضد آيت سخمان ومثلها في مواجهة ضد الرحامنة. وذلك أيام مولاي عبد العزيز (60). غير أن العناصر القبلية والجيش النظامي العامل معها في نفس العهد لم تتمكن مع عددها البالغ 40.000 ثم 50.000 من سحق ثورة بوحمارة (61) التي لم يتم القضاء عليها إلا بعد ذلك.

وقد حفظت بعض الوثائق المتأخرة زمنا. والتي تضم أسماء جنود وضباط حامية بكاملها كما هو الأمر في حامية تطوان سنة 1877/1294. والسجل يحتوي على أسماء القواد والجنود مع أوصافهم البدنية الخاصة حسب طريقة الموثقين. والسلاح الذي حازه كل منهم مع قيمته النقدية (69).

كذلك نعرف تفاصيل أكثر دقة عن حامية طنجة التي استقرت تقريبا على نفس التنظيم والعدد بعد فتحها سنة 1684 إلى أوائل العهد الحسني. وكانت هذه الحامية كبيرة العدد نسبيا حيث بلغ مجموعها 3600. أي ما يزيد عن مجموع الجيش النظامي ليلة إقرار الحماية. وضمن هذا العدد كان هناك 2400 بين فارس وراجل و500 مدفعي (!) و700 بحري. وقسم الفرسان والمشاة إلى وحدات مئوية على رأس كل منها قائد المائة. وخصصت ثلاث وحدات للمخزنين أي المخازنية الذين يعملون في خدمة الإدارة ويقطنون مساكن صغيرة بالقصبة. وتكون عدة مآت رحى يقودها قائد الرحى. كما يتولى المدفعية قائد الطبجية. والبحرية رئيس البحر (63).

وفيما بين عهد محمد الرابع ومولاي الحسن لم يتغير عدد أفراد الجيش تقريبا وإن تطوروا نوعا، وقد جند محمد

57) زياني، بستان، ص 37.

58) استقصا، 61.8

59) محمد الامام بن ماء العينين، الجاش الربيط، ص 19.

60) Arnaud, Op. Cit, pp. 73 et 115

61) Op. Cit, pp. 171 et 186

62) محمد داود، م. س، ص 168 ـ 170.

63) Villes et tribus du Maroc, Vol. VII, 375

الرابع حينما كان وليا للعهد 26 ألفا منها ألف من المشاة والباقي فرسان. وكان عدد الجيش أيام الحسن الأول حوالي 25 ألفا من النظاميين ولكن كانوا أحسن تدريبا (64).

وكان القائد العام يحمل اسم العلاف، وهو أيضا بمثابة وزير الدفاع، ويتولى إلى جانب دوره في التنسيق إدارة الشؤون المادية للجيش من مؤونة وكسوة ورواتب (65). ويصحب الجيش قاض يفصل في دعاوى الجند تبعا لأوامر السنة. ويقود الحملات الكبرى ولي العهد أو العلاف أو الميلالاي (66)، وهو مصطلح تركي، وقد استخدمت المصطلحات التركية في الجيش والإدارة من عهد الوطاسيين (67).

الرواتب والإنعامات

استقر راتب الجندي النظامي بصفة عامة ولفترة طويلة على مبلغ مثقال شهري أي عشرا واق (68). وقد صار هذا المبلغ غير كاف في عهد مولاي سليمان، علما بأن الجندي كان يتكفل بتموين فرسه، وأن راتب جندي المشاة لا يتجاوز ثلثي المبلغ، بل لا يبلغها، لكن الجنود النظاميين كانوا يتوفرون على أرض خاصة لاستغلالها، مما يعوض نقص الراتب. وقد يحصل الجيش على إنعامات خاصة عند اعتلاء العرش من لدن ملك جديد، فقد وزع مولاي أحمد نجل مولاي إسماعيل مبلغ مائتي ألف مثقال، وكان هذا المبلغ سخيا مع كونه عملة ذهبية حتى أطلق على مولاي أحمد لقب الذهبي الذي لزمه مثل سلفه القديم أحمد المنصور الذهبي. وبالمقابل رفض خلفه مولاي عبد الملك أي إنعام على الجيش بعد تنصيبه (69).

أما الزي فيختلف أمره حسب الظروف، فإذا كان مضمونا في فترات التنظيم وثراء الخزينة فقد يتعذر تزويد الجيش به في فترات عدم الإستقرار ونضب الموارد المالية (70). كذلك فإن التموين في ظروف الحرب يرتبط بالوضعية المالية للدولة. وعلى العموم تتعاون القبائل التي يمر بها الجيش على تموينه، فإذا طالت إقامته أصبح غير ممكن أن تتحمل نفقاته، وهذا يؤدي إلى قيام الكثير من عناصره بأعمال النهب، وربما انسحبت أعداد كبيرة، خصوصا العناصر غير النظامية التي لا راتب لها.

وفي عهد السلطان محمد الرابع ارتفع راتب الفارس ست مرات عما كان عليه أيام مولاي سليمان، وخصص للراجل نصف المبلغ أي ثلاثة مثاقيل شهريا (71). وقد بدا إغلاق الإنعامات والمكافآت على الجيش خصوصا في الثغور الرئيسية وبالنسبة لعناصر المدفعية بصورة محسوسة من عهد مولاي عبد الرحمان (72). حتى إذا تولى مولاي الحسن ظهر عناية متميزة بالجيش في غمرة الأوضاع

---

64) بنشنهو، البيان المطرب، ص 40.

65) ن. م. وص.

66) ن. م. وص.

67) أنظر مصطلحات تركية أخرى في الوثيقة التي سبقت الاشارة اليها (تاريخ تطوان، 6، 168 - 170).

68) استقصا، 8، 61، Caillé, La petite histoire du Maroc, 2, 147 وانظر تقريرا فرنسيا يتناول خصوصا وضعية الجيش المغربي في عهد مولاي سليمان؛

69) Caillé, Op. Cit p. 13

70) التقرير المشار اليه سابقا.

71) محمد داود، تاريخ تطوان 6، 29.

72) ن. م. ج 8، 64، 67، 76، 306.

الدقيقة التي كانت تعيشها البلاد. ويقدم الناصري معاصره وصفا طيبا عن الشمائل الإنسانية التي أظهرها هذا العاهل أثناء عودته من جولته الطويلة التي قادته إلى شرقي المغرب حيث يقول :

«وقفل أعزه الله راجعا، فأدركه فصل الشتاء بتلك الجبال والفيافي، فاشتد البرد، وقلت الأقوات، وهلك بسبب ذلك عدد كبير من الجند، ولحق الناس مشقة فادحة، وأظهر السلطان نصره الله يومئذ من الشفقة والبرور، ما تناقله الناس وتحدثوا به؛ فإنه كان يسير بسير الضعيف، ويقف على المرضى، حتى يصلح من شأنهم، ويأمر بدفن من يدفن، وحمل من يحمل، وإذا سقط لأحد دابته أو رحله وقف عليه بنفسه حتى يعان عليه؛ وهكذا، إلى أن دخل حضرة فاس، بحيث أدرك به عيد الأضحى من السنة، فعيد بها، وتفرغ للنظر في أمر العسكر يقوم عليه بنفسه، ويعرضه على عينه، ويتصفح قوائم مؤنه ورواتبه، فاطلع أيده الله على ما كان يدلسه القائمون على ذلك من الزيادة الباطلة، فعزل من عزل، وأدب من يستحق التأديب (73)».

والفقرة الأخيرة توضح دور العناصر الإدارية والقيادية الرديئة في تأزيم الوضع وتسهيل مهمة الأطراف الإستعمارية.

وأخيرا ارتفع راتب الراكب في العهد العزيزي إلى نصف ريال، والراجل إلى ربع ريال، ولكن تجهيز الجيش والنفقات الحربية في المواجهات الداخلية أفرغ الخزينة من الأموال (74)، بالرغم من التراجع الكبير في عدد أفراد الجيش النظامي.

قواد الجيـــش

ظلت القيادة العليا من اختصاص العاهل، ويقوم العلاف بالتنسيق المركزي، وقد يتولى هذا التنسيق وزير يحظى بثقة الملك حتى ولو كانت مؤهلاته أو وظيفته الرسمية الأساسية غير عسكرية، وكثيرا ما يقوم العاهل بقيادة الحملات، وقد يقوم بذلك ولي العهد وأمير غيره. والفرق العسكرية تحتفظ بانسجامها الإجتماعي الخاص ومن ثم فكل مجموعة معينة يتولى القيادة الخاصة بها ضابط منها، فالمجاهدون الريفيون الذين تولوا فتح المهدية كان عليهم عمر بن حدو البطوئي الريفي ثم أخوه أحمد (75)، والبخاري يتولى قيادتهم عناصر من بينهم، كعبد الله الحمري (76)، وسعيد بن العياشي والباشا الزياني (77)، والحاج إبراهيم بن رزوق قائد جيش الخيل (78)، (الخيالة)، وكذلك تولى قيادة الأودايا ضباط أو قواد من نفس العنصر كقدور بن الخضر في عهد سيدي محمد بن عبد الله (79) وعياد بن أبي شفرة في عهد مولاي سليمان (80) والطاهر بن مسعود المغفري الحاني والحاج محمد بن فرحون الجراري، وكلاهما في عهد مولاي سليمان أيضا (81).

---

73) استقصا، 9، 144.
74) Arnaud, Au temps des mehallas, p. 18T
75) استقصا، 7، 64.
76) ن. م. ص 137.
77) ن. م. ص 197.
78) ن. م. ج 8، 157.
79) زياني، بستان 101، استقصا، 8، 15.
80) استقصا، 8، 105.
81) ن. م. ج 9، 32.

ومن بين قواد الجيش السوسي إبراهيم بن سعيد الجراوي في عهد محمد الرابع والحاج منو في عهد الحسن الأول (82).

وعدد غير قليل من بين هؤلاء القواد وغيرهم قاموا بحركات تمردا وساهموا في تدبير مؤامرات ظلت في حل الأحوال لصالح هذا الأمير أو ذاك من الأسرة المالكة. كما خضع غير واحد منهم للعزل أو النقل وربما لعقوبة السجن أو الإعدام ومن أواخر قواد الجيش النظامي في عهد مولاي عبد الحفيظ، إدريس ولد منو، ومبارك السوسي والقائد بوهو. وكان المنبهي في أيام مولاي عبد العزيز وزيرا للحربية. وكان عاميا أو شبه عامي، ولكن يتميز بحدة الذكاء مع تمرسه بفنون الدس والوقيعة في العناصر ذات الكفاءة.

وكان لمجاهدي البحر حتى نهاية حركة الجهاد البحري التي تعاونت فيها السلطة والعناصر الشعبية قواد من بينهم، ويعد أبرزهم إطلاقا ابن عائشة الذي تولى إمارة البحر رسميا في عهد مولاي إسماعيل تقديرا لنضاله وكفاءته. كذلك احتفظت حركة الجهاد الشعبي المحلي حول سبتة ومليلية بزعامتها الخاصة مع تشجيع متوال من المخزن إلى ما بعد حرب تطوان. فضلا عن الجهود التي بذلت على نطاق الجيش الوطني غير ما مرة لتحرير المدينتين. وهكذا الشأن في الدفاع عن منطقة الصحراء الغربية وموريطانيا والتي تعاون فيها الزعماء المحليون مع السلطة الرسمية حتى اقترب عهد الحماية. ولا بد من اعتبار أن العمال والولاة الإداريين هم في ذات الوقت مسؤولون عسكريون إما في مناطقهم أو يتولون تسيير العمليات مؤقتا في جهات أخرى. وقد يمنع على الولاة التدخل في الشؤون العسكرية، حسب الظروف ونظر السلطة العليا حيث تخضع الحامية لتوجيهات مركزية.

الأسطـــول

إذا كانت حركة الجهاد البحري قد انتعشت في العهد الإسماعيلي أو استمرت على الأقل في ممارسة نشاطها من غير عائق، فإن إعادة تنظيم البحرية الوطنية على نطاق الدولة قد تم بشكل مشرف في عهد السلطان محمد الثالث، ففي هذه المرحلة كانت بعض الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا قد بلغت شاوا بعيدا في تطوير قوتها البحرية بفضل تقدمها الميكانيكي. وهكذا تابع المغرب في حدود إمكانياته هذا التطور في وقت كان يخطط لاسترجاع ما تبقى من ثغوره المغتصبة. وقد حصل المغرب في هذه الفترة على سفن من بريطانيا وتركيا والسويد (82). وبدأ اهتمام سيدي محمد بن عبد الله بتنظيم الأسطول في أوائل ولايته حيث زار منطقة الحدود المصطنعة مع سبتة سنة 1759/1173 وتأكد من ضرورة محاصرة المنطقة برا وبحرا. وكان يستفيد من كل الفرص الممكنة لتقوية الأسطول الوطني بما في ذلك الإتصال بالتجار الأوروبيين المقيمين بآسفي لتزويد المغرب بتجهيزات الأسطول (84). وحينما أهدى للسلطان مصطفى العثماني هدايا ثمينة عاد الوفد المغربي بهدية من هذا السلطان هي عبارة عن سفينة مجهزة بالآلات الحربية مع ثلاثين خبيرا في المدفعية فأنزلهم العاهل المغربي بالعرائش (85) سنة 1767/1181. وفي إنزالهم بهذا المركز المتقدم رمز إلى الأهمية البالغة

82) ن. م. ص 144. Arnaud, Op. Cit, pp. 36 et 57

83) Caillé, Op. Cit 2, 45

84) الزياني، بستان، ص 100.

85) ن. م. ص 107.

التي كانت تحتلها المنطقة الشمالية في بوتقة السياسة المغربية.

وانتهج المغرب سياسة واسعة النطاق في ميدان تكوين إطارات البحرية حيث نجد أن ستمائة من آيت عطا وأربعمائة من البواخر يتم تدريبهم سنة 1787/1202 على شؤون البحرية العسكرية في سواحل طنجة. وقد وزعوا على 20 باخرة. وقاموا بمناورات بحرية لمدة شهرين (86). وهذا عدا موانىء أخرى كانت تكون بها الإطارات أيضا. وبلغ عسكر البحرية في عهد محمد الثالث ألفا من المشارقة. وجلهم أتراك. وثلاثة آلاف من المغاربة. وألفين من الطبجية أي رماة المدفعية (87). ولا مبالغة في هذا التعداد باعتبار أن مراكز التكوين كانت كثيرة كتطوان وطنجة وسلا والرباط والعرائش. وبلغ عدد السفن عشرين وعدد الغلائط والفراكط ثلاثين. كما كان رؤساء البحرية ستين (88). وإذا كان ابن عائشة قد تولى قيادة الأسطول المغربي في عهد مولاي إسماعيل مثلما قام برئاسة بعثات دبلوماسية إلى أوروبا. فإن قيادة الأسطول في عهد محمد الثالث أسندت إلى الأمير مولاي اليزيد الذي تميز بروح نضالية ووطنية عالية. حتى إن المصادر الأجنبية خاصة تتهمه بكراهية الأجانب. وقد ضم إليه والده السلطان محمد الثالث قيادة المدفعية أيضا (89). وكانت أكبر سفن المغرب لهذا العهد تحمل إسم المعونة (90).

وقام مولاي اليزيد من جهة بتدريب مات من البحرية والطبجية ورماة القذائف. من سلا والرباط والدار البيضاء. على رمي الأنفاظ بإدارة عامل الشاوية القائد الحطاب وقيادة الضابط الرباطي محمد بن عسيلا (91).

على أن القوة البحرية الوطنية قد بدأت تضعف بصورة ملموسة بعد محمد الثالث. ذلك أن المغرب أصبح أمام أساطيل قوية من فرنسا وانجلترا وإسبانيا وكلها جاثمة بموانئه أو بجواره. وكلها أغنتها الكشوف الاستعمارية وخيرات المستعمرات. وموارد المغرب مع وجود حصار اقتصادي فرنسي شرقا وإسباني شمالا لم تعد كافية لسد النقص الخطير الذي عرفه المغرب في الميدان الحربي. وهكذا لم يعد المغرب في عهد مولاي عبد الرحمان يتوفر على أكثر من سبع بواخر حربية منها اثنتان في حالة عطب (92). ولجأ هذا العاهل إلى محاولة بعث الحركة الجهادية البحرية حيث كلف الربانين عبد الرحمن بركاش وعبد الرحمن بريطل باعتراض السفن التي تقترب من المياه الإقليمية، إلا أن حادث اعتراض بعض السفن النمساوية أدى إلى هجوم الأسطول النمساوي على العرائش سنة 1829/1245 مما جعل المغرب يوقف عمليات الجهاد البحري بالرغم من أن المهاجمين تم طردهم بفضل شجاعة السكان المحليين (93). غير أن الإطارات البحرية ظلت تؤدي تداريبها وتتقاضى رواتبها وانعاماتها. ولائحة فرقة البحرية ورماة المدفعية بتطوان لسنة 1246 هـ والتي تبلغ

86) زياني، بستان، ص 154.

87) ن. م. ص 157.

88) ن. م. وص. استقصا، 8. 70. ـ 279. Heeter, Empire du Maroc, p. 279

89) بستان، ص 159.

90) الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ص 171.

91) ن. م. ص 235.

92) Hoefer, Op. Cit

93) استقصا، 9. 24 ـ 25.

نحو المائتين بأسمائها كما احتفظت بذلك الوثائق (94). دليل على أن المخزن لم يفقد الأمل في استغلال ما بقي لديه من إمكانيات. بل يمكن القول ان المغرب عرف لأول مرة تنظيم أسطول خفر السواحل. حيث نرى أنه يوصي بصناعة خمسة مراكب تخصص لمراقبة المياه الإقليمية حول الرباط- (95). سنة 1828/1244. كما يتم تحويل سفينة تجارية سنة 1841م

تجارية سنة 1841م إلى سفينة خفر لشاطىء الريف. حيث يكتب العاهل إلى عامله بتطوان يخبره ويأمره قائلا : ...«وبعد فقد عينا المركب الجهادي المعروف بالاسكونة التي رئيسها الحاج أحمد والحاج للتفرصين بكوشطة الريف (أي لحراسة شاطىء الريف). على من لم يبق من مراسه شيئا سرقة، إذ ذاك كله على وجه الكونطرا بانض... فزدها أربعة طبجية. وثمانية. بحرية بمكاحلهم من العرائش وأصيلا وطنجة. يصير ما فيها واحد وعشرون بالرايس (96)...». ولما كانت شواطىء الريف تشهد تحركات مريبة للسفن الأجنبية. فقد وجه السلطان محمد الرابع تعليمات مشددة إلى عامله بتطوان عبد القادر أشعاش بمزيد الاحتياط وتشديد الحراسة على الشواطىء بوصفه مسؤولا إداريا وقائدا عسكريا (97). ومن الطريف أن السلطان العثماني مصطفى بن عبد الحميد رغب إلى العاهل المغربي سنة 1807/1222 في العمل على إقامة حراسة بحرية حول مضيق جبل طارق. منعا للسفن الروسية أن تجتاز منه حتى لا تهاجم الجزر التابعة للأمبراطورية العثمانية في البحر المتوسط. وكانت تركيا في حالة حرب مع الروس في هذه الفترة (98) وقد استجاب المغرب لنداء الأتراك. ولكن يظهر أن الروس لم يفكروا في المرور عبر جبل طارق. وعمليا لم يكن المغرب يتوفر على قوة بحرية كافية لمجابهة الأسطول الروسي (حوالي خمس بواخر حربية وعشر بواخر صغيرة بالمجاذيف) (99).

وتبعا للتقاليد المغربية القديمة والتي لها نظائر في مجتمعات أوروبية وإسلامية وغيرها فقد توارثت أسر بكاملها الميل إلى العمل في سلك البحرية كأسرة بريطل وبرگاش من الرباط وأسرة عواودة وفنانشة بسلا. غير أن هذه الأسر شانها كشان سائر قوات البحرية وجدت نفسها عاطلة ومكتوفة الأيدي عن أداء مهمتها على إثر المعاهدات الدولية التي حددت شروطا قاسية لمراقبة السفن واستخدامها في عرض البحر. وعلى الرغم من الإهتمام الخاص بتجهيز الموانىء ومراقبتها في العهد الحسني. فإن العمل بتجديد الأسطول لم يتقدم بشيء يذكر حتى أن الباخرة «الحسني» تم بيعها والإستغناء عن ملاحيها الإسبان بعد وفاة مولاي الحسن. وانتهى الأسطول إلى باخرة صغيرة باسم «البشير» في عهد مولاي عبد العزيز. لكن ذكريات الأمجاد العسكرية الوطنية الماضية لم تمت.

إبراهيم حركات

---

94) تاريخ تطوان، 211/8، و252.

95) ن. م. ص 179 و181.

96) تاريخ تطوان، 8، 348.

97) ن. م. ج 6، 40.

98) استقصا، 2، 113.

99) يتعلق الأمر بعهد مولاي سليمان Caillé, La petite histoire, 2, 154



للأستاذ محمد بن محمد العلمي

في عيد عرشك صبحنا يتألــــق،   والجو عرس قد كساه الرونــــق

عيد سعيد خالد متجــــدد   أكبادنا شوقا له تتحــــرق

من جنة الفردوس هب عبيــــره   عودا ومسكا في المحافل يعبــــق

فبكــل ثغــر بسمــة وترنــم   والشعب قلب بالصبابة يخفــــق

وبكل فكر للفنون روائــــع   أو شاعر صاغ البدائع مطلــــق

فاللفظ يأتي بالمحبة طيعــــا   فيرصع الأسلوب وهو منمــــق !

يترقب الأموات بعثا كي يــــروا   أفراح عيدك تستجد وتخلــــق !

أنوار جدك في بهاك تناسقــــت   فلأنت نور من سناه مشــــرق

أحييت سنته الكريمة، مؤمنــــا   متبتلا، بسلوكه تتخلــــق !

٥ ٥ ٥

إشعاعنا بالعرش رمز حياتنــــا   والكوثر الفياض والمتدفــــق

من مصدر الإلهام آفاق الــــرؤى   تمتد، إذ فيها الخيال يحلــــق ؛

إن الذي خلق الجمال أحبــــه   وأحب صبا في الجمال يحــــدق !

والعرش في عمق الضمير موطــــد   والكنز للغواص إذ يتعمــــق

في المغرب، الإسلام يبني حصنــه بالعرش من فيه الفراسة تصـــدق ،
عرش شمولي يصون عروبـــة، وأصالة لبقائها يتعشـــــق
من كان يدعو للإله بقلبـــه، ويمينه، فالجفن منه مـــؤرق
وهمومه روح اهتمام كامـــل بملاحم لبلوغها نتشـــوق
فالدين والدنيا مدار نشاطـــه وكرامة الإسلام فيها الأسبـــق !
إخلاصنا لله رمز وفائنـــا للعرش من يحمي الذمار ويعتـــق ،
(وادي المخازن) قبله (زلاقـــة) بهما الوشائج والأواصر أوثـــق،
إذ عرشنا عبر العصور حمايـــة لبلادنا من كل شر يحـــدق،
يرنو إلى (الأرك) العظيمة مجدنـا، فلنحن دوما في الجهاد نوفـــق !

٥ ٥ ٥

ومسيرة الصحـراء يعـرف قدرهـا قسم بذمتنا الوفية أليـــق
خلصت لنا النيات في توحيدنـــا فبه يزول مثبط ومعـــوق
ما قام منا للحمية فيلـــق، إلا وهب إلى التنافس فيلـــق
إيماننا أمـسى ينير سبيلنـــا، وبهالة القرآن يزهو المفـــرق،
والكون يشخص بالضمير لشعبنـا، فيرى المسيرة معجبا ويصفـــق
ما ضرنا من ينكرون حقوقنـــا، فالله يحبط كل ما قد لفقـــوا
ما ضرنا من تاجروا بضميرهـــم ! قد خاب مرتزق عميل بيـــذق !
ما ضرنا كيد الدخيل ورهطـــه، فالبغي في نفس المكايد يصعـــق
لم يغفل التاريخ شيئا عنهمـــو، فغدا يسجل خزيهم، ويوثـــق،
إن الأصيل إلى الأصول رجوعـــه، فيما يخطط دائما ويطبـــق
والنصر للحق المبين مؤكـــد، وذووه بالمجد المؤثل أخلـــق
يحمي الحمى رب غيور قاهـــر، هو بالعداة ومن غووهم محـــدق !

٥ ٥ ٥

هذي (فلسطين) السليبة تشتكـــي، و(القدس) يخنقها المجال الأضيـــق
يطغى الدخيل، ويستبد بأمـــره، ويدوس حقا للأباة ويخـــرق ،
لا ! لن تكون (القدس) عاصمة لـــه ، تدبيره هذا خسيس أخـــرق !
و(المسجد الأقصى) يبث حريقـــه لضميرنا، والقلب منه مرهـــق

ومليكنا (الحسن) المظفر قد دعا   للقمة الأولى، بجفن يأرق
حدث عن (الجولان) جيشا باسلا،   بفدائه يهب الدماء ويهرق
و(الطائف) احتضنت (رباط الفتح) في   ظرف لجوهر حالنا يتطرق !
وتحقق الأمل الذي نهفو له،   وانجاب ليل للمآسي مطبق
في مطلع القرن استفاق ضميرنا،   واجتيز من هول التباعد خندق !

٥ ٥ ٥

في بيعة الإجماع نصر باهر   للعاهل المحبوب، فهو موفق ؛
من روح والده العظيم تبلورت   أخلاقه، والحر طبعا يحذق
هبة السماء أتت به فتحا لنا،   فبه قد انفتح الرتاج المغلق
إذ (لجنة القدس) استفادت منه ما   بهر الحجى فيما يرى وينسق
قد أنفق الجهد الكبير جهاده،   والله بارك دائما ما ينفق
فمن العقول إلى القلوب نفوذه،   وبه غدت همم العلا تتعلق
يصغى لحكمته الوجود جميعه،   فيسجل التاريخ فيما ينطق.
وبالاجتهاد والابتكار لقد غدا   أمثولة فيها المواهب تشرق.
فوق المنابر كم له من وقفة   عليا، لها أكفاؤه لم يرتقوا ؛
علم، وذهن ثاقب، وسياسة   مثلى غدت للمعجزات تحقق
إن الثقافة، والبلاغة، ميزتـ   ـان لمن يرى بفؤاده ويدقق
والمصلحون تعززوا بإمامهم،   فالغرب عظم قدره والمشرق !
شتى اللغات يجيدها بمهارة،   وبها مع الأقطاب راق المنطق
ومواقف الشرف الرفيع جلية،   فالجيد منها بالجميل مطوق
تلك الريادة بالعصامي ازدهت،   فله سمو في العلا وتفوق
وله الولاء عقيدة نحيا بها،   إذ كلنا شغف به وتعلق !
فالشكر للعرش المجيد لأنه   يسدي لنا الخير الجزيل ويغدق
إن اكتفاء الذات غاية قصده،   في حفظ الاستقلال مما يلحق
وإذا الفلاحة وحدت قاموسها   أمسى العطاء لأرضنا يتدفق
(مليون هيكتار) سقت جناتها   تلك السدود... مياهها تترقرق
ونرى السياحة والصناعة فيهما   وجه الحضارة، والثراء المطلق.

والوحدة الكبرى لقد قمنا لهـــا ... برزانة، وقريحة لا تقلـــق

ليس التعقل عندنا ضعفا. ففـــي ... إيماننا بالحق لا نتملـــق :

فوجودنا الوطني جوهر ذاتنـــا، ... وكذاك نؤمن بالهدى ونصـــدق

معنى التفاهم أن نصون ترابنـــا ... متماسكا. لا يعتريه تمـــزق

وسيادة الأوطان في أفيائهـــا ... إنا لأحلى الحسن منها نعشـــق !

طبع الوفاء لقد تجلت عنـــده ... شخصية لبلادنا تتألـــق

والصحوة الكبرى تؤكد مجدنـــا، ... فلنحن فيها للهدى نتـــذوق

والعروة الوثقى شعار سلوكنـــا، ... فالحق يعلو، والضلالة تزهـــق

والمسلمون تعززوا في وحـــدة، ... ورماهم الدخلاء حين تفرقـــوا

من حول قائدنا الهمام تضامنـــوا، ... وعلى سواه جميعهم لم يلتقـــوا

فهمو قد التمسوا الهدى من نبعـــه، ... وتسنموا قمم العلا، وتسلقـــوا

تلك العناية من رحيم مبـــدع، ... فبلطفه اتسع المجال الضيـــق

فاسلم أمير المؤمنين لأمـــة، ... تسعى بعزمك للسباق فتسبـــق !

ياعترة الهادي الأمين. ونفحـــة ... نبوية من طيبها نستنشـــق !

٥ ٥ ٥

تلك الثريا لا مثيل لحسنهـــا، ... فبها لقد سطع الفضاء الأعمـــق

حفظ الإله مليكنا الشهم الـــذي ... يرعى الرعايا بالحنان ويشفـــق

وأحاط باللطف الخفي بلادنـــا، ... فهو الرحيم لخلقه، من يرفـــق

ورعى (ولي العهد) في كنف العـــلا، ... وكذا (الرشيد)، ففيه صبح مشـــرق

وحمى من الأشراف بيتا ماجـــدا، ... في عشقه وجداننا يستغـــرق !

محمد بن محمد العلمي

المجالس العلمية الإقليمية
أسلوب حسني لتجديد أمر الدين وحماية عقيدة المواطنين

للأستاذ الحسين وجاج

قبل سنة من اجتماع المجالس العلمية بمدينة مراكش يوم ثالث عشر ربيع الأول 1401 لمناقشة مشروع الظهير الشريف المتعلق بإحداث المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية بشرني مستشار صاحب الجلالة الأستاذ الكبير السيد الحاج أحمد بن سودة في بعض لقاءاتي معه بأن أمير المومنين الحسن الثاني أعزه الله، سينجز في المستقبل إنجازا من شأنه أن يجدد الدين، ويحمي عقيدة المواطنين، ويدخل الفرح إلى قلوب المومنين، ويمكن العلماء من دورهم التاريخي في هذا البلد الأمين ثم أضاف يقول : ولولا انشغال جلالته بمتطلبات الدفاع عن الوحدة الوطنية، لسمعتم الآن ما يسركم.

وها نحن ولله الحمد، قد شاهدنا ذلك الإنجاز الذي أحيا الآمال، ورفع أعلام المروءة في هذه الديار، وأدخل السرور إلى قلوب المسلمين في كل مكان، انه المجالس العلمية التي نصبت أخيرا في جل أقاليم المملكة ربطا لحاضرها الزاهر بماضيها المجيد، وتشجيعا لرجال العلم على تحمل مسؤولياتهم التي أبعدوا عنها من طرف رجال الاستعمار الذين بذلوا كل ما في استطاعتهم للقضاء على الروح الإسلامية في نفوس الشباب المغربي، وتشويه المقدسات الوطنية، رغبة منهم في اذلال هذا الشعب وإلهائه عن القيام بواجبه نحو دينه ووطنه وملكه، ونحو إخوانه المسلمين في أنحاء المعمور.

وانشاء المجالس العلمية في الحقيقة أسلوب حسني لتجديد أمر الدين والتعريف به بين المواطنين، ويتجلى هذا في الخطاب الملكي السامي الذي ألقاه أمير المومنين الحسن الثاني أعزه الله في العاشر من رمضان المنصرم، ذلك الخطاب العظيم الذي حدد فيه المقاصد المتوخاة من انشائها والأهداف التي يجب تحقيقها في هذا الظرف العصيب من تاريخ الإنسان بكيفية عامة، والإنسان المغربي بكيفية خاصة، حتى يمكن لهذا البلد أن يبقى كما كان دائما بلد الايمان والإحسان، محصنا من خطر الموبقات، وبلاء الايديولوجيات، وداء المنكرات.

وقد أدرك أمير المؤمنين الحسن الثاني بفكره الثاقب أن الدواء الناجع هو في تحريك العلماء العاملين، وتمكينهم من حقهم التاريخي في توجيه الأمور، وتوعية النفوس بالأسلوب الإسلامي الذي لا يستهدف إلا تعميم الخير بين الناس، فقرر أعزه الله أن يكرموا في كل إقليم ويجندوا للجهاد الأكبر حتى يزودوا الأمة على اختلاف طبقاتها بما تحتاج إليه من أسباب التقوية والتنمية والصلاح، ويثيروا فيها النخوة الإسلامية، ويزكوا فيها روح التضحية والجهاد في سبيل التحرير الحقيقي وإعلاء كلمة الله.

ولم يكن أعزه الله في هذا العمل الذي أنجزه بدعا من آبائه وأجداده المنعمين، فقد كانوا مهتمين ايما اهتمام بالجانب العلمي والديني واتخذوا المستشارين من رجال العلم المراقبين لربهم، والراغبين في إصلاح إخوانهم والعاملين في سبيل رفع سمعة وطنهم، الأمر الذي جعل المغرب ممتازا بين الأقطار الأخرى، ومتقدما أكثر من غيره من حيث الفكر الحضاري والتقدم العلمي والسلوك الاجتماعي والتدين المثالي عبر أطوار تاريخه الحافل بالبطولات والمطبوع بالمكرمات.

ويظهر أن المسؤولية اليوم لن تكون إلا على العلماء في التقصير، وخاصة بعد هذه الحركة الحسنية للعلم والعلماء في إطار هذه المجالس العلمية التي جدد بها أمير المومنين الحسن الثاني الدور التاريخي الذي كان دائما للعلماء مع آبائه وأجداده الملوك العلويين، بحيث يجدون في رعايتهم كل المشجعات التي تمكنهم من اداء واجبهم الإسلامي على أكمل وجه. بل وأكثر من ذلك العلاقة التاريخية التي كانت بين الملوك والعلماء منذ صدر الإسلام، بحيث تجد رجال السيف ورجال القلم في كل زمان ومكان متعاونين على حمل الأمانة وحماية العقيدة، وتجديد أمر الملة والدفاع عن الوحدة الوطنية.

وإذا تجاهل بعض الناس دور العلماء في التوعية والتوجيه، وحال بينهم وبين ما يشتهون في الدعوة والتنبيه، فإن أمير المومنين الحسن الثاني أبى إلا أن ينصفهم، ويفسح أمامهم المجال للعمل في إطار الدعوة الحق، والتجديد المفيد، بالأسلوب الإسلامي الحكيم، حتى يتمكنوا من دفع الخطر عن الأمة، والتعريف بهذا الدين الذي هو الدين عند الله. ولقد قام أعزه الله بواجبه حينما دق ناقوس الخطر، ووضح الأسباب والأهداف في الظهير الشريف المؤسس إذ قال :

«وقد قر رأينا بعد أن أصبحنا نشاهد ما ينذر به شيوع بعض المذاهب الأجنبية من خطر على كيان الأمة المغربية، وقيمها الأصلية، أن يستمر عملنا المتواصل في إطار مؤسسات تنتظم فيها وتتناسق جهود العلماء الأعلام للعمل برئاسة جلالتنا الشريفة، وإرشاداتنا على التعريف بالإسلام، وإقامة البرهان، على أن ماجاء به صالح لكل زمان ومكان في أمور الدين والدنيا، وان فيه غنى عما عداه من المذاهب والعقائد التي لاتمت بصلة إلى القيم التي يقوم عليها كيان الأمة المغربية».

وعلى هذا فالأسباب التي أدت بأمير المومنين إلى إنشاء المجالس العلمية واضحة كل الوضوح وهي كما يبدو تنحصر في أمرين اثنين :

أولهما هذا الخطر الذي يهدد كيان البلاد في مقدساتها وعقيدتها واخلاقها وما يتطلبه من تعبئة الجهود للقضاء عليه، وتحصين البلاد من ويلات الحيرة والالحاد والمسخ والتمزق والانهيار.

ثانيها العمل على التعريف بالإسلام وإقامة البرهان على أن كل ما جاء به صالح لكل زمان ومكان، لأنه الدواء المفيد لكل الأمراض، والعلاج الوحيد لكل الموبقات التي مهد لها الاستعمار الطريق لتعمل عملها في أبناء هذا الشعب الأصيل، والملتزم بتعاليم الإسلام عبر العصور، فيصبح نتيجة تعليمه المنحرف، وتوجيهه المضطرب ممسوخا ومشوها، وبالتالي عاجزا عن اصلاح نفسه، والقيام بدوره التاريخي في الإشعاع وتوجيه بني الإنسان.

لهذا كانت بادرة أمير المومنين الحسن الثاني أعزه الله في الوقت المناسب، لأن الشعب بدوره جرب كل الايديولوجيات، واستمع طويلا إلى دهاقنة التشويه والفساد، فتبين له أن لاملجأ من الله إلا إليه، وأن الطريق الصحيح هو مادعا إليه عاهل البلاد في حركته المباركة، وفي تفسيره العملي لرسالته التجديدية التي بعثها إلى المسلمين بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، والمتمثل في إنشاء المجالس العلمية في مختلف الأقاليم لتشجيع الحركة الإسلامية وإعلاء منارات المروءة في البلاد.

وبعد هذا كله ليس أمام العلماء إلا أن ينشطوا أكثر وأكثر في حركاتهم الإصلاحية منفذين أمر الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجددين للأمة أمر دينها سائرين في الطريق الذي رسمه أمير المومنين الحسن الثاني لحماية المغرب والمشرق من خطر المذاهب والنحل، ووباء الايديولوجيات والموبقات، والعمل على نشر دين الله الحق في المجتمعات.

إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قبسٌ من

الوَهج المتألّق

للأستاذ محمد بخات

أقر بادىء ذي بدء حقيقة لا يسع إنسانا أن ينكرها أو حتى أن يتجاهلها، ألا وهي أن أمير المؤمنين - مع ما متعه الله به من حنكة سياسية على مستوى عال قل نظيره في قادة الدول قديما وحديثا، ومع ما سلحه الله به من خبرة قانونية تدل على عبقرية فذة - يحق لكل مغربي - أن يعتز بها ويفخر - مفكر ديني مسلم مؤمن سليم الفطرة نقي السريرة، آمن بالله ورسوله إيمان رجل درس وحقق فعرف الحق وآل على نفسه أن يتبعه ويعمل بـه مهما كلفه ذلك من جهد وتضحية.

ولو رجعنا إلى خطبه كلها - حفظه الله - وإذ أقول «كلها» فأنا أعني ما أقول، وأضع ضمنها حتى ندواته الصحفية والإستجوابات التي يجريها معه الصحفيون، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، أقول خطبه كلها تنطق بإيمان راسخ عميق قويم، يوضحه قول سديد يستمد سداده من نبع الإسلام الصافي، ويسنده عمل متواصل دؤوب لا يني ولا يفتر لخدمة الإسلام والمسلمين لا على الأرض الطيبة التي أكرمها الله بإمامته فقط، بل على سائر المواطن التي يوجد بها الإسلام والمسلمون.

إن دراسة الفكر الديني عند أمير المؤمنين من خلال خطبه السامية تفتح آفاقا كثيرة شاسعة للبحث والإستقراء حول دور القائد المسلم في قرننا العشرين هذا، وتعطي نموذجا لهذا القائد في شخص أمير المؤمنين الحسن الثاني حفظه الله ورعاه، نعم ! إن هذه الخطب والندوات والإستجوابات هي من نتاج ظروف خاصة ببلدنا، هي التي أوحت بها وألهمت القائد الملهم النطق بها، إلا أن التزام هذا القائد ، بخط الإسلام وحدوده لا يحيد عنها ولا يزيغ، في مواجهة هذه الظروف ومعالجتها، وانتماء هذا القائد إلى عالم إسلامي شاسع عريض، يمتد من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي ومن شمال آسيا الصغرى إلى أواسط إفريقيا، هذا العالم الواسع العريض الزاخر الذي جرب أنظمة الغرب والشرق، فما عادت عليه بسوى الهزائم المرة والنكبات المتكررة المتتالية، فشعوبه الآن ملت الحلول المستوردة، وهي تتطلع إلى كل تجربة جديدة مستوحاة من صميم واقعها، ولا واقع لها إلا الإسلام..

كل هذا يجعل من فكر الحسن الثاني تجربة جديدة يتطلع إليها بحنين وشوق ولهفة كل من سلمت فطرته ونيته من مناضلي المسلمين ومجاهديهم، ولن أكون مبالغا إذا قلت إن غير المسلمين من قادة العالم الثالث سيجدون فيها ما يغني تجاربهم بدم جديد وأسلوب جديد في الكفاح من أجل التقدم بشعوبهم ورفعها إلى مصاف الدول المتقدمة، وأقولها بصوت عال لكل من ألقى السمع وهو شهيد ، إن تجارب الحسن الثاني القائد المسلم المؤمن الملهم ستعطي لمناضلي هذا الربع الأخير من قرننا العشرين أمثلة غاية في الروعة والدقة والتنظيم والتخطيط والصدق والتضحية والشجاعة، وما تجربة الحسن الثاني في المسيرة الخضراء واسترجاع الصحراء عنا ببعيدة.

أول ما نجده عند الحسن الثاني هو تواضع المؤمنين الذين لا يجدون لأنفسهم فضلا إلا ما آتاهم الله من فضله، وفي جوابه - حفظه الله ورعاه - عن سؤال أحد الصحفيين العرب بعد المسيرة

الخضراء خير دليل على ارتفاع الرجال العظام في تواضعهم الجم. فقد أطنب الصحفي في مدحه والإشادة بمآثره والثناء عليه. فما كان من جلالته إلا أن أجابه بخير جواب يفوه به رجل مؤمن يعرف فضل الله عليه. قال جلالته على ما أذكر : «الشكر لله أولا وآخرا» ثم مضى يجيب الصحفي عن سؤاله.

وقد كنت أنوي عند بداية كتابتي لهذه السطور أن أرجع إلى خطب كثيرة لأمير المؤمنين التي فيها كل ما يسعد به قلبه وتطمئن به نفسه.. ولكنني وجدت نفسي أقف مبهورا أمام المعاني الزاخرة والعواطف الجياشة التي فاض بها مقطع واحد من خطبة واحدة.. فاضطررت إلى الإكتفاء في هذه العجالة بهذا المقطع على أنه جهد المقل..

لقد كان جلالته يدرك تمام الإدراك كل ابعاد قضية الصحراء وعواقبها وما تتطلبه من جهد وتضحية وبذل.. وبكل صراحة وبساطة يبصر شعبه بكل هذا فيقول : «... لأن قضية الصحراء بالنسبة لنا هي قضية فلسطين، فيلزمنا إذن إذا كنا مستعدين لكي نضحي في سبيل الصحراء بأرواحنا، يلزمنا أن نواجه التضحية على الصعيد العالمي، لكي نراجع مواقفنا فيما إذا نحن لم نجد من الأصدقاء والأشقاء ما ننتظره من دعم، ونحن مستعدون لمراجعة سياستنا كلها ولو كان ذلك بمثابة الجرح الأليم، فلهذا شعبي العزيز عليك أن تتخذ من 20 غشت منطلقا، منطلقا للوعي، منطلقا للتفكير العميق.

عليك أن تعلم أن قضية الصحراء ليست هي قضية في متناول الجميع. عليك أن تعلم أن القضية سوف لا نذكرها بعملية في الداخل جغرافيا، فالمسألة صعبة، عملية الصحراء سوف لا تسقط بين أيدينا كما تسقط الفواكه بين أيدي الذين هم تحت الأشجار ينتظرون أن تسقط الفواكه، مسألة الصحراء من ناحية المقياس الجغرافي والستراتيجي وما تنطوي عليه من إمكانيات ومن أبعاد جيو سياسية، كل هذا يجعل أننا إذا كنا نحن مصممين على أن نسترجعها فاسترجاعها للمغرب، أقول ، يستحق وأكرر يستحق أن يخذل المغرب من طرف بعض الناس الذين كان ينتظر منهم الخير لما في قضية الصحراء من مخلفات ومن عواقب ومن إمكانيات، فقضية الصحراء هي بمثابة الإمتحان النهائي، وليس جزئيا، فهي بمثابة الإمتحان النهائي بالنسبة للمغرب ومستقبل المغرب وإرادة المغرب أن يربط مستقبله كما كان ماضيه مربوطا، أن يربط مستقبله بأصدقائه وأشقائه الأفارقة وأن لا يبقى معزولا بين بحرين وصحراء على رأسها حكم مزيف لا يلبث ثلاثة أو أربعة أسابيع حتى يأتي حكم آخر ليكون هو الحكم الحقيقي يتقمص الحكم الصحراوي ويرجع لنا بعد ذلك بأمبريالية جديدة أو الإستعمار المقنع». من خطاب لجلالته بمناسبة ذكرى 20 غشت ماذا يمكن أن نستخلص من هذا المقطع ؟

أ - إن جلالته يعتبر أن قضية فلسطين وقضية الصحراء شيء واحد، وكفاحه من أجل استرجاع الثانية هو كفاحه من أجل إثبات وضمان حقوق عرب فلسطين ورجوعهم إلى ديارهم وأرض آبائهم وأجدادهم... إن قضايانا الداخلية، وهمومنا الخاصة في هذا الجزء الذي نعيش فيه من أرض الإسلام لا ينسينا أن لنا إخوانا يقاسون نفس الألم.. من أجل هذا نبذل لهم عوننا ونفتح وعيهم على تجاربنا ونفتح لهم قلوبنا وصدورنا.

ب - ونحن جزء لا يتجزأ من عالم يعيش عصرا متفجرا.. يجثم على فوهة بركان ينذر بقذف الحمم واللهب في كل حين.. وهو أيضا عالم قد محيت فيه تماما كل المسافات الزمنية والمكانية. عالم يطحن الإنعزاليين الذين يريدون أن ينطووا على أنفسهم، يجترون همومهم منفردين، أو يستهلكون خيرات بلدهم منفردين لا ينفعون ولا ينتفعون.. عالم القوي فيه هو من استطاع أن يجر إلى صفه أكبر قدر من الأصدقاء والأنصار من جميع المعسكرات على ألا يقع في أحابيل دعاة الأحلاف.. ولن تعرف قيمة أية أمة إلا إذا جعلت من امتحانات الحياة لها ليس ذكريات للإحتفال وأعيادا قومية للزهو والإختيال فقط، بل لمراجعة السياسة التي كانت تسير عليها تجاه هذا الصديق أو ذاك الشقيق.. أما العدو المصر على عداوته فالموقف منه يظل ثابتا لا يتغير، ولا تتغير إلا أساليب المواجهة تبعا للظروف وإعادة النظر في أسلوب معاملة من لم يرع حرمة الأخوة ولا ذمة الصداقة كثيرا ما تحدث في النفس الحرة الأبية جروحا أليمة عميقة، لما يحسه المرء من خيبة مرة فيما إذا لقي النكران والجحود ممن كان يضمر لهم كل المودة وكل الوفاء وكل الإخلاص ويصنع معهم كل معروف وجميل.. ورغم كل هذا فإن إعادة النظر هذه كثيرا ما تكون منطلقات لوعي جديد وسياسة جديدة...

ج - النصر لا ينال سهلا، والنجاح حليف بذل الجهود والتضحية بالغالي والنفيس، وقبل كل ذلك وبعده أيضا الدراسة الوافية الشاملة لكل عناصر القضية التي يريد المرء النصر فيها، وانتظار كل المحتملات وإدراجها ضمن مخطط العوائق التي قد تقف في طريق بلوغ المنى.. وإذا كانت الغاية كبرى - والطموح لا يسعى إلا إلى معالي الأمور - فلا ينبغي أن ندهش أو نعجب إذا خذلنا فيها من كنا ننتظر منهم العون والسند.

د ـ وكل قضية كبرى نسعى فيها إلى النجاح، لا ينبغي أن تبقى قضية فرد، بل ينبغي أن تعتبر قضية شعب بأسره، امتحانا نهائيا لإرادته في العيش الحر الكريم، وفي أن يكون قدوة لشعوب تنظر إليه بعين الإجلال والإحترام، وتتطلع إلى تجربته في مواجهة الصعاب على أنها التجربة الرائدة.

هـ ـ عالمنا كما قلت قبل قليل انعدمت فيه المسافات الزمانية والمكانية، لا مكان فيه للمنعزل المنطوي.. وبلدنا بحكم موقعه بين بحرين وصحراء يرفض تماما أن ينعزل في ضمن هذا الإطار الجغرافي الضيق.. يريد أن ينفتح على العالم يأخذ ويعطي ليعيش ويرقى ويساهم في إنماء حضارة الإنسان ورقيها وتطورها على أرضنا الطيبة، وماضيه كله عاشه مرتبطا بأشقائه الأفارقة، حمل إليهم دعوة الإسلام غضة طرية، وآل على نفسه أن يتعهدها على مر العصور ويرعاها.. إذن هو بلد دعوة كريمة يريد أن يحملها إلى الناس.. بلد يريد ألا ينعزل لأنه يعرف خطر الإنعزال عليه وعلى حضارته وعلى دعوته التي حمله التاريخ والموقع مسؤوليتها، وها هو يحملها اليوم وسيظل لها حاملا متحديا كيد الحاسدين ومسهلا كل الصعاب والعوائق.

قلت قبل قليل إنني كنت أنوي الرجوع عند بداية كتابتي لهذه السطور إلى خطب عديدة لأمير المؤمنين، ولكنني وقفت حائرا عند مقطع صغير من خطبة واحدة.. أوحى إلي بالكثير الكثير، حتى أنني لم أدر ماذا آخذ منه ولا ماذا أدع.. وما هذه العجالة إلا غيض من ذلك الفيض.. قطرة من ينبوع يعد بالعطاء الثر الفياض.. والله أسأل أن يحفظ لنا أمير المؤمنين ويطيل عمره، وأن يقر عينه بسمو ولي عهده إنه سميع مجيب.

الرباط ـ **محمد بخات**

• إذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام، حسبما أدركوه وتصوروه، وعلى النحو الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدفعنا إلى مواصلة نفس الدور، لكن على نحو جديد ونمط فريد، يتناسب مع معطيات هذا العصر

جلالة الملك الحسن الثاني

التجربة المسرحية في المغرب

خلال 22 سنة

(1)

للأستاذ حسن الطريبق

عرف المسرح المغربي خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1960 و 1982 تطورات لاتخلو من إيجابيات . ولقد انعكست هذه الإيجابيات على بعض عناصره الأساسية دون عناصر أخرى، نتيجة التفاوت الموجود بين مؤثرات تحريكها، مما لا يساوي بين تطوراتها الجزئية ولا يوجد بينها في تكامل فني يمنحها اكتمالا ناضجا في كلية هذه العناصر.

لكن، مع ذلك، فإن إيجابيات هذه العناصر الأساسية، ساعدت على أن يتلمس المسرح المغربي طريقه ويحقق طفرات مشجعة، فتمكن بهذا، من مبارحة البطء الذي كانت عليه حركته، واستطاع أن يعرب عن شبه تحول فني مجزء التقدم والتجاوز.

معنى هذا أن ألوانا أخرى أخذت تبرز في دنيا المسرح المغربي، وقد برزت بالخصوص، في تقنيات الإخراج ومتطلبات العرض والتشخيص والديكور والاضاءة والتجهيز بعد سنة 1960 كما برزت في التأليف وفي تطوير إشكاليته ومراتبه، وفي إصباغه بصبغة يحاول المؤلفون والكتاب جهدهم أن يجعلوها متميزة ذات ارتباط بجدلية الواقع المغربي في تكاثفاته الاجتماعية والفكرية والحضارية نسبيا واعتمادا على المصادفة فقط أن هذه الألوان الجديدة التي جاءت آخذة بما تمخض عنه التفاعل الثقافي بالصدفة والاحتكاك الفني مع الثقافات والتيارات الإنسانية الأخرى، استطاعت أن ترهص بما يتوثب إليه المسرح المغربي الآن ليخرج إلى عالم الناس متحدثا بلغة أخرى قد يفهمها من هم خارج حدود المغرب.

لقد استمرت الاستمدادات التي كان يسترفدها بعض المسرحيين طافحة على السطح يستقطرون منها اقتباساتهم بشبه تطابق مع أصولها، وتظهر ملامح هذا الاستقطار في أعمال أحمد الطيب العلج (ولي الله)، و (حليب الضياف)، و (الأكباش) (1) و (النشبة) وغيرها، ذلك أنه لم يستطع الخروج عن مدار (موليير) إلا في نطاق جزئي لا يوحي بتميز في التصور أو اجتهاد في مزج الاقتباس بعملية الإبداع لكي يستقر اقتباسه على أرض مغربية يتشكل فيها مولده بما يتلاءم مع طبيعتها.لكن ذلك لم يكن مزيلا مفتاح الحركة من يد الرجل تماما إذ كانت له فضائل تقنية تتمثل في تركيزه على الحوار المسجوع أحيانا والمنمق في لهجته العامية التي غالبا ما يخلطها بألفاظ وجمل فصحى أو قريبة منها، كما تتمثل هذه القصائد في اختيار نماذجه الاجتماعية وإيثاره لنفس الطبقات التي كان يركز عليها موليير، إلا أنه مع هذا كان يجهد نفسه ليلونها بما يوافق طبيعتها في البيئة المغربية بإثارة ما يخدم قضاياها الجزئية البسيطة وفي نطاق الفرجة التي ليس من ورائها هدف كثير.

هذه الاستمدادات التي كان يسترفدها مسرحيونا انشعبت انشعابا متعدد الصور بحيث يمكن تحديده في :

1) **الاقتباس :** ولقد طغت موجته فترة طويلة نسبيا، بحيث انه كمثال نجد عروض (الفرقة الوطنية للتربية الشعبية) المؤسسة في 1956 قد بلغت إحدى المرات اثنين وخمسين مسرحية مقتبسة كانت ضمنها اثنان وعشرين من اقتباس أحمد الطيب لعلج ،وقد

استقى مواضيعها من كتابات موليير أو ضمن الحياة الشعبية «كأمير الزلط» و «الشطاب» و «حادة» (2) وكانت غاية هذا النشاط الاقتباسي ترفيهية.

كما أن الطيب الصديقي اقتبس من مسرح العبث بجرأة ومهارة واتكأ على (صمويل بكيت) و (يوجين يونسكو) واستخلص من لامعقولية عبثية (تخص حضارة أوربية مخالفة لطبيعة الحضارة المغربية العربية الإسلامية) دلالات ذات تعدد في حركتها وسيرورتها وذات تخلص في ماهيتها ومرماها من القلق الميتافيزيقي الأوربي الأصلي، إذ حتى في التسميات، اختار ما يلائم البيئة المغربية بذكاء وبغرابة مقبولة جدا مثل (مومو بوخرصة) المقتبسة عن (اجديه).

ان ظاهرة لافتة للنظر قد طغت على السير المسرحي بالمغرب، هي اضطلاع جملة من المخرجين بتوجيه وخلق المناخ المسرحي تأليفا وإخراجا وتمثيلا وعرضا، وان طغيان هذه الظاهرة قد ترتب عليه ضمور بعض العناصر وازدهار بعضها الآخر، حسب غلبة هذا الجانب على ذاك عند هؤلاء المخرجين. وهذا ما جعل العناصر التقنية ترتفع مستوى عن العناصر الفكرية والموضوعية، مما لم يتوفر معه التكامل في البناء والتحديث والمواكبة الناضجة لسير التجربة المسرحية العالمية، أي أن تأرجحا بين النقط والاكتمال قد حدث وصار يؤثر في تجربتنا تأثيرا ملحوظا، ولعل كثرة الاقتباسات عند العلج والصديقي والبدوي وحتى عند عبد الله شقرون وعبد الصمد دينية خلال فترة طويلة، نتجت عن انعدام الرؤية والتركيز وانعدام القدرة والتفرغ لتهييء وخلق النصوص المسرحية الخالصة.

2) **الترجمة :** وان ما يقال عن الاقتباس يقال عن النصوص المترجمة أيضا، ذلك أن الصديقي تفرغ فترة لترجمة مسرحيات عديدة عن (صمويل بكيت) و (كلدوني) و (أونسكو)، و (جول رونار) وغيرهم، ورغم براعة الصديقي في عنونة مسرحياته المترجمة، (الوارث) و (في انتظار مبروك) و (مولات الفندق) فإنه لم يتألق مسرحيا إلا بحشده للتقنيات وبحسن استخدامه لها مع براعته الاخراجية والتمثيلية بذكائه في إيجاد تقابلات حميمة الصلة بين عناصر المسرحية الميدانية الفذة.

إبداعيا فإن الصديقي يأخذ بأشكال عديدة في مترجماته ويغترف من معين مختلط المصارة لكنه لا يقصد من اغترافه إلى هدف فني هادىء وعميق الدلالة والمرمى والبناء، وغالبا ما نجده يركز على تقنيته بمهارة وتيقظ وكذلك نجده يذهب إلى المزج بين الاقتباس والترجمة دون قصد هادف. المسألة، ببساطة، مبنية على مصادقات دائمة التغير بحسب تغيرات الأجواء سياسيا وفنيا وثقافيا بالبلاد، ولعل أكثر ما يقتل الفعالية المسرحية عامة، هو الاتكال على الصدفة والركون إلى مقايساتها العابرة وكأنها خلق مسرحي راجح.

إن الرجوع، إلى أعمال مسرحية كبيرة لترجمتها وإعادة تشخيصها، مهم في حد ذاته، لكن الرجوع إليها لإعادة تركيبها بإبداع خصوصي ينطلق منها انطلاقا جديدا هو أهم بكثير من مجرد إعادة اجترارها وتشخيصها بالصورة الحرفية التي وردت عليها.

فلو نظرنا إلى (الكترا) و (فدرة) مثلا، لوجدنا أن عدة مسرحيين ومبدعين درجوا على إعادة تركيبهما بمفاهيم متطورة جدا، فكانوا بهذه الإعادة متجاوزين للسكونية ومضيفين أشياء إيجابية للمسرح الإنساني عامة. ولعل هذا ما يعوز مسرحيينا خلال المرحلة المحددة عندنا في هذه العجالة بمترجماتهم.

الترجمة الفرنسية المستعارة : !

ان ما يشخص حالات التردد والحيرة، جنوح بعض المؤلفين والمخرجين إلى البناء على مترجمات مسرحية فرنسية بنفس اللغة المترجمة بها (أي الفرنسية) ويمكن اتخاذ المسرحي المعروف (فريد بنمبارك) كمثال على ذلك، حيث ا، عرض : (بنادق الأم كرار) لبريخت، و (نزهة في الريف) لارابال، في نطاق (المسرح الجامعي) وانه لم يكن من هدف يرمي إليه من هذا العرض لهما، سوى مجاراة المصادفة العابرة بانحياز - هو عين الترف المسرحي المغلوط - إلى مؤثرات دخيلة هجينة.

إزاء هذه المواضعة القائمة على المصادفة العابرة، ارتجت القيم المسرحية ارتجاجا مؤسفا، وبقيت، هذه المصادفة متحكمة في سيرورتها، مما ترتب عليه انتكاس محقق.

على أنه يجب أن لانفهم المصادفة على أنها شابهة لما قصده «جون تابغ» الذي نادى بتغيير كلمة شرح وتعويضها بكلمة «واقعة» التي تفتح مجالا للمصادفة (3)، ولكنها مصادفة ساذجة عند مسرحيينا لايحث عليها وعي أو مسؤولية ولا يصنع ظروفها احتكاك أو استنباط أو تفاعل في غاية التنبه والحرص، وغالبا ما يفضي أمرها إلى إخفاق متتابع، هذا وان كانت جهود بعض المسرحيين أحيانا تتجه إلى البحث الجاد لابتكار طرق أخرى ملائمة حتى في اختيار المترجمات أو في إعادة تركيبها بل وحتى في إعادة تنظيم الإخراج، وكثيرا ما كان أمرها إلى فشل أيضا (4) رغم جديتها، لأن تحكم المصادفة في سيرورتها يصير سببا رئيسيا في فشلها.

التأليف والوضع : هذه صورة أخرى من صور الانتعاش الحاصل في عالم المسرح المغربي لكنها كانت دالة على شيء من الإيجابية ولا سيما مع ظهور جيل جديد كان يحاول جهده أن يبتكر ويحلق في فضاء مسرحي حقيقي (برشيد - العراقي - شهرمان - عبد السلام الحبيب - تيمود - محمد الكغاط الخ..

ان مسرح الهواة هو الذي أخذ يعطي للمسرح المغربي خلال عقدين من السنين نفسا جديدا في التأليف وأخذ يطور نفسه عن طريق تطوير جهود المؤلفين والمخرجين معا. فكانت صورة هذا التطوير تصاعدية في الغالب. ذلك أنه منذ أن عرضت مسرحية «حروب بلادنا» لعبد الهادي بوزوبع سنة 1960 بالرباط حدثت وثبات متتابعة أطرد بها الصعود النسبي على كل حال ، (كاليغولا) للجندي (موت اسمه التمرد) لعبد السلام الحبيب، (نكسة أرقام) و (الضفادع الكحلة) لشهرمان و (قراقوش الكبير) و (عنترة في المرايا المكسرة) و (عرس الأطلس) و (فاوست والأميرة الصلعاء) لعبد الكريم برشيد) الخ..

التنافس في البحث عن الأشكال المسرحية :

لقد ادخلت هذه العناصر الشابة تحسينات على المسرح بإضافة عنصر التأليف إلى حلقاته الموجودة وبتعدد وتشكل يهدفان إلى استخدامات رمزية وأسطورية ميتافيزقية وواقعية. إلا أن ذلك لم يبلغ درجة ناضجة بالتمام والكمال. وإنما ظهر من هذا السير الجاد لتلمس الطريق والاعراب العملي عن حسن النية في التوجه والقصد.

لقد تفاعلت عناصر مختلفة مع بعضها البعض واتجهت طاقات احترافية وهاوية إلى التنافس والعطاء. وظهر البحث عن الأشكال المسرحية الجديدة قويا جدا حيث عاود الصديقي محاولاته لاستخراج ما في التراث من مسرحه أو من مواد قابلة للتمسرح و «ربما تتيح لنا تجربة الطيب الصديقي فرصة ثمينة للتأمل، انطلاقا منها، في محاولات المسرحيين العرب الدائبة بحثا عن صيغة عربية للمسرح» (5) لأنه أراد أن يضيف نصوصا عربية أصيلة إلى ما يقدمه مسرحه (المقامات) مثلا. كذلك فإن استمرار البحث عن مسرح احتفالي يروج له برشيد من الملامح التي تكشف عن مصداقية البحث وجديته لكن كل هذا لم يكن ليحيى أملا يحصل معه الاطمئنان النهائي إلى مستقبل المسرح المغربي.

فالمسرح لا يزدهر إلا إذا اشتركت الأحاسيس نحو المشكلات الاجتماعية العامة وارتقت النصوص لتعبر عن هذه الأحاسيس في مناخ ملائم يشع فيه الاطمئنان الحق.

ان البحث عن الأشكال المسرحية عند الهواة والمحترفين معا أخذ يلج في التجريب ولم نلحظ للمسرح التاريخي الذي كان أصل البداية الطيبة في التجربة المسرحية المغربية سنة 1923 أي يتجدد به حضوره ولم تلحظ المسرح الغنائي الآخذ باعتبار الجانب الأدبي وبإدخاله في الإنجاز والممارسة على الخشبة. ولكننا لاحظنا شيئا من التجارب، كانت ضمنها بعض «الربيرتوارات» التي يتكرر حضورها في المواسم والحفلات الوطنية بالإضافة إلى ما يمكن تسميته تجاوزا - بالأوبرات مثل (بناء الوطن) و (القنطرة) حيث ظهر نوع من التسابق إلى الغنائية الفاقدة لعنصر التسويق والإثارة الإيقاعية الجديدة.

على أن ادخال الحكائيات والخرافيات إلى المسرح لتكون عنصر جذب وتسلية، ولا سيما في ميدان الطفولة. قد حصل لدى الجندي في (سيف ذي يزن) إلا أن كل هذا بقي يدل على حيرة مسرحية ليس لها من مرتكز إبداعي بعيد الاثر ببلادنا. فالأمر يتطلبه أحداث تقاليد مسرحية تراعي فيها التعددية بحسب نوعية المؤثرات والاختيارات. ولقد بذلت جهود مختلفة من لدن الجهات المسؤولية في ميادين التجهيز (مسرح محمد الخامس مثلا) والتقنين، إلا أن ذلك بقي عند حدود لاتستجيب للطموح.

بقي هناك نوع من التأليف المسرحي خارج مدار الحركة الميدانية لأنه اكتسب اعتبارات أدبية وصار وكأنه أدب خالص لا يجد طريقه إلى الخشبة. وهو على قدر من الحيوية والنضج نتيجة مستويات أصحابه ثقافيا وإبداعيا.ولقد تكون قيمته الأدبية - وحتى المسرحية - سببا في هروب المخرجين والممثلين ومديري المؤسسات والجمعيات المسرحية عن التعامل معه. زيادة على أسباب أخرى.

ان هذا النوع من التأليف المسرحي مزدوج فيه النثري وفيه الشعري. وسنركز الآن على تفصيل القول فيه.

يتبع

حسن الطريبق

تاريخ طنجة

2

للأستاذ الحسن السائح

كان الأتراك يمثلون بالنسبة للمغرب الخطر الشرقي وبالأخص عندما طوروا أسطولهم البحري وجابوا البحر المتوسط مطاردين للسفن التجارية والحربية للإسبان والبرتغال والهولانديين والإنجليز.

أما اسبانيا فقد اهتمت بالسياسة الأوروبية وحماية سفنها العابرة للأطلس والمتوسط، ولم تحتفظ إلا بسبتة والعرائش لحفظ حركة الأسطول وسارت البرتغال بعد استقلالها على نهج اسبانيا فاستعادت سيطرتها على طنجة والبريجة. في سنة 876 ـ 1471 أي عندما قام الوطاسيون احتل البرتغال أصيلا بأسطول من 308 باخرة وثلاثين ألف مقاتل، وقتلوا من المغاربة ألفين وأسروا خمسة آلاف وفي نفس السنة سقطت طنجة في أيديهم.

كان الوطاسيون يشدون قبضتهم على الغرب المغربي فحاول أبو عبد الله سنة 907 استرداد أصيلة واسترداد طنجة فلم يوفق سنة 907.

وكانت البرتغال تولي حملاتها على المغرب لضعف استعداد المغاربة العسكري بعد نهاية دولة بني مرين بالإضافة إلى التعصب المسيحي استجابة لنداء البابا الذي يحض على حرب المسلمين وغزو بلادهم سيما بعد تفوقهم البحري. وزاد العامل الإقتصادي ضراوة حدة الصراع فالبرتغاليون كانوا يبحثون عن منافذ لتسريب منتجاتهم التجارية.

وسقطت طنجة في يد البرتغال، وفي سنة 1095 وجه المولى اسماعيل القائد أبا الحسن علي عبد الله الريفي على جيش المجاهدين فحاصروها وأقلعوا الانجليز عنها. ولكنهم خربوه وهدموا أسوارها وأبراجها قبل أن يلوذوا بالفرار. وعادالمغاربة من جديد إلى مدينتهم.

ويذكر الناصر من الاستقصاء أن عقب القائد الريفي ظل في طنجة إلى عهده.

حاول الترك البحث على نقط ضعف في الساحل المغربي فنزلوا بين طنجة وسبتة واهتم الغالب بالله أبي محمد عبد الله بهذه المحاولة الخطيرة على دولته واستنجد بدعوات الشيخ أحمد بن موسى الجزولي واحتفظت اسبانيا بعد استقلال البرتغال سنة 1049 هـ (1640م) بالعرائش وسبتة والمعمورة بينما احتفظت البرتغال بالجديدة وطنجة.

وقد احتل البرتغاليون القصر الصغير سنة 1550/967 وسلم إلى دوبربون ليجعل تحت تصرف الغالب الوطاسي 500 جندي مسلحين.

وفي معركة وادي المخازن سنة 981 هـ اتفق المتوكل مع دون سيبستيان البرتغالي الذي كانت جيوشه تحتل طنجة أن يتنازل له عن الشواطيء المغربية ويحتفظ هو بالداخل. فعبرت الجيوش البرتغالية إلى طنجة ومنها إلى أصيلا.

وقد سلم البرتغال إلى المنصور تلقائيا مدينة أصيلة التي احتلوها سنة 997 ـ 1589 وتم التسليم رسميا سنة 1592 بعد أن خشي فيليب الثاني أن يتجد المنصور أحد المطالبين بعرش البرتغال التي كانت ألحقت بأسبانيا.

وبعد موت المولى اسماعيل واختلاف أبنائه بعد موته ظلت طنجة ملاذا للمضن بالله وتحت حكم أسرة الريفي في عهد المولى عبد الله.

وفي عصر المولى عبد الرحمن وبعد معركة (اسلي) هاجم الفرنسيون طنجة والصويرة ففي وقت واحد رموهما بالقنابل والمدافع واضطر عامل طنجة أبو سلهام على أزطوط اعلان الهدنة باسم السلطان بشروط ثمانية أمليت على المغرب املاء... وظلت طنجة تؤازر تطوان في محنتها بعد انتقاض الصلح مع الإسبان والإستيلاء على تطوان.

إن مدينة طنجة كيان مصغر للتاريخ المغربي. والإحتمال كبير في أن تكتشف في السنوات القادمة أماكن أثرية (كما اكتشف فعلا بعض الأماكن الهامة) قد تغير من الصورة القائمة لدينا عن البدايات الأولى للحضارة المغربية.

إن الوقوف في هذه المدينة التاريخية واسترجاع ماضي الإنسان، له أثر عميق في الفكر والعاطفة على السواء. إن موقع طنجة ومكانها الجغرافي سبب تطور حضارة المغرب وقد كنت أرى أن السيادة تتأتى من سيطرة الإنسان على بيئته الطبيعية. ولكن الحقيقة أن السيادة إنما تعود إلى فهم الإنسان للعالم الحي الذي يحيط به وإلى قدرة الإنسان على تشكيل هذا العالم والملاءمة معه وهكذا بدأ الإنسان المغربي مسيرة الحضارة في منطقة البحرين عندما وجد نفسه بين أوروبا وافريقيا وآسيا فتعلم كيف يتعايش مع مختلف الحضارات تبعا لحاجاته ومتطلباته. استفاد لغويا وحضاريا وعندما تعرف على الفينقيين استوعب مادة حضارتهم وهي في طريقها إلى الأندلس كما أنه عندما هاجمه (الوندال) استوعب ما حملت إليه جحافل الوندال، ومكن لنفسه في ادغال افريقيا محتويا عمق الثقافة الفنية في عالم الإنسان. وعندما هاجمه الرومان والبيزنتان وما تحديناه من حضارة استوعب العمران والعقائد المختلفة.

ثم جاء الإسلام واختلط المسلمون مع المسيحيين واليهود وكونوا ثقافة مغربية تعتمد الإسلام قاعدة كلية ومتسامحة مع مختلف العقائد السماوية. وفي عام 1085 انحصر مركز هذه الثقافة المختلطة - فترة من الزمن - في مدينة طنجة. وكانت بمثابة الميناء الفكري الذي دخلت منه إلى أوروبا جميع المؤلفات التي جلبها العرب معهم إلى إسبانيا من الشرق الأوسط واليونان وآسيا. ومن الأندلس حملت أوروبا جنس الحضارة. لقد بدأ الجنين في المغرب والأندلس في القرن الثاني عشر، وعبر عنه بمدرسة التراجمة بمدينة طليطلة - حيث ترجمت الكتب الاغريقية القديمة (وكانت قد تسببتها أوربا) عن العربية والعبرية إلى اللاتينية. ومن بين الإنجازات الفكرية العديدة التي حققتها طليطلة مجموعة من الجداول الفلكية التي كانت تعتبر بمثابة موسوعة فلكية لمواضع النجوم. ومن الصفات المميزة لتلك المدينة في ذلك العصر أن الجداول كانت مسيحية بينما الأرقام عربية، متطورة قليلا إلى الشكل العصري الذي نتعلمه الآن. وكان أشهر وألمع التراجمة آنذاك شخص يدعى جيرارد الكريموني الذي قدم من إيطاليا خصيصا للبحث عن نسخة من كتاب علم الفلك لبطليموس، عنوانه «المجسطي» وقد مكث الكريموني في طليطلة ليقوم بترجمة أعمال أرخميدس وأبيقراط وجاليتوس، وأقليدس، أي جهابذة العلم الإغريقي. وشروح المفكرين المسلمين من فلاسفة ورياضيين ثم إنحسرت الحضارة الإسلامية وعلى مقربة من طنجة، واد المخازن معركة كانت فاصلة بين الإسلام والمسيحية... ولكن المغرب ظل رابضا متأملا في ذاته باحثا عن هزائمه وانتصاراته... وأخيرا عاد إلى طنجة في عهد الحسن الأول ليؤسس بها مدرسة لتعليم اللغات تعمل على تكوين طلبة (البعثة الحسنية) ليدرسوا العلوم والتقنيات في مختلف البلاد الأوروبية وليعيدوا إلى المغرب رسالته التاريخية.

وجاء مؤتمر مدريد وبعده مؤتمر (الجزيرة) واتفقا معا على أن مدينة طنجة منطقة دولية. وبدأ نور الإستقلال يسطع عندما جاء الملك المرحوم محمد الخامس ليعلن أن المغرب واحد وأنه عربي مسلم.

وأصبحت طنجة ملاذا للمكافحين والمناضلين وتم الإستقلال ليقود طنجة إلى سيادتها على المتوسط والمحيط.

• فمن واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن يشملوهم بالرعاية الكافية، حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء •

جلالة الملك الحسن الثاني

الصحافة الوطنية تحلل
الرسالة الملكية السامية

•• قدمت الاذاعة والتلفزيون تعليقين مهمين على هامش الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى الأمة الإسلامية، كما نشرت صحيفة (الأنباء) سلسلة افتتاحيات حول هذه الرسالة الإسلامية أذاعتها الإذاعة الوطنية ضمن برنامج (قالت الصحافة).

ونظرا لأهمية هذه التعاليق . وسعيا وراء اطلاع قراء (دعوة الحق) على ما كتبته الصحافة الوطنية عن الرسالة الملكية، ننشر بعضها فيما يلي : ••

تجديد الصحوة الإسلامية

جاء في التعليق الأول للإذاعة والتلفزيون ما يلي :

قدم جلالة الملك في الرسالة السامية، التي وجهها إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، استراتيجية شاملة للعمل الإسلامي المسؤول على المستويين الفردي والجماعي، ومن المنطلقين الرسمي والشعبي. فقد حوت هذه الرسالة التاريخية من التوجيهات العامة ما يعد معالم على طريق الصحوة الإسلامية في مراحلها الأولى. وتضمنت، إلى جانب ذلك، أفكارا تحليليــة اتسمت بالسمو والعمق، تعتبر بكل المقاييس، السياسية منها والفكرية، والدينية والثقافية خلاصة وافية لما وصل إليه الفكر الإسلامي المعاصر في مضامينه المتطورة ومدلولاته المتفتحة ومفاهيمه المتحركة.

ولقد أبرزت الرسالة الملكية نوعية التطور الذي تشهده المجتمعات الإسلامية وما يفرضه ذلك، في السياق العام، من نقلة حضارية ترد للدين نصاعته واشراقته، ليس في جوهره وحقيقته، ولكن في قلوب الجماعات الإسلامية وضمائر أبنائها.

ان الشمولية التي تميزت بها الرسالة الملكية الإسلامية، تنبع من طبيعة هذا الدين، وان الرؤية المستقطبة التي طبعت المبادىء الأساسية في هذه الوثيقة الهامة، هي انعكاس للمنهجية التي يدعو إليها الإسلام. ولذلك كان التأكيد على مخاطبة الضمير الإسلامي في كل مكان بنفس اللغة التي اعتمدها ديننا الحنيف والجامعة بين القوة في الوضوح والصراحة. وبذلك تتم الشهادة على الناس، التي أوجبها الله على المومنين في كتابه العزيز.

ان هذا التحرك الحسني الجديد في المحيط الإسلامي لهو امتداد للمواقف المتعددة التي خدم بها جلالة الملك قضايا الإسلام والمسلمين، من دعوته حفظه الله إلى المؤتمر الإسلامي الأول على أرض المغرب إلى مشاركة قواتنا المسلحة الملكية في الدفاع عن المقدسات في فلسطين المسلمة، إلى ترأس جلالته للجنة القدس، كل ذلك مكرس أساسا لقضية مركزية تستحوذ على اهتمامــات

المغرب قيادة وأمة على مدى التاريخ. وتتجلى بوضوح تام، في الدفاع المستميت المتواصل عن الإسلام كعقيدة وشريعة وحضارة وحرية ومنهج حياة صالح لكل البشر ولمختلف العصور.

ان المغرب المسلم القابض على أمر دينه بوعي ورشد، يقود مسيرته اليوم قائد يستشعر عظمة الأمانة المقدسة، ويقدر ثقل العبء الذي يتحمله أولو العزم من قادة المسلمين في فترة بالغة الدقة والخصوصية. ومن المؤكد أن الرسالة الملكية التي خاطب فيها جلالته مليار مسلم هم قوة سلام ومحبة في العالم، لا يمكن أن تكون إلا تعبيرا عميقا عن هذا الاقتناع بحيوية الدور الذي تنهض به المملكة المغربية في الساحة الإسلامية من المحيط إلى المحيط.

ويعطي جلالته أهمية خاصة لهذا الجانب من رسالة المغرب، فيقول حفظه الله في صدر رسالته السامية.

«ومنذ ولانا الله أمر هذا الجانب الغربي من دار الإسلام ضاعفنا الجهود لتعزيز جانب الدين في كل حين، ولم ننقطع عن العمل المتواصل لبعث حيويته وتجديد معالمه وإبراز محاسنه للموافقين والمخالفين، اقتداء بصاحب الرسالة وخاتم النبيئين عليه الصلاة والسلام، وإيمانا منا بأن دين الحق لابد أن يبقى ظاهرا مستمرا على مر الأيام مصداقا لقوله تعالى : **«ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا»**».

ولسنا في حاجة إلى القول أن استمرارنا في هذا السبيل، بحكمة وتبصر قيادتنا المؤمنة، وعرشنا المجاهد، من شأنه أن يظهرنا على الأمم والشعوب، ويجعل مركزنا مصدر إشعاع إسلامي نافذ.

ومن هنا، تأتي إحدى حيثيات الرسالة الملكية الإسلامية في مفتتح القرن الهجري الخامس عشر.

والسلام عليكم



جاء في التعليق الثاني للإذاعة والتلفزيون ما يلي :

«استوفى جلالة الملك الحديث حول صلاحية الشريعة الإسلامية وأهليتها للسيادة والهيمنة على جميع مرافق الحياة مبرزا، حفظه الله، في جلاء ووضوح كاملين، مرونة الشريعة وشموليتها واستيعابها لمختلف جوانب النشاط البشري.

وقال جلالة الملك بهذا الخصوص : «ان من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا الله بها شريعة فكرية في مبادئها، منطقية في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل».

ان رؤية الرسالة الملكية إلى أبعاد ومقاصد الشريعة الإسلامية وتحليلها للمضامين الغنية التي انطوت عليها، كل ذلك يعكس ايمان جلالة الملك وثقته حفظه الله في ثراء شريعتنا الغراء وملاءمتها لظروفنا الراهنة والمقبلة باعتبارها وعاء للحلول العملية والمنصفة لمشاكل المسلمين وقضاياهم، كما يؤكد ذلك، من جهة أخرى القدرات الذاتية التي تجعل المسلمين في كل عصر وجيل في غنى عن استيراد الأفكار والإيديولوجيات والاكتفاء الذاتي في مجال العقيدة والاقتناع الديني الذي يحدد رؤية موقف الأفراد والجماعات من الإنسان والكون والحياة.

وقد أولت الرسالة الملكية اهتماما دقيقا لهذه الخاصية من خصائص الشريعة الإسلامية التي هي ليست في حاجة ـ وكما قال جلالة الملك ـ إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل.

وان عناية جلالة الملك بتبيان هذه الجوانب المشرقة من الشريعة الإسلامية، والتركيز على إبراز أحكامها العادلة وإنصافها وعدلها واعتدالها من الوضوح بمكان.

يقول جلالة الملك :

«في نطاق مبادىء الشريعة وقواعدها والمحافظة على روحها يمكن لكل مجتمع أن يبلغ غاية ما يطمح إليه من التطور والنمو والكمال والسمو، بل كلما تقدمت البشرية خطوة إلى الأمام، وجدت مثل الإسلام العليا سابقة لها متقدمة عليها، تضيء لها الطريق على الدوام، وإنما يتوقف الأمر على من يستوعب نصوصها ويدرك مقاصدها ويتفهم أسرارها».

ان الشريعة الإسلامية التي دعا جلالة الملك إلى الأخذ بها والعمل بمقتضياتها، تمثل الضمانة القوية ضد مواطن الزلل والانحراف، وقوة دفع للمجتمع الإسلامي، ومصدر حصانة ووقاية من الشطط والتطرف والغلو.

وإذا كانت الرسالة الملكية قد أنارت الطريق أمام المسلمين أفرادا وجماعات فإن ما ورد فيها من توجيهات سديدة بشأن العمل بالشريعة الإسلامية، يعتبر حجر الزاوية في عملية البناء الجديد الذي تقدم عليه الأمة، والبداية الصحيحة لكل عمل إسلامي يرجى منه النهوض بمستوى الشعوب الإسلامية.

ان تطبيق الشريعة الإسلامية، في إطار الوعي السياسي المسؤول، والتفتح على حضارات الأمم وثقافاتها، هو مطمح كل المسلمين، لأن في ذلك تقوية للوجود الإسلامي وتنمية للقدرات السياسية في مواجهة الأخطار الخارجية التي تحدق بالبلاد الإسلامية.

ومن أجل ذلك، انطوت الرسالة الملكية السامية على تحليل مستفيض وعميق للشريعة الإسلامية، هدف إلى إظهار صلاحية شريعتنا السمحاء.

وهذه إحدى مزايا الرسالة الملكية إلى الأمة الإسلامية في مطلع القرن الهجري الجديد.

والسلام عليكم

السيد الهاشمي الفيلالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يحمل رسائل خاصة من جلالة الملك الى الرئيس العراقي وسلطان عمان.

●● قام السيد الهاشمي الفلالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بجولة الى بعض البلاد العربية حاملا رسائل خطية من جلالة الملك الحسن الثاني الى كل من فخامة الرئيس العراقي صدام حسين وجلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان.

كما زار السيد الوزير الذي كان مرفوقا بوفد من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المملكة الاردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية.

وكان السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية قد تلقى دعوتين من نظيريه العراقي والعماني لزيارة البلدين الشقيقين وقد جرت بالمناسبة محادثات مهمة مع وزيري الاوقاف في كل من بغداد ومسقط.



الرئيس صدام حسين لدى استقباله للسيد الهاشمي الفيلالي بحضور السيد عزت ابراهيم نائب رئيس الجمهورية

وفي جدة اجرى السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مباحثات مع كل من الدكتور احمد محمد على رئيس البنك الاسلامي للتنمية والشيخ محمد على الحركان الامين لرابطة العالم الاسلامي.



جلالة سلطان عمان لدى استقباله للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربي بحضور نظيره العماني والسيد احمد بلبشير سفير صاحب الجلالة بمسقط.

وكان الوفد المغربي برئاسة السيد الوزير المبعوث لجلالة الملك محل حفاوة وترحاب في العواصم الاربع التي زارها. كما اكد السمعة الطيبة التي تتمتع بها بلادنا في الساحة العربية والاسلامية والمكانة المرموقة التي يتبواها جلالة الملك الحسن الثاني كقائد اسلامي بارز وضعت الامة الاسلامية على عاتقه رئاسة لجنة القدس.



استغرقت جولة السيد الوزير الهاشمي الفلالي عشرة ايام

فهرس العدد 1 السنة 23

تحل في شهر يوليوز القادم
الذكرى 25 لصدور مجلة

دعوة الحق

احتفاء بالعيد الفضي
للمجلة، نصدر عددا خاصا
عن دور المجلة في الحياة
الفكرية المغربية.

دعوة الحق

تهيب بالسادة الاساتذة
الكتاب المساهمة في هذا العدد.

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3


... ومنذ ولّانا الله أمر هذا الجانب الغربي
من دار الإسلام ضاعفنا الجهود لتعزيز
جانب الدين في كل حين، ولم ننقطع عن العمل
المتواصل لبعث حيويته وتجديد معالمه
وإبراز محاسنه للموافقين والمخالفين، إقتداء
بصاحب الرسالة وخاتم النبيئين عليه الصلاة
والسلام، وإيمانا منا بأن دين الحق لابد
أن يبقى ظاهرا مستمرا على مر الأيام مصداقا
لقوله تعالى " لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (س الفتح . 28)."
جلالة الملك الحسن الثاني